الدكتور سهيل زكار

الجامع في أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

دار حسان
للطباعة والنشر

الجامع في
أخبار القرامطة
في
الأحساء - الشام - العراق - اليمن

الجزء الثاني

الطبعة الثالثة
مزيدة بدراسة وببعض النصوص ومنقحة
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار حسّان
للطباعة والنشر
دمشق - ص.ب ٣٢١٨

الدكتور سهيل زكار

الجامع في أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

دراسة وتحقيق لما جاء في مصنفات :

ثابت بن سنان بن قرة الصابئ وآله - علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي

الداعية الإسماعيلي أحمد بن ابراهيم النيسابوري - داعية إسماعيلي قديم مجهول

القاضي عبد الجبار الهمذاني - ناصر خسرو - أبو محمد اليماني - محمد بن مالك اليماني

عبد الرحمن بن الجوزي - علي بن ظافر الأزدي - كمال الدين بن العديم

أحمد بن عبد الوهاب النويري - أحمد بن علي المقريزي - علي بن الحسن الخزرجي

كتـــاب

الفــرق والتواريـــخ

والدليل على صحة ذلك ما روي أنه كان باليمن رجل من أهله يقال له علي بن فضل ، من ولد خنفر بن سبأ ، وكان مولده ومنشأه في قرية من قرى آل رُعين يقال لها جيشان ما بين عدن أبين وصنعاء اليمن ، وكان أهل بيت هذا الرجل أهل تشيع . فرغب في علم الادب ، وكان لسنا جريء القلب صبورا نظارا ، فانتحل مذهب الاثنى عشرية ، ثم انه حج ذات سنة ، وزار قبر النبي ﷺ فدعته نفسه بعد ذلك الى زيارة قبر أمير المؤمنين وقبر ابنه الحسين بكربلاء رضي الله عنهما ، فخرج مع الصادرين من حاج العراق الى هنالك فلما وصل الى الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله عنه رأى عنده زوارا كثرة ، فاجتهد في البكاء والجزع ، وفي أولئك الزوار شيخ ينظر اليه ويراعيه ، قيل أنه ميمون القداح الذي تقدم ذكره في باب الامامة . وهو أول من أظهر هذه المقالة،فنظر الشيخ اليه وراعاه مدة مقامه هناك،فرآه مجتهدا في التوجع والبكاء ، فخلا به ونشطه من نفسه ، وألقى عليه من مقالته ، فركن اليه ولازمه وبحث عما عنده ، فوجده على ما يحب فذهب الى موضعه ، وأخذ عليه العهود في كتم سره ، ومضى به الى الامام المستور الذي وهّم به أنه من أهل البيت ، وهو ولد نفسه، دعا اليه، ونسبه من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قال مخالفوهم)، والله أعلم بذلك ، فقال له الشيخ : اعلم أن البيت يماني والركن يماني والدين يماني، وليس يقوم هذا الدين الذي نحن فيه الا من ناحية اليمن ، وكان عند هذا الامام المستور الدي ذكروه رجل يقال له [أبو القاسم رجل مواظب معه على مراده فقال له:] يا أبا القاسم هذا الرجل الذي كنا نطلبه من نهج اليمن ، فما رأيك بالخروج معه الى بلده ، وتدعوان الناس الى هذه المقالة ؟ فقال له : يا مولاي ، ان الامر اليك فأمرني بما شئت ، فقال : أعزم على بركة الله ، وجهزهما داعيين له ، وقال : انما تصدران الى عدن فان منها يظهر أمرنا وتعز دولتنا ، ولقب أبو القاسم منصور اليمن ، فمضيا وكان مضيهما في سنة سبع وستين ومائتين ، فدخلا مع الحاج مكة حرسها الله تعالى، وخرجا الى اليمن في سنة ثمان وستين ومائتين ، فلما وصلا اليمن افترقا ، فمضى علي ابن فضل الى بلده من جيشان وأبو القاسم الى عدن لاعة موضع عند جبل مسور ببلاد ـــ حراز ـــ . فمكثا يدعوان الناس سرا ويخدعان من انخدع لهما ، ثم ظهرت مقالتهما سنة سبعين ومائتين ، فأجابهما خلق كثير ، فلم يزل أبو القاسم يحتال في طلوع جبل مسور حتى أدرك ذلك وأخرج منه عبد الحميد المسدري ، وبنى فيه دارا

سماها دار ريب وجمع أصحابه اليه وكثر عدده ، واستجاب أيضا لعلي بن فضل يافع وشرذمة من رعين وبنى حصنا في جبل السرو ، كما بنى منصور اليمن مسور ، فلما استقام لهذا علي بن فضل مراده جمع الجموع وسار بهم الى مخلاف خدير ، فحارب أبا المفلس أحمد بن منصور بن اسحق ، أمير تلك الناحية ، وهو اذ ذاك في حصن الدملوه فاستنزله منه وحبسه ثم قتله في الحبس واستعمل على البلد ، ومضى الى المذيخرة ، بلد ذي مناخ الامير جعفر بن ابراهيم المناخي ، الذي ينسب اليه مخلاف ابن جعفر الى هذه الغاية ، وحاصره في قلعة ريمة واستنزله منها واستولى على البلد، ثم إن جعفر مضى الى زبيد واستنجد معه الاشاعر وغيرهم والتقوا في وادي نخلة فهزم علي بن فضل الامير جعفر بن ابراهيم ومن معه ، وقتل جعفر وابنه ومن معه وابن عم له يقال له أبو الفتوح ، واستعمل علي بن فضل على البلاد ، وسار الى أبين وأميرها يومئذ محمد بن أبي العلاء الاصبحي وهو في خنفر مدينة آبين ، فحاربه فانهزم علي بن فضل وأصحابه الى بلد يافع ، فلما استقروا بها ودخل الليل ، قال لهم علي بن فضل : ان محمد بن أبي العلاء وأصحابه قد أمنوا واغتبطوا بالظفر ، فعودوا بنا اليهم فرجع هو ومن صبر معه ، فلم يشعر أهل خنفر ، حتى طرقوهم ليلا، فدخلوها وأضرموها بالنيران ، وخرج الامير ومن معه فوقع فيه سهم فقتله ، واحتزوا رأسه ، وقصد علي بن فضل داره فغنم أموالا عظاما ، قيل ان مبلغ النقد منها ثمان مائة كيس غير الامتعة والاموال الجليلة والفرش والدواب ، وغير ذلك ثم سير جيشا مع بعض أصحابه الى معافر ، فاستفتحها ، فلما دخل وظفر بما ظفر ، سار الى صنعاء اليمن في نحو عشرين ألفا ، فدخلها وقتل فيها بشرا كثيرا واستباح هو وعسكره ماكان فيها ، وكان أميرها أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، فانهزم الى بعض بلد همدان ثم ان علي بن فضل استعمل عليها وخرج بمن معه الى قريب الشبام ، ولقيهم الى هنالك أصحاب منصور اليمن ، من مسور . لأن أمرهم كان واحدا في اقامة هذه الدعوة ، ثم ساروا جميعا لحرب ابن الخطاب الحوالي وهو في المغرب فاستباحوا بلاده وهرب منهم .

ثم ان علي بن فضل خرج الى تهامة فتلقاه أمير سرود ابراهيم بن محمد بن علي الازدي ، فهزمه ومر هاربا الى بلد حكم ، ودخل ابن فضل المهجم والكدراء ، واستباح ما فيها ، ثم قصد الى مدينة زبيد وفيها الامير ابن محمد الازدي وترك

بعض عسكره بالمهجم والكدراء ، ونقله فخلف على المهجم والكدراء أخو الامـير أحمد بن محمد ، فقتل الازدي من كان فيها ، فبلغ علي بن فضل الخبر ، فانهزم الى طريق وادي نخلة حتى سار الى مستقره بالمذيخرة ، ثم ندب عسكرا مع ذي الطوق وعيسى اليافعي لحرب أبي العشيرة أحمد بن محمد بن الروية وهو اذ ذاك برادع ، فحارباه فقتلاه وجماعة معه ، واستولى على بلاده ، فلما استقام لعلي بن فضل الامر، وشاع ذكره وجبى الاموال وقتل الرجال ، واستمكن من البلاد ، وأمن الغدر ، أظهر ما أبطنه أهل هذه المقالة ، وأشاع ما كتموه ، وقال لاصحابه : أنا الامام المهدي الذي كنت دعوتكم اليه فاحلقوا رؤوسكم ، فحلق منهم قدر مائة ألف نفس يظنون أن ذلك شيء من الدين ، وأباح لهم ما حرم عليهم ، وقال : انما الجنة التي ذكرها الله في كتابه هي الدخول في اللذات المكتومات عن هذا الخلق المنكود ، ولهذا سميت الجن جنا لاستتارهم من أعين الناس ، وقد أبحت لكم اظهارها فصدقوه ، وانتهكوا المحارم،ونسخ لهم الشرائع وادعى بعد ذلك أنه نبي نسخ الله تعالى به نبوة محمدﷺ بتحليل ما حرم الله عليه وتحريم ماأحل الله له ، وقال لهم : اني بعثت بالراحة السمحة، والاستباحة المحضة ،يعني بالراحة « ترك العبادات » والاستباحة « ترك المحظورات» فتبعه على ذلك خلق كثير ، وسار الى صنعاء وأظهر بها ذلك ، ثم مضى لقتال صاحب زبيد المظفر بن حاج أمير المقتدر بالله ، فانهزم عنه ودخلها هو وأصحابه وعملوا فيها المنكرات ، ثم سار الى الجند وأمر جواريه أن يضربن الدفوف على المنبر ويغنـين بشعر قاله أولـه :

خـذي الدف يا هـذه واضربـي ... وغنـى هـزارك ثـم اطربـي
تولـى نبـي بنـي هاشـم ... وهـذا نبـي بنـي يعـرب
فقـد حط عنـا فـروض الصلوة ... وحط الصيـام فلـم تتعب

فأقام على ذلك حتى احتالوا على سمه فسموه فمات لا رحمه الله .

ثم قام من بعده محمد بن علي وأعطى لأصحابه الاموال ، فلما علم المسلمون ذلك تكاتبوا وتراسلوا في حرب هـذا محمد وساروا الى الامـير أسعد بن يعفر الحوالي ، منهم عبد الله بن أبي ثرمة السكسكي وابن الهرامس ، وزياد بن محمد وعبد الله بن يحيى بن أبي الغارات الجندي ، وأحمد بن محمد بن اسماعيل الزبيدي

ويزيد بن موسى البكري الكلاعي ونظرائهم ، وجمع كل من عشيرته ما اقتدر عليه، وسار الامير الحوالي لحرب هذا محمد بن علي بالمذيخرة فظفر به ، وكان ذلك في سنة أربع وثلاثمائة ، وقتل أصحابه وأخذ أمواله وسبى حريمه وفيهن أختين، وأسروا عدة من أصحابه ، فوهب الامير أسعد احدى أختيه لابن أخيه قحطان والاخرى لابن أخيه خطاب بن عبد الرحيم ، ثم مضى بهذا محمد وأصحابه القرامطة الى صنعاء موكبا فحبسهم وأمر بهم بعد ذلك ، وقتلوا وأخذت رؤوسهم وطليت بالصبر وجعلها في صناديق ، ومضى هذا وأمر بها الى أمير مكة حرسها الله تعالى فنصبت بمنى يوم التروية ، ثم نصبت بعرفات يوم عرفة ، ثم نصبت على باب المعلاة وباب المسفلة بمكة حرسها الله تعالى وقطع دابرهم، وأظهر فسقهم وقرمطتهم فتحابى أهل العقول مذمتهم وعرفوا باطن مقالتهم وأنها الكفر الصراح ألبسوها بالاسلام ، والكتمان والترحم على علي بن أبي طالب رضي اللهعنه ، وهو بضد ذلك، فمن استتم على كتمان بدعتهم سموه مؤمنا ، ومن رجع الى الاسلام سموه منافقا جنبا لا ترفع جنابته الا بالعود اليهم وتجديد العهود المؤكدة ، ومن تظاهر في الذي أباحوه وانتهاك المحارم سموه قرمطيا ، وسبوه أقبح سب ، وإن كانت قرمطتهم ثابتة لكنها مكتومة والله تعالى مجازيهم بما اخترعوه ولبسوه على ضعفاء العقول .

قال صاحب الكتاب أيده الله : ومن جملة دعاتهم الذين أظهروا مكتومهم واستحلوا ماحذره الاسلام عليهم، وبانت قرمطتهم ، رجل يقال له ذو الشامة[1]،خرج بالشام وكانت أنصاره كلب بن وبرة ، فغلب على دمشق وعاث في الشام فقتل ، وكان داعيا ، ثم قام بعده أخ له فكان أعظم منه بطشا وقتل الرجال وأخذ الاموال ودعا الى نفسه بالامامة فخرج له المكتفي بالله فأسره وقوما من أصحابه فقتلوا ببغداد صبرا وأحرقوه ، ثم قام أيضا داع منهم يقال له زكرويه بن مهرويه ، فعاث بالمسلمين وقتل وسبى وأظهر المنكرات وأحل المحرمات فقتله أيضا المكتفي بالله ، ومن جملة دعاتهم المظهر لقرمطتهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، قام بحقوق دعوتهم وانتهج طريق التشيع ، فكان أنصاره من ناحية رجال البحرين من الازد ، وتنوخ ،

---

(١) وهم المصنف فالذي خرج أولا صاحب الجمل ثم خلفه اخوه صاحب الخال .

فأظهر ما كتموه من اباحة المحرمات ، فملك البحرين واليمامة[1] وفتح الفلج[2] وقتل آل أبي سمرة ورجال عبد القيس وبكرو عقيل ، وضرب أعناق بشر كثير غير مــن سمروه بالجدر ، والخشب ، ممن اقتدر عليه ، وهم أحياء بالمسامير ، فأقام على ذلك الى أن قتله غلامان غيلة وهو في الخلاء ، فأقام بعده ابنه أبو طاهر ، لا طهر الله قلبه، ولا غفر ذنبه ، يدين بدين أبيه وزندقته وقرمطته ، وتبعه خلق كثير ، فسام المسلمين بسوم الخسف . وأذاقهم العذاب الاليم ، وأمرهم بترك الصوم والصلاة وأباح لهم ارتكاب المحرمات ، وكان يأمر أحدهم أن يقتل أباه وأخاه وابنه ، بزعمه تقربا الى الله تعالى فيفعلوا ذلك ، ثم يسير بهم كل يوم الى بلد من البلدان فيذبح الاطفال ويقتل الرجال ، ويسبي النسوان ، ويأخذ الاموال ويسترق الاحرار ، ثم سار بهم نحو البصرة فقتلوا أميرها ، وحملوا وقر عشرة آلاف جمل من الامتعة ، وقتلوا بشرا كثيرا ، ثم اعترض الحاج فاعترض قواد المقتدر بالله الذين كانوا معهم ، وكبار بني العباس وبني علــي بن أبي طالب رضي الله عنــه والقراء والفقهاء وعظماء التجــار لا يحصيهم الا الله تعالى وأسر ناسا ، وانفلت آخرون فماتوا في سائر الفلوات ، ظمئا وجوعا ، وسبى كل امرأة وجدها من المحصنات اللائي خرجن لأداء الحج والزيارة ، وغنم أموالا عظيمة وأخذ شمسة البيت الحرام فلم يحج تلك السنة أحد ، ثم خرج الحاج في السنة الثانية من جميع البلدان في العدد العظيم والقوة القوية ، فاعترضهم أيضا ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وغنم أموالهم ، فبعث المقتدر بالله جيشا عظيما كثيفا الى الكوفة ، فلما سمع أبو طاهر بمضيهم تلقاهم بمن معه اليها ، فتلقتهم تلك الجيوش عن الخندق . فاقتتلوا يومهم ذلك ثم اليوم الثاني فانهزم جيش المقتدر بالله ، ودخل أبو طاهر ومن معه الكوفة من فورهم وغنبوا عليها ، وقتلوا فيها بشرا كثيرا ، وخرج من بقي هاربا على وجهه ، فورد الخبر الى بغداد فخاف منه الناس خوفا شديدا ، وخافوا أن يقصد أبو طاهر بغداد فانزعج الناس انزعاجا شديدا ، وخرج القرامطة من الكوفة بعد أن أقاموا فيها سبعة أيام يعملون المحرمات، وحملوا ما كان فيها من الامتعة ما يجاوز الحد ، ومضوا الى مستقرهم من البحرين ، وشاع

---

(١) اليمامة وهو بلد كبير فيه حصون وعيون ونخل في شبه جزيرة العرب ــ معجم البلدان .

(٢) الفلج بفتح أوله وثانيه مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة ــ معجم البلدان .

الخبر الى البلدان فلم يجسر أحد أن يحج في السنة الثانية خوفا منهم ، ثم سار عدو الله قاصدا نحو العراق من البحرين بخلق كثير والاثقال ، وزعموا أن من كان معه في تلك الرحلة أربعون ألف جمل ، منها ستون تحمل المال والباقي الاثقال ، وكانت في سنة خمسة عشر وثلاثمائة ، فورد الخبر الى بغداد أنـه قاصد لهم ، فانصرفوا انصرافا شديدا ، فكتب المقتدر بالله الى بعض قواده بواسط أن يتقدم بالجيش الى الكوفة ، فتقدم في أربعة وعشرين ألفا ومائتين فارس وراجل فتلقاهم القرمطي بخيله ورجله ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم جيش الخليفة ، وقتلوا القائد وأخذوا ما كان في العسكر ، فقويت شوكتهم ، في ذلك فلم يزل عدو الله يقود الجيوش بتلك البلاد، حتى أباد أهلها ودخل الانبار ، وهيت[1] ، والرحبة[2] ، وغير ذلك ، وهدم المساجد حيث كانت ، وانقطع الحاج من خوفه سبع سنين .

ثم قصد مكة في أيام الحج في جموعه فأتى وادي الأبطح غداة يوم السابع من ذي الحجة ، فالتقى هو وأهل مكة في الأبطح ، واصطفوا للقتال وما كانت الا ساعة حتى انهزم المكيون ، وهرب أميرهم وقتل منهم خلق كثير ، وهرب الباقون على وجوههم ، وضرب أبو طاهر قبابه بالأبطح ، ودخل طائفة من أصحابه مكة ، فقصدوا المسجد الحرام فقتلوا من وجدوا فيه من الناس ، وسبوا النساء والصبيان ، وأخذوا الامتعة والاموال ، وجاء قوم الى المسجد الحرام فدخلوا عليهم ، فقتلوهم وكان عدد من قتل في المسجد ، ألفي رجل وفي سائر المدينة نحو عشرة آلاف ، وأقاموا بالأبطح ومكة خاوية ، وهم لعنهم الله تعالى يدخلونها فيقتلون ما فيها ، فلما فرغوا من ذلك دخلوا المسجد الحرام وفتحوا الكعبة واقتلعوا جميع ما فيها من الذهب والفضة والمحاريب المذهبة التي كانت أحدثت فيها في أيام المقتدر ، والمنطقة الفضة المنقوشة التي كانت ضربت عليها، واقتلعوا بابي الكعبة فأخذوا ماعليها من صفائح الذهب، ثم عادوا الى الحجر الاسود فاقتلعوه بالمناقير ، وارتحلوا من مكة وساقوا معهم جميع ما أخذوه منها بعد أن كان مكثهم بها ثمانية أيام ، ثم تراجع من سلم من الناس الى مكة بعد رحيل القرامطة لعنهم الله ، فنظروا منظرا قبيحا وأمرا فظيعا ودخلوا المسجد

---

(١) هيت بلدة على الفرات فوق الانبار .

(٢) بلدة بقاياها على الفرات على مقربة من بلدة الميادين السورية .

الحرام فوجدوا القتلى فيه مصرعين في موضع الطواف والحجر ، وفي سائر المسجد قد انتفخوا وجيفوا ، فاجتمع رأي من حضر من الناس على أن يحفروا لهم خندقا عميقا بالمسجد ، ويجروا القتلى فيطرحوهم فيه ، ويضعوا التراب عليهم رضي الله عنهم ، وأخرجوا من سقط في بئر زمزم ونزحت حتى صفا ماؤها ، وغسلوا جوانبها، وغسلوا الدماء من جدار الكعبة والحجر وغير ذلك ، وبقي موضع الحجر الاسود مجوفا لا شيء فيه يتمسح الناس بداخله لا غير ، فأقاموا على ذلك الى أن استنقذ الخليفة الحجر ، بخمسين ألف مثقال وأعاده حيث كان ، وأقامت القرامطة مصرين على كفرهم متظاهرين بفسقهم الى أن أبادهم الله بالموت والقتل بأخبار يطول شرحها، فهذا أيدك الله بعض حكايات دعاة أهل هذه المقالة الذين أظهروا ما ندبوا الناس الى كتمه وأخذوا العهود المؤكدة عليه ، ليقع عند كل عاقل موفق أن الذي أبطنوه هو الذي أظهروه ، فتجانب محالهم ولا تغتر بما زخرفوه ولبسوه على ضعفاء العقول من كتم بدعتهم واحتجاجهم، انه الدين القويم، والصراط المستقيم وما كتموه الا لشرفه، فلا يبلغ اليــه الا الخواص الموفقون والمؤمنون المخلصون ، وايم الله لقــد كذبوا وما كتموه الا من قبحه ، ولا أخذوا عليه العهود الا من شهر له ، ولقد سعد مــن جانبهم وغوى من خالطهم ، فرحم الله امرأ وفق وحليما سدد ، والله المستعان على ما يصفون •



كتـــاب

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن مالك ــ رحمة الله عليه : اعلموا أيها الناس المسلمون ــ عصمكم الله بالاسلام ، وجنبنا واياكم طرق الاثام ، وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته ، وسددكم ــ اني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي[1] كما تسمعون ، وما يتكلم به عليه من سيء الاذاعة، وقبح الشناعة فاذا قال القائل : هو يفعل ويصنع، قلت : أنت تشهد عليه غدا ؟ فيقول ما شهدت ولا عاينت ، بل أقول كما يقول الناس، فكنت أتعجب من هذا أولا ، ولا أكاد أصدق ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس ، ونطقت به الألسن ، فتارة أقول هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم ، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الامم ، انما هذه عداوة له من الناس للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس[2] ، وكنت كثيرا ما أسمعه يقول : « حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا » .

فرأيت أن أدخل في مذهبه لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه ولأطلع على سرائره وكتبه ، فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته ، وأكشف لهم عن كفره وضلالته، نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيرا ممن يحاول بغض هذا الدين ، والله موهن كيد الكافرين .

فأول ما أشهد به وأشرحه ، وأبينه للمسلمين ، وأوضحه أن له نواباً يسميهم : الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم المكلبين، تشبيها لهم بكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ، ويلبسون على كل

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد الصليحي ، أصله من أحواز صنعاء ، خرج سنة ٤٣٩ هـ/١٠٤٨ م فأسس الدولة الصليحية الاسماعيلية ، وظل يحكمها حتى سنة مقتله ٤٥٩ هـ/١٠٦٨ م .

(٢) بدأ الصليحي حياته دليلا للحاج على طريق جبال السراة ، واستمر على ذلك مدة خمس عشرة سنة . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٨٥ ــ ١٣٦ .

جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والصيام والزكاة ، كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه ، فيقيم أكثر من سنة يمنعون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه فاذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والاعجاب بجميع ما يعلمونه ، والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ، ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله ، واعرف معاني الصلاة والطهارة ، وما روي عن النبي ﷺ ، بالرموز والاشارة دون التصريح في ذلك في العبارة ، فانما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لمثولات محجوبة : فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فان العمل بغير علم ، لا ينتفع به صاحبه ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول قال الله تعالى : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[1] فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضا فالصلاة والزكاة لهما باطن ، لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر الا وله باطن يدل على ذلك « وذروا ظاهر الاثم وباطنه »[2] و « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن »[3] ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ، فالظاهر ما تساوى به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به ؟ فلا يعرفه الا القليل ومن ذلك قوله : « وما آمن معه إلا قليل[4] » وقوله « وقليل ما هم »[5] وقوله « وقليل من عبادي الشكور[6] » فالاقل من الاكثر الذين

والصلاة والزكاة سبعة أحرف ، دليل على محمد وعلي صلى الله عليهما لأنهما سبعة أحرف ، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي ، فمن تولاهما فقد أقام

(١) في أكثر من سورة ، انظر مثلا البقرة : ٤٣ .
(٢) سورة الانعام : ١٢٠ .
(٣) سورة الاعراف : ٣٣ .
(٤) سورة هود : ٤٠ .
(٥) سورة ص : ٢٤ .
(٦) سورة سبأ : ١٣

الصلاة وآتى الزكاة ، فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن ، وسنن النبي ﷺ ، فيقع هذا من ذلك المخدوع ، بموقع الاتفاق والموافقة ، لأنـه مذهب الراحة والاباحة ، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عايهم من محارم الله ، فاذا قبل منهم ذلك المغرور هذا ، قالوا له : قرب قربانا يكون لك سلما ونجوى ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك في هـذا الأصر فيدفع اثني عشر دينارا ، فيقول ذلك الداعي : يا مولانا ان عبدك فلان قـد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الأصر وهذه نجواه اثنا عشر دينارا ، فيقول اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له « ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم »[1] ، فعند ذلك يقبل اليه أهل هذه الدعوة يهنئونـه ، ويقولون الحمد لله الذي وضع « عنك وزرك • الذي أنقض ظهرك[2] » ثم يقول له ذلك الداعي الملعون ، بعد مدة : قد عرفت الصلاة ، وهي أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله الى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول له سل عن الخمر ، والميسر الذي نهى الله تعالى عنهما : أبو بكر ، وعمر لمخالفتهما على علي وأخذهما الخلافة دونه ، فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة ، وغير ذلك فليس بحرام ، لأنه مما أنبتت الارض ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق[3] الى آخر الاية •

ويتلو عليه « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا[4] الى آخر الاية، والصوم : الكتمان، فيتلو عليه « فمن شهد منكم الشهر فليصمه[5]» يريد كتمان الائمة في وقت استتارهم خوفا من الظالمين ويتلو عليه « انـي نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا[6] » فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقـال : فلن أطعم اليوم شيئا ، فدل على أن الصيام الصمت •

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ .
(٢) سورة الشرح : ٢ ــ ٣ .
(٣) سورة الاعراف : ٣٢ .
(٤) سورة المائدة : ٩٣ .
(٥) سورة البقرة : ١٨٥ .
(٦) سورة مريـم : ٢٦ .

فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغيانا وكفرا ، وينهمك الى قول ذلــك الداعي الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمارة بالسوء •

ثم يقول له ادفع النجوى ، تكون لك سلما ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم ، فيدفع اثني عشر دينارا فيمضي به اليه ، فيقول يامولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الاكل برمضان ، فيقول له : قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟ فيقول له : نعم ، فيقول : قد وضعت عنه ذلك مدة فيأتيه ذلك الداعي الملعون فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ما هي ، ومعنى الجنابة ما هي في التأويل ، فيقول : فسر لي في ذلك ، فيقول له : اعلم أن معنــى الطهارة طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره، وأن الجنابة هي موالاة الاضداد ، أضداد الانبياء والائمة ، فأما المني فليس بنجس، منه خلق الله الانبياء والاولياء وأهل طاعته ، وكيف يكون نجسا ، وهو مبدأ خلق الانسان وعليه يكون أساس البنيان ، فلو كان التطهير منه ، من أمر الدين ،لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنهما نجسان ، وانما معنى « وان كنتم جنبــا فاطهروا »[1] ، معناه فان كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هــو حياة الارواح ، كالماء الذي هو حياة الابدان قال الله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي[2] » • وقوله « فلينظر الانسان مم خلق • خلق من ماء دافق[3] » فلما سماه الله بهذا دل على طهارته ، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر دينارا ، ويقول : يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة، وهذا قربانه اليك، فيقول : اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة•

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون : قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة ، فاكشف عنها ، فانها منتهى أمرك ، وغاية سعادتك ويتلو عليه « فلا تعلم

---

(١) سورة المائدة : ٦ .

(٢) سورة الانبياء : ٣٠ .

(٣) سورة الطارق : ٥ ــ ٦ .

نفس ما أخفي لهم من قرة أعين(١) » فيقول له : ألهمني اياها ، ودلني عليها فيتلو عليه « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد(٢) » . ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا ؟ فيقول : وكيف لي بذلك ؟ فيتلو عليه « وان لنا للاخرة والاولى »(٣) ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة»(٤) والزينة هاهنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لايطلع عليها الا المخصوصون بذلك، وذلك قوله «ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن(٥)»، والزينة مستورة غير مشهورة ثم يتلو عليه « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون(٦) » ، فمن لم ينل الجنة في الدنيا ، لم ينلها في الاخرة ، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الالباب ، وأهل العقول دون الجهال ، لأن المستجن من الاشياء ما خفي ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة، وسميت الجن جنا لاختفائهم عن الناس، والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها، والترس المجن لأنه يستتر به ، فالجنة ها هنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس ، الذين لا علم لهم ولا عقول ، فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكا ، ويقول لذلك الداعي الملعون : تلطف في حالي ، وبلغني الى ما شوقتني اليه ، فيقول ادفع النجوى اثني عشر دينارا تكون لك قربانا وسلما ، فيمضي به فيقول : يا مولانا ان عبدك فلان قد صحت سريرته ، وصفت خبرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الاحكام وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقته وأمنته ؟ فيقول يا مولانا قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابرا ولأنعمك شاكرا فيقول علمنا صعب مستصعب ، لا يحمله الا نبي مرسل ، أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالايمان فاذا صح عندك حاله ، فاذهب به الى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها ، فيقول سمعا وطاعة لله ولمولانا ، فيمضي به الى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى اذا كان الصباح ، قرع عليهما الباب ، وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكره ذلك المخدوع،

---

(١) سورة السجدة : ١٧ .
(٢) سورة ق : ٢٢ .
(٣) سورة الليل : ١٣ .
(٤) سورة الاعراف : ٣٢ .
(٥) سورة النور : ٣١ .
(٦) سورة الواقعة : ٢٢ .

ويدعو له ، فيقول له : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا ، فاذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد الا بات مع زوجته ، كما فعل ذلك الداعي الملعون ، ثم يقول له : لا بد لك أن تشهد المشهد الاعظم عند مولانا ، فادفع قربانك ، فيدفع اثني عشر دينارا ، ويصل به ويقول يا مولانا ، ان عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الاعظم ، وهذا قربانه ، حتى اذا جن الليل ودارت الكؤوس ، وحميت الرؤوس وطابت النفوس، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا السرج والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في يده ، ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون ، وجميع المستجيبين ، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له فيقول : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه ، على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم[1] » .

قال محمد بن مالك رحمه الله تعالى : هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى علي شهيد بجميع ما ذكرته ، مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته ، عالم به ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم بباطل له جهنم وساءت مصيرا ، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته الى حول الشيطان وقوته ، فأديت هذه النصيحة الى المسلمين حسب ما أوجبه الله علي من حفظ هذه الشهادة ، فان الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ، ومراعاتها وأدائها الى من يسمعها ، قال الله سبحانه وتعالى : « ستكتب شهادتهم ويسئلون[2] » ، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين ، ولا ينزع عنا الاسلام بعد اذ آتانا الله بمنه ورحمته .

---

(١) سورة فصلت : ٣٥ .

(٢) سورة الزخرف : ١٩ .

المقالة في اصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها :

وقد رأيت أيها الناس ــ وفقنا الله واياكم للصواب ، وجنبنا واياكم طرق الكفر والارتياب ــ أن أذكر أصل هذه الدعوة الملعونة ، لئلا يميل الى مذهبهم مائل ، ولا يصبو الى مقالتهم لبيب عاقل ، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب انذارا لمن نظره ، واعذارا لمن وقف عليه واعتبره .

باب : اعلموا يا أخواني في الاسلام أن لكل شيء مــن أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء أصولا ، وللاصول فروعا وأصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى به الشيطان أهل الكفر والشقوة ظهور « عبد الله بن ميمون القداح » في الكوفة ، وما كان له من الاخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة ، ودخوله في طريق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته اياها على الطغام ، ومكيدته لأهل الاسلام .

وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين ، من التاريخ للهجرة النبوية، فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم في الغوائل ولبس الحق بالباطل « ومكر أولئك هــو يبور[1] » ، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلا وزخرف الاقوال ، وضرب الامثال ، وجعل لآي القرآن شكلا يوازيه يضاهيه، وكان الملعون عارفا بالنجوم،معطلا لجميع العلوم« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »[2] ، فجعل أصل دعوته التي دعاها ، وأساس بنيته التي بناها الدعاء الى الله والى رسوله، ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله، والاختصاص لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتقديم والامامة ، والطعن على جميع الصحابة بالسب والاذى وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله من سب أصحابي » ، وقال عليه السلام « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقال ﷺ « من سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله علــى وجهه في النار[3] » فأفسد بتمويهه قلوب الجهال ، وزين لهم الكفر والضلال ، وله شرح يطول فيه الخطاب ، غــير أني أختصر ، وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولــي الالباب والابصار .

---

(1) سورة فاطر : ١٠ .

(2) سورة الصف : ٨ .

(3) انظر سنن أبي داود ــ ط. دار احياء السنة النبوية : ١٢٩/٤ ، ٢١٤ ــ ٢١٥ .

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ، ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية[1] ، وكان من أحبار اليهود ، وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب ، وكان صائغا يخدم اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله في اليهود من عداوة للاسلام وأهله ، والبغضاء لرسول الله ﷺ ، فلم ير وجها يدخل به على الناس ، حتى يردهم عن الاسلام ، ألطف من دعوته الى أهل بيت رسول الله ﷺ ، وكان قد خرج في أيام قرمط البقار ، وكان اسمه أو لقبه لأنه كان يقرمط في سيره اذا مشى ، ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون الى قرمط ، لأنهما اجتمعا وعملا ناموسا يدعوان اليه ، وكانا يعرفان النجوم ، وأحكام الازمان فدلهما الوقت على تأسيس ما عملاه ، فخرج ميمون الى الكوفة ، وأقام بها مدة ، وله أخبار يطول شرحها ، مما كان منه ومن علي بن فضل ، والمنصور صاحب مسور ، وأبي سعيد الجنابي ، وأنا أشرح ذلك عند انتهائي اليه ان شاء الله تعالى ـ وأما قرمط البقار فانه خرج الى بغداد ، فقتل هناك لا رحمه الله .

باب ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخل في ضلالته ومذهبه :

وكان أول أولاده عبيد[2] وهو المهدي ثم « محمد » وهو القائم[3] ، ثم اسماعيل المنصور[4] ، ثم «المعز»[5] ثم «العزيز»[6] ، ثم «الحاكم»[7] ثم «الظاهر»[8]

---

(١) معروفة الى الشرق من حماة بينهما ٣٣ كم ، وكانت وما تزال تتمتع بموقع ممتاز ، فهي بالاضافة لخصبها وثيقة الصلة بالبادية واهلها ، ووقع اختيار الدعوة الاسماعيلية عليها لهذه المزايا .

(٢) كذا ، وهو خطأ ، وصوابه عبد الله ، وهذه مسالة سنعود لها فيما بعد في ترجمة علي بن الفضل .

(٣) ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ـ ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م .

(٤) ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م ـ ٣٤١ هـ/٩٥٣ م .

(٥) ٣٤١ هـ/٩٥٣ م ـ ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م .

(٦) ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ـ ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م .

(٧) ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م ـ ٤١١ هـ/١٠٢١ م .

(٨) ٤١١ هـ/١٠٢١ م ـ ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م

ثم « معد المستنصر »[1] هؤلاء الذين ينسبون اليه الى عصرنا هذا ، فانتسبوا الى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وانتحالهم اليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك فانهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلا مذكورا ، ولا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسبا مشهورا ، بل الكل يقصيهم عن الشرف وبنفيهم عن النسب الا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فانه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الامور،وقد زعموا أنهم من ولد محمدبن اسماعيل بن جعفر الصادق وحاشى لله ماكان لمحمد بن اسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد بل هم « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار »[2] .

الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنهم يقولون معدا المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد[3] بن ميمون ، ثم يقولون ابن الائمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق ، فاذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين[4] حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتياب، وقالوا : هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولا ذكرهم لأحد ، وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا اليه .

والدليل على أنهم من ولد اليهود ، استعمالهم اليهود في الوزارة والرئاسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة،ما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم، وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد .

باب خروج ميمون القداح من سلمية الى الكوفة :

وقد ولد له عبيد وهو الذي يسمونه عبيد الله المهدي ، فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ لهما ما كانا يطلبان ، والى أن أجابهما الى ذلك تسعة رهط، يفسدون

---

(1) ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م ـ ٤٨ هـ/١٠٩٤ م ، وهذا دليل على ان الكتاب صنف في عصر المستنصر .

(2) سورة ابراهيم : ٢٦ .

(3) كذا ، وهو مخالف لجميع المصادر على تباين رواياتها ومواقفها . انظر اصول الاسماعيلية : ١٣٣ ـ ١٥٦ .

(4) المصادر الاسماعيلية غير متفقة على سلسلة الائمة المستوردين ، انظر اصول الاسماعيلية : ١١٥ ـ ١٣٣ .

في الأرض ولا يصلحون منهم علـــي بن فضل الجدني اليماني ، وأبو القاسم بـــن زاذان الكوفي المسمى المنصور عند كونه في اليمن في مسور ، وأبو سعيد الجنابي صاحب الاحساء والبحرين ، وأبو عبد الله الشيعي صاحب كتامة في الغرب ، والحسن ابن مهران المسمى بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان ، ومحمد بن زكريـــا الخارج في الكوفة، ولا بد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصراً ان شاء الله تعالى .

باب ذكر ابي سعيد الجنابي لعنه الله :

كان فيلسوفا ملعونا ملك البحرين واليمامة والاحساء وادعي فيها أنه المهدي القائم بدين الله فاستفتح[1] ... ودخل مكة وقتل الناس في المسجد الحرام ، ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به الى الاحساء وقال في ذلك شعرا :

ولـــو كـــان هـــذا البيت لله ربنـــا ... لصب علينـــا النـــار من فوقنا صبا
لأنـــا حججنـــا حجـــة جاهليـــــة ... مجللـــة لـــم نبق شرقـــا ولا غربـــا
وانـــا تركنا بـــين زمـــزم والصفـــا ... جنائـــز لا تبغي سوى ربهـــا ربـــا

وله لعنه الله أشعار بالقدر في ذلك تركتها اختصارا وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا عليه لعنة الله .

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع :

خرج فيما وراء النهر وله أخبار شنيعة وكان حكيما فيلسوفا متمكناً ذكروا أنه عمل قمرا بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة ، ولقد كنت أكذب ذلك حتى صححه لي جماعة من أهل خراسان ، وذكروا أنه بنى حصنا وعمل فيه لولبا ، فكان المسلمون اذا أتوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون ، فمال اليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم غلاما حكيما ، فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعوا علـــى اللوالب فأخرجوها ، ودخلوا عليه فقتلوه وقيل إنه أحرق نفسه قبل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه[1] .

---

(١) سقط في الاصل حوى أخبار أبي سعيد الجنابي حتى وفاته ، ومطلع أخبار أبي طاهر من بعده حتى دخول مكة انظر ما سبق بيانه في نص ثابت بن سنان وغيره .

(٢) انظر أخباره في تاريخ الطبري : ٨/١٣٥ ــ ١٤٨ .

باب ذكر محمد بن زكريا لعنه الله :

أحسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطي وكان قد خرج بالكوفة فخرج اليه المكتفي أمير المؤمنين من بني العباس فقتله لعنه الله ولا رحمه .

باب ذكر علي بن فضل الجدني لعنه الله(١) :

من ذرية ذي جدن والاجدون من سبأ صهيب ، وأصله من جيشان ، وكان في أوله ينتحل الاثني عشرية ، فخرج للحج ثم زار قبر النبي ﷺ ثم مضى الى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن علي رضي الله عنه ، فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله تعالى عنه بكى على القبر بكاء شديدا وجعل ينوح ويقول : بأبي أنت يا ابن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء ، وكان ميمون القداح على القبر ، وولده عبيد فلما بصرا به سرهما وطمعا به وعلما أنه ممن يميل اليهما ويدخل في ناموسهما ، فقال ميمون : أيها الشاب ما كنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر ؟ قال : اذا والله أضع له خدي وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيدا فقال له ميمون : أتظن أن الله قطع هذا الامر ؟ قال له علي بن فضل : لا ولكني لا أعلم ذلك ، فهل عندك منه خبر أيها الشيخ ؟ فقال : أخبرك به ان شاء الله ، عند الامكان ، ثم قام ميمون فتعلق به ، فقال ميمون : تقف بهذا المسجد الى غد فوقف أياما فلم يرد له خبرا ، فودع أصحابه ، وقال لهم أما أنا فلا أبرح ها هنا حتى أنتجز وعدا قد وعدته فأخذ له من المؤونة ما يكفيه فوق أربعين يوما وميمون وولده يرمقانه من حيث لا يعلم بهما ، فلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم أنه لا يخالفه في شيء من دعوته والميل الى كفره وضلالته ، فأتاه عبيد فوثب اليه فاعتنقه وقال سبحان الله يا سيدي وعدني الشيخ وعدا فأخلفني ، فقال : لم يخلفك وانما قال:أنا آتيك غدا ان شاء الله، وله في هذا مخرج على ضميره ، ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له : يا أخي اعلم أن ذلك الشيخ أبي ، وقد سره ما رأى من صبرك وعلو همتك ، وهو يبلغك محبوبك ان شاء الله ، ثم أخذ بيده فأوصله الى الشيخ ، فلما رآه قال : الحمد لله الذي رزقني رجلا نحريرا مثلك أستعين به على أمري ، وأكشف له مكنون سري ، ثم كشف له أمر مذهبه لعنهما الله فأصغى اليه ، واشرأب قلبه وتلقى كلامه بالقبول ،

(١) ستاتي ترجمته مفصلة في آخر هذا الكتاب ، وانظر ايضا ما سبق تقديمه من اخباره في النصوص السابقة .

وقال له علي : والله ان الفرصة ممكنة باليمن ، وان الذي تدعو اليه جائز هنالك ، وناموسا يمشي عليهم ، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الاحلام ، وتشتيت الـرأي وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية ، فقال له ميمون أنا موجهك والمنصور الحسن ابن زاذان ، وكان ينسب الى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثني عشرية ، وكان من أهل الكوفة ، فلما دخـل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان وعلم أنه مسعود ، وانه ينال ملكا وشرفا ، وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة ، فجعل ميمون يلطف به ويرفق ، فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم ، فلم يزل به حتى قبل منه ، وركن الى قوله وما زال به حتى مال الى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون اليه والى ولده ، فعند ذلك قال ميمون : يا أبا القاسم ان الدين يماني ، والحكمة يمانية[1] ، وكل أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن فانه يكون ثابتا لثبوت ذلك النجم ، وذلك أن اقليم اليمن أعلى الاقاليم الدنيا، ولا بد من خروجك الى هنالك أنت وأخوك علي بن فضل اليماني ، فسيكون لكما شأن وملك وسلطان في اليمن ، فكونا على أهبة فقال له : الامر اليك يا سيدي ، قال المنصور : فكنت أنا وعلي بن فضل ، وعبيد لا نزال نكثر المذاكرة في مجلس الشيخ، وكان يقول عند تمام الوقت ومضي ستة أدوار من الهجرة المحمدية أبعثكما الى اليمن تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وأخذ علي ، وعلى علي ابن فضل ، العهود والمواثيق لولده ، فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون : هذا هو الوقت الذي كنا ننتظر ، فأخرجنا في هذا الموسم ، ثم وجهنا الى اليمن تتظاهـر بالحج ، وعهد الينا ، ثم خلا بي وأوصاني بالاستتار حتى أبلغ مرادي ، وقال لي : الله الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، أنه أعرف منك وانك ان خالفته لم ترشد .

قال المنصور : فلما صرت في بعض الطريق ، لحقني كمد عظيم لحال الغربة واذا بحاد يحدو ويقول :

يـا أيهـا الحادي المليـح الزجـر   بشّـر مطايـاك بضـوء الفجـر
تـدرك مـا أملتـه مـن أمـر

(١) انظر تاريخ صنعاء ـ ط. دمشق ١٩٧٤ : ٦ ـ ٩ .

قال : فلما سمعت ذلك سررت به ، واستبشرت ، فوصلت مكة مع الحاج وذلك أيام محمد بن يعفر الحوالي[1] ، ثم أقبلنا نسأل عن أخبار اليمن ، فقيل لنا : ان ·مير محمد بن يعفر رد المظالم ، واعتزل عن الناس ، ورجع الى التنسك والعبادة ، لنا : ولم فعل ذلك ؟ فقيل لنا : انه قيل له ان في هذه السنة يخرج عليه خارجي ، يكون زوال أمره على يديه ، ويقال انه رد في يوم واحد ألف دينار ، وقام في بني وال رجل يقال له ابراهيم فقال :

يا ذا حوال يا مصابيح الافق تداركوا عزكم لا ينفتق
فتطلبون رتق ما لا يرتتق فأيكم قام بها فقد سبق

فقام ولد محمد بن يعفر .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله :

فلما خرج علي بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا في غلافقة[2] افترقا ، قال كل واحد منهما لصاحبه : أعلمني بأمرك وما يكون منك ، فوصل المنصور الى جند[3] وصاحب الامر يومئذ جعفر بن ابراهيم المناخي وخرج علي بن فضل الى حية جيشان . فأما المنصور فان ميمونا كان قال له : لا يظهر أمرك الا من موضع ال له « عدن لاعة »[4] فانه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك « وانما دله على ذلك فلسفة وعرف ما سطره في كتبهم من تسمية الاقاليم والبلدان وتقويم الكواكب سبعة » ، فلما صار المنصور الى الجند سأل عن « عدن لاعة » فقالوا : لا نعرف الا عدن أبين »[5] فدخل « عدن أبين » بتجارة تصلح لعدن ، كما يفعل التجار فأقام باما فيها يسأل عن « عدن لاعة » مدة مقامه هنالك ، فبصر به شيخ من تجار عدن ،

---

١) ربما سنة ٢٦٨ انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ . وانظر غاية الاماني في أخبار القطر اليماني ــ ط. القاهرة ١٩٦٨ : ١٦٤/١ ــ ١٦٥ . اعلام الزركلي .

٢) مدينة على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، تعرف الان بغليفقة معجم البلدان .

٣) من اشهر مدن اليمن الى الجنوب من صنعاء . معجم البلدان .

٤) هي اليوم اطلال في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاثة أيام منها . تاريخ اليمن لعمارة اليمني : ٦١ ــ ٦٢ .

٥) عدن الحالية في اليمن الجنوبي .

فأنكره فسأله عن حاله ، فقال · أنا رجل من أهل العراق ، وكنت حاجا في هذه السنة، قال : فهل عندك خبر[1] ؟ قال : لست صاحب أخبار ، وعما تريد أن أخبرك عنه ؟ قال له العدني : هل حدث في الشام حدث ؟ قال : لا علم لي بشيء ، فلم يزل به حتى أعلمه ما في ضميره ، فعاهده المنصور على كتمان سره ، وسأله عن « عدن لاعة »فقال هي معروفة ، ولا يزال أهلها من التجار يصلون الينا ، وأنا أعلمك بهم اذا وصلوا ، ويقال ان هذا العدني جد بني الوزان[2] فاسدي المذهب ، وبنو الوزان الى اليوم رافضة شيع ، فلما وصل التجار من « عدن لاعة » ، ومن غزان[3] فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه ، وأنه في ناحية بلادهم ، وهي قرية صغيرة ، [قالوا :] فمن أعلمك بها؟ قال : الناس يسمعون بذكر البلدان ، فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم ، وقال : أنا رجل من أهل العلم ، وقد رغبت بالخروج معكم الى بلدكم ، ففرحوا به وأكرموه وقالوا : مرحبا بك نحن أحوج الى من يبصرنا في أمر ديننا ، ونحن نكفيك المؤونة ، وتحملك ، فأثنى عليهم وشكرهم ، وقال : لا حاجة لي عندكم ، وانما أردت وجه الله تعالى ، فارتحل معهم ، فكان يسامرهم ، ويروي لهم أحسن الاخبار، فأحبوه وأصغوا اليه والى قوله فكانوا يحدقون به اكراما وتبجيلا حتى قدموا « لاعة » ، فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة فتسامع به الناس وأقبلوا اليه من كل ناحية ، وهو مستعمل للورع وحسن السيرة حتى مالت اليه مخاليف المغرب «لاعة، وأقيان[4] وحجة وعزان ، وبلدان البياض[5] » فأمرهم بجمع زكاة أموالهم فاستعمل عليها منهم ثقات وعدولا يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه فأقام سنتين بعد قتل « محمد بن يعفر »[6]واختلاف بني حوال فيما بينهم ، فقال لهم : قد رأيت أن تبنوا موضعا منيعا يكون لبيت مال المسلمين ، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم

---

(١) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « معك من علم آل محمد شيء » .

(٢) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « بنو موسى » .

(٣) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٨٧ ــ ٨٨ . معجم البلدان ــ مادة عزان ــ

(٤) قرية كان بها ملك بني حوال ــ صفة الجزيرة : ٢٣١ ، وقد صحف الاسم في الاصل ، ولعل وجه الصواب ما اثبتنا .

(٥) معظم هذه البلدان ما تزال معروفة بذات الاسماء في منطقة حجة . انظر صفة الجزيرة : ٢٣١ ــ ٢٣٤ .

(٦) انظر الاكليل للهمداني : ١/١٧٧ ــ ١٨٦ من ط القاهرة : ١٣٨٦ هـ .

به فأجمعوا على بناء موضع يقال له « عثر محرم »[1] وهو جبل تحت مسور[2] وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين ــ المغرب ــ همدان، فلما بنى الجبل، وحصنه، حمل اليه كل ما يحتاج اليه بعد أن ساعده الى ارادته خمسمائة رجل ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، ثم انه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم ، وذلك بعد أن أخرج الحوالي عسكرا في جنح الليل الى مواضع كانوا فيه يقال له « الحيفة » في ناحية « لاعــة » فقتل من أصحاب المنصور اثنـــي عشر وارتكب « عثر محرم » بمعاملة لبني العرجاء وأنكر الناس أمره وأضرموا النيران لحربه فكتب اليهم اني ما طلعت هذا الجبل الا لأحصن به نفسي من السلطان ، فلم يقبلوا منه ، وجاءوا اليه فقاتلوه ، وقتل منهم بشرا كثيرا فعظم حينئذ شأنه ، وشاع الى جميع العشائر ذكره ، وبلغ الامير ذلك فكتب الى جميع العشائر حوله يحرضهم على قتاله ، فقاتلوه مرارا وهو ينتصر عليهم ، ثم استنجدوا عليه رجلا من سلاطين شاور يقال اه أبو اسماعيل وبالحوالي[3] صاحب صنعاء فأمدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلا كثيرا ، فازداد بذلك ذكره وعظم أمره ودخل في طاعته مــن كان حوله طوعا وكرها ، واستعمل الطبول والرايات وأظهر مذهبه ودعا الى عبيد بن ميمون ، وكان يقول والله ما أخذت هذا الامر بمالي ولا بكثرة رجالي وانما أنا داعي المهدي الذي بشر به ﷺ ، فانهمك اليه عامة الناس ودخلوا في بيعته ومذهبه ثم سمت به همته الى ارتكاب حصن في جبل مسور يقال له «فايز»[4] فيه خمسمائة رجل وأمور للحوالي ، فلم يزل الملعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلا منهم ، فارتكب الجبل بالليل ، فأصبح في رأسه وقصد من كان في « بيت فايز » ، وفتح له العشرون الذين

(١) في الاصل « عبر » وفي غاية الاماني : ١/٢٢٠ « عين » ولم نعثر لاي منهما على ذكر ، فقدرنا أنه تصحيف صوابه ما أثبتنا . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ ــ معجم البلدان . تاريخ ابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤ ــ ٣٨٨ .

(٢) انظره في صفة الجزيرة : ٣٤٩ تاريـخ اليمن لعمارة : ٢٣٤ ــ ٢٣٥ . معجـم البلدان . تاريخ ابن المجاور : ١٨٣ ــ ١٨٤ .

(٣) أي آل يعفر ، انظر الاكليل : ١٠/ ١٧٩ ــ ١٨٦ غاية الاماني ١/١٦٤ ــ ١٦٥ .

(٤) هو فائس عند الهمداني . صفة الجزيرة : ٢٦٧ ، الاكليل : ٢/٨٢ . وهو يعرف اليوم باسم « فائز » ومخرج حرف السين مقارب لمخرج حرف الزاي كما هو معلوم لذلك يختلف الرسم عند أصحاب المصنفات .

عاملوه،وقال: «ادخلوها بسلام آمنين[1]»،فقال المنصور : اخرجوا منها فانا داخلون، وسأله صاحب الحصن الامان على نفسه ومن معه ، فأمنهم ، فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلا نزل عن دابته ومشى اليه واعتنقه فزال عنه الرعب ، وقال له : ان معي مالا للسلطان فمن يقبضه ، فقال ــ المنصور لعنه الله ــ : لسنا ممن يرغب في مال السلطان ، وما طلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس ،وانما طلعت لاصلاح الاسلام والمسلمين ، خذ مال صاحبك فأده اليه ، فذكروا أنه لعنه الله طلع جبل مسور في ثلاثة آلاف رجل ، ومعه ثلاثون طبلا ، فكانت طبوله اذا ضربت سمعت الى المواضع البعيدة من المغرب ، ثم انه حصّن الحصن ودربه وبنى فيه دار الإمرة وهو بيت ريب[2] وهو أول من أسسه وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه ، ثم بنى بيت ريب ودرب الجبل من كل ناحية وجعل له بابين ، وبنى في بيت ريب قصرا وسماه دار التحية ، فعند ذلك أحل ما حرم الله ، وكان يجمع أصحابه في ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث اليهم بالعساكر فأبادهم وأخذ أموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا في طاعته كارهين ذلك واستولى على جميع مخاليف المغرب قهرا واستعمل عليهم رجلا من أهل مذهبه يقال له أبو الملاحف[3] فأقام بناحية جبل تيس[4] واليا للمنصور وخرج بنفسه وعساكره الى بلاد « شاور » فاستفتحها وحاصر صاحبها أبا اسماعيل الشاوري سبعة أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع الى مسور ثم خرج الى ناحية « شبام حمير[5] » فأقام يحاربهم مدة طويلة وخرجت عساكره الى ناحية المصانع من بلد حمير فأقام وهناك في مراكز لحمير، فتحموا عليه وقتلوا جماعة من عسكره فانهزموا الى مسور فغفل عنهم أياما يسيرة

---

(۱) سورة الحجر : ٤٦ .

(۲) انظره ووصفه في صفة الجزيرة : ٣٤٥ ــ معجم البلدان .

(۳) ذكر القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٦١ ، وعنه نقل الداعي المطلق ادريس القرشي في عيون الاخبار وفنون الاثار : ٥/٤٤ ــ ٤٥ ، ما يظن انه ولد أبي الملاحف واسمه عبد الله ، وانه وجه من اليمن في البداية برفقة أبي عبد الله الداعي ليتوجها نحو المغرب . انظر ما سبق في ص : ١٠٤ .

(٤) انظره في صفة الجزيرة : ١٢٣ .

(٥) شبام حمير الان موضع فيه قرية يقع الى الشمال الغربي من صنعاء ، وكان يعرف أيضا باسم جبل ذخار ، فيه حصن كوكبان الشهير ، وفي سفحه مدينة شبام وذلك من الشرق انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٦٥ ــ ٦٦ . ابن المجاور : ١٨٤ ــ ١٨٥ . تاريخ صنعاء : ٥٦٦ . صفة الجزيرة : ٢٣١ ــ ٢٣٤ .

وعامل رجلا يقال له الحسين بن جراح وكان في الضلع « ضلع شبام » واليا على أن يعضده على شبام ويكون أمرها اليه فعاقده على ذلك ، وخرج بنفسه وعساكره وقام الحسين بن جراح ففتح « شبام الاهجر » فأخرج منها بني حوال ، وحمل الى مسور جميع ما غنمه من ممالك بني حوال وأموالهم وأقام هناك شهرا ، وندم ابن جراح على ما كان منه من معاملته،وخاف على نفسه، وحالف رجلا يقال له ابن كيالة من قواد بني حوال ، كان واليا على صنعاء فجاش ابن كيالة[1] بقبائل حمير وهمدان وخالف ابن جراح القرمطي فصار فيوجهه وابن كيالة يقابله على درب شبام، فضاق حال الملعون القرمطي وخرج منهزما بالليل هو وأصحابه الى مسور ، فذكروا أنه ما خرج الا بنفسه وترك خيله وأقاما في شبام حتى رجع لهما القرمطي ثانية[2] وذلك عند دخول علي بن فضل صنعاء ، وأنا أذكر ما كان منهما لعنهما الله .

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلي بن فضل الى ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد ووجه اليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن وكان ذلك في سنة وتسعين ومائتين ، فلما وصلت هديته الى القداح وولده سرهما ذلك ، وقال لولده : هذه دولتك قد أقبلت .

ثم ان المنصور أقام في مسور الى أن جرى بينه وبين علي بن فضل الجدني اختلاف ومحاربة ، وأنا أشرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

وكان موت المنصور لعنه الله سنة اثنتين وثلاثمائة وولي الامر من بعده عبد الله ابن عباس الشاوري[3] .

---

(١) الحسن بن كياله من موالي بني يعفر . انظر سيرة الهادي : ٣٨٠ ــ ٣٩٣ .

(٢) انظر غاية الاماني : ١٩٢/١ .

(٣) انظر عيون الاخبار : ٤٤/٥ ، هذا وذكر الخزرجي في العسجد المسبوك ــ انظره فيما بعد ــ أن منصورا أوصى الى ابنه الحسن والى عبد الله الشاوري ، وبين ان منصور توجه الى المهدية ، حيث يبدو انه مكث هناك فترة من الزمن وشارك في العديد من الاحداث ، كما يبدو أنه كان شاعرا، وقد ذكر له الداعي ادريس عددا من القصائد في عيون الاخبار ٢٠٦/٥ ، ٢٧٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، وخلال اقامة الحسن في افريقية اوكلت المهدية امور الدعوة في اليمن الى الشاوري ، لكن بعدما عاد حسن بن المنصور الى اليمن اغتال الشاوري واستبد بأمور الدعوة .

باب ذكر علي بن فضل بن احمد الجدني لعنه الله :

كان من خبره أنه لما افترق هو المنصور بغلافقة ، خرج الى اليمن أيضا وفيها جعفر بن ابراهيم المناخي ، وخرج الى جعفر[1] من « أبين » وفيها رجل من الاصابح يقال له محمد بن أبي العلاء فخرج القرمطي الى جيشان ثم خرج الى « سرويافع »[2] فتفرسهم فعلم أنهم أسرع الناس الى اجابته فطلع رأس جبل وبنى فيه مسجدا وأخذ بالنساك والعبادة فكان نهاره صائما وليله قائما فأنسوا اليه وأحبوه وافتتنوا به ، ثم انهم قلدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم اليه فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم فقال لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال الا أن تعطوني العهود والمواثيق أن لا تشربوا الخمر ، ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر ، وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم ، فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ ارادته ، وأمرهم ببناء حصن في ناحية « سرو يافع » فأطاعوه وسمعوا لأمره ، ثم أنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبي العلاء وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعا وكرها ، وأمرهم أن يتخطفوا بلاد ابن أبي العلاء فاشتد بأسهم ، وكانوا لا يلقون جمعا الا هزموه وظفروا عليهم ، وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه لعنه الله ، فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن ابراهيم[3] ، كاتبه وفرح به ، وذلك لشحناء كانت بينه وبين ابن أبي العلاء لقرب القرمطي اليه فكاتبه جعفر على مطابقته على حرب ابن أبي العلاء ، ووجه من عنده عسكرا الى القرمطي وتعاقدا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبي العلاء بينهما نصفين فخرج القرمطي لحرب ابن أبي العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر ، فهزمهم ابن أبي العلاء وقتل منهم قتلا كثيرا وانهزم القرمطي الى « سبأ صهيب »[4] فلما كان الليل جمع أصحابه ، وقال اني أرى رأيا صائبا ، ان القوم قد أمنوا منا ، وقد علمتم ما فعلوا بنا وأرى أن نهجم عليهم ، فانا نظفر بهم ، فأجابوه الى ذلك ، وهجم عليهم الى « خنفر »[5] فقتل ابن

---

(١) اي مخلاف ــ منطقة ــ جعفر . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٨ ــ ٤٩ .

(٢) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٧ ــ ٥١ .

(٣) المناخي . انظر صفة الجزيرة : ١٣١ . الاكليل : ٢/٩٣ ــ ٩٥ .

(٤) انظر صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٥) بلدة كانت تقوم وسط وادي أبين هي الان انقاض . صفة الجزيرة : ٧١ الاكليل : ٢/١١١ .

أبي العلاء وعسكره واستباح ما كان له وأخذ من خزائنه تسعين ملحما في كل واحد عشرة آلاف[1] ، فلما رجع الى بلاد يافع ، عظم شأنه ، وشاع ذكره ، وأجابته قبائل مذحج بأسرها ، وزبيد ، ومالا يحصى عدده ، فلما بلغ ذلك جعفرا اغتم غما شديدا وسفر اليه ينظر ما عنده ، فسأله أن يقسم ما أخذ من « خنفر » فجمع القرمطي القبائل والعساكر ولقى السفير في أعظم زي من العدة والعدد ، فلما عرف السفير بما جاء به ، جمع العساكر ، وقال : ان جعفرا أرسل الي لما بيني وبينه من العهد بقسمة ما غنمت ، وقد أحضرتكم شهودا على تسليمه اليه لأني لا رغبة لي في المال ، انما قمت لنصرة الاسلام ، فشكروه على ذلك ثم أحضر المال فقسمه شطرين وسلم الى السفير ، وقال : انصرف الى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد لحربي ، وكتب معه كتابا اليه ، يذكر فيه : انه بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس وأنا قمت لأميت المظالم ، وأرد الحق الى أهله ، فان أردت تمام ما بيني وبينك فرد الظلامات الى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية[2] ما قطعت من أيديهم ، وذلك أن جعفرا قطع أيدي ثمانمائة رجل من أهل دلال على حجر المذيخرة ، يقال ان أثر الدم على الحجر الى اليوم ، فلما بلغه كتابه علم أنه منابذه الحرب فقطع مكاتبته

فلما كان العام المقبل خرج القرمطي بالجمع الكثير ، فدخل المعافر فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التعكر[3] وخرج في لقائه أكثر من ألف فارس فانهزم القرمطي موليا الى بلاد يافع فجمع جموعا كثيرة ، ورجع فهزم جموع جعفر الى المذيخرة ، فتبعه القرمطي ، فدخل المذيخرة وانهزم جعفر الى تهامة ، فأقام القرمطي في مذيخرة فاستنجد جعفر بصاحب تهامة ، فأنجده بعسكر عظيم فطلع حتى صار في موضع يقال له الرواهد بناحية « نخلة » فلما سمع به القرمطي خرج اليه في جنح الليل فظفر به وقتل جعفرا في الجوالة بنخلة[4] .

---

(١) من الدنانير ، ذلك أن خنفر شهرت بذهبها . صفة الجزيرة : ٧١ .

(٢) انظر صفة الجزيرة : ١٣٣ .

(٣) من معاقل اليمن الشهيرة والمتناهية القدم. انظر صفة الجزيرة: ١٠٢-١٠٤، ١٩٢.

(٤) لا زال وادي نخلة يحتفظ باسمه ، وجوالة حصن : ذكره الهمداني في صفة الجزيرة : ١٣١ ، وقال : « قتل فيه جعفر بن ابراهيم المناخي » وقد ذكر الهمداني بقية المواقع هذه في صفة الجزيرة : ١٣٠ — ١٣٤ . كما ذكر نسب المناخي وبعض اخباره في الاكليل : ٩٥/٢ — ٩٦ ، ١٧٧/١٠ — ١٨٦ . وكان مقتل المناخي سنة احدى وتسعين ومائتين او في السنة التالية . انظر سيرة الهادي الى الحق : ٣٨٩ . غاية الاماني : ١٩٤ — ١٨٥ .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله تعالى : وكان هـذا جعفر بن ابراهيم ظلوما ، غشوما سفاكا للدماء ، وانه قال في شعر له طويل قدر مائتي بيت في حرب كانت بينه وبين آبي جعفر الحوالي ، وظفر جعفر على الحوالي ، في [شبام آخر المحرم سنة تسع وسبعين ، و] من شعره[1] :

اذا ما تجعظروا[2] بطشنا بقدرة ... ونفعل ما شئنا وما تتجعظر
فما قبلنا ولا بعد بعدنا ... لمفتخر فخرا اذا عد مفخر
سوى الطيبين الطاهرين الذين هم ... من الرجس والعاهات والسوء طهر
سلالة اسماعيل ذي الوعد والوفا ... ودعوة ابراهيم والبيت يعمر
محمد الهادي النبي وصنوه ... علي وسبطاه شبير و[3] شبر
ونسلهم الهادين بالحق والتقى ... بطاعتهم رب السماوات يأمر
ومولاتي الزهراء التي عدل مريم ... وصهر رسول الله مولاي حيدر
رويدك عني بالملامة انني ... بها وبهم أزهو وأعلو وأفخر
ألا كل مجد ما خلا مجد أحمد ... وعترته من دون مجدي يقصر
وكل امرىء والى سوى آل أحمد ... فذاك الذي الدنيا مع الدين يخسر
بهم زادني الرحمن عزا ومفخرا ... فأحمده حمدا كثيرا واشكر
أنا ابن اسحاق منصور حمير ... وفارسها والشعشعان المظفر
فاولاي لم يخلق سرير ممهد ... ولولاي لم ينصب على الارض منبر
أنا قمر الدنيا وعمي سراجها ... وجدي الذي كانت به الارض تعمر
هم أنزلوني منزل العز حيث لا ... يراني الا دوني الطرف يحسر

---

(١) بالاصل : في شيء من شعره ، والزيادة والتقويم عن العسجد المسبوك للخزرجي نسخة الجامع الكبير في صنعاء : ٣٣ .

(٢) الجعظري : الفظ الغليظ ، المنتفخ بما ليس عنده ـ القاموس .

(٣) (Shafira) (Shafra) وقد جاء في سيرة ابن اسحق : ٢٤٧ « ... عن علي قال : لما ولد علي سميته حربا ، قال : فجاء رسول الله ﷺ ، فقال أروني ابني ، ماذا سميتموه ؟ فقلت حربا فقال رسول الله ﷺ : لا ولكن اسمه حسن ، فلما ولدت حسينا سميته حربا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني ماسميتموه؟ فقلت : سميته حربا ، فقال : لا ولكن اسمه حسين ... ثم قال : اني سميتهما بنبي هرون شبره وشبيرا ، يتول حسن وحسين » .

أصول ولا يعدى علي وأعتدي وأخمد نيران الحروب وأسعر
وطعمي للاعداء مر وعلقم وطعمي لأهل السلم شرب معنبر
ألم تر أن البغي مهلك أهله وان الذي يبغى عليه سينصر

رجع الحديث الى علي بن فضل القرمطي ـ لعنه الله ـ أنه لما قتل جعفرا أظهر كفره ، وادعى النبوة ، وأحل البنات والاخوات[1] ، وفي ذلك يقول شاعرهم على منبر الجامع في الجند :

خذي الدف يا هذه والعبي[2] وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة وهذي شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضي وان صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المرسين من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر الا كماء السماء حلالا فقدست من مذهب

والشعر طويل وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها .

ثم خرج يريد الحوالي[3] ، وخرج قبل ذلك الى بلاد « يحصب »[4] فدخل « منكث »[5] فأحرقها ثم خرج يريد الحوالي صاحب صنعاء ، فلما بلغ بلد «عنس»[6]، وكان للحوالي مأمور في وهران[7] فأرسل اليه القرمطي ليدخل فيما هم

---

(١) يمكن رؤية ما صنعه ابن الفضل على انه اعلان للقيامة ، العقيدة الاسماعيلية المعروفة . انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة : ٨٧ ـ ٨٩ .
(٢) في روايات اخرى : واضربي .
(٣) أي أسعد بن يعفر . انظر الاكليل للهمداني : ١٨٥/١ ـ ١٨٦ . تاريخ اليمن السياسي لمحمد يحيى الحداد . ط. القاهرة : ١٩٦٨ : ٥٣/٢ ـ ٥٦ .
(٤) مخلاف من مخاليف اليمن فيه قصر ريدان الشهير . صفة الجزيرة : ٢٧٨ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ ـ معجم البلدان .
(٥) تقع الى الشرق من يحصب، وتبعد عن بلدة يريم بحوالي ٢٠ كم . صفة الجزيرة: ٧٩.
(٦) في الشمال الشرقي من ذمار . انظر صفة الجزيرة : ٤٠٦ .
(٧) حصن في شمال ذمار ـ صفة الجزيرة : ١٤٩ .

عايه ، فأجابه الى ذلك ، فنزل اليه ودخل في ملته وقرمطته ، وكان معه خمسمائة فارس رجع منهم الى صنعاء الى الحوالي مائة وخمسون ، وخرج القرمطي يريد صنعاء فلما سمع به الحوالي ، وبالجموع التي معه ، وعلم أنه لا طاقة له به خرج من صنعاء هاربا الى الجوف ، فدخل القرمطي صنعاء ، فأقام فيها وأظهر فيها الفحشاء وأمر الناس بحلق رؤوسهم ، ثم التقى هو وصاحب مسور الحسن بن منصور الى شبام[1] فأقاما هنالك أياما ، وعلي بن فضل يكبر المنصور ، ويقول انما أنا سيف من أسيافك ، والمنصور يهابه ، ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته واقدامه ، فعزم على الخروج الى مخاليف « البياض »[2] فنهاه المنصور ، وقال له : قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق الا الاقل فعليك بالتأني والوقوف في صنعاء سنة ، وأنا في « شبام » فيصلح كل واحد ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر ، فانك ان خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ما ملكناه،فلم يقبل منه وقال : لا بد من الخروج ، واستفتح تهامة فخرج الى مخاليف البياض ، وهي بلاد وعرة فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفا أحاطوا به ، وقطعوا عليه الطرق ، ولم يقدر على التخلص ، فلما سمع المنصور خاف عليه ، وأغار اليه ، واستنقذه فرجع الى شبام ، وعاد الى صنعاء ، وخرج الى جبال حضور ثم الى حراز[3] ثم الى ملحان[4] ونزل المهجم[5] وقتل صاحبها وهو ابراهيم بن علي رجل من عك واستفتح الكدراء[6] ورجع الى ملحان وسرى بالليل الى زبيد وفيها المظفر بن حاج ومعه ستمائة فارس وهجم عليهم في

---

(١) شبام كوكبان غربي صنعاء ، بينهما يوم وليلة ، وهو جبل صعب المرتقى كان يسكنه آل يعفر ، والان عامر بالابنية الحديثة ــ صفة الجزيرة : ٨٦ ، ١٧٢ ، الاكليل : ٧١/٢ ــ معجم البلدان .

(٢) في سيرة الهادي : ٣٩١ ، حدث هذا سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وانه خرج يريد تهامة ، وهذا ما ذكره الخزرجي في العسجد المسبوك ، والبياض حصن قريب من صنعاء ــ معجم البلدان .

(٣) مخلاف قرب زبيد . معجم البلدان .

(٤) انظر صفة الجزيرة : ١٤٤ ــ ١٤٥ . معجم البلدان .

(٥) انظر صفة الجزيرة : ٢٥٨ ــ ٢٥٩ . معجم البلدان .

(٦) مدينة كانت ذات مكانة على شط وادي سهام ، كان « يسكنها خليط عك » القبيلة اليمانية المشهورة . صفة الجزيرة : ٧٤ . الاكليل : ٢٣٨/٢ .

أربعين ألفا فأحاط بعسكره ، فقتل المظفر بن حاج ، وكان المظفر مأمورا لصاحب بغداد[1] وسبى القرمطي من زبيد أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها الى الملاحيط ، وأمر صائحه وعسكره : يا جند الله فلما اجتمعوا اليه قال : قد علمتم أنا مجاهدون وقد أخذتم من نساء الحصيب[2] ما قد علمتم وان نساء الحصيب تفتن الرجال فيشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم من في يده فسميت الملاحيط المشاحيط[3] لذلك ، ثم رجع الى مذيخرة دار مملكته ، وأمر بقطع الحج[4] وقال : حجوا الى الحرف ، واعتمروا الى الثاني ، موضعان معروفان هنالك .

فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الاضداد مثل المناخي وجعفر بن الكرندي[5] والرؤساء ، وطرد بني (زياد) وكانوا رؤساء مخلاف جعفر ، ولم يبق له ضد يناوئه، عصا المنصور وخلع عبيد بن ميمون[6] الذي كان يدعو اليه فكتب اليه المنصور

---

(١) أي الخليفة العباسي المكتفي : ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م — ٢٩٥ هـ / ٨٠٨ م .

(٢) الحصيب هي قرية زبيد . صفة الجزيرة : ٧٣ .

(٣) شحطه تشحيطا: ضرجه بالدم، فتشحط : تضرج به، واضطرب فيه. القاموس.

(٤) ذكر صاحب غاية الاماني في حوادث سنة ٣٠٠ هـ : ٢٠٢ بأن ابن الفضل بعث قائدين من قواده وهما محمد بن درهم الجنابي، وحسن بن محمد بن ابي الملاحف الصنعاني الى مكة انظر ما تقدم .

(٥) بنو الكرندي قوم من زعماء المعافر من حمير . انظر تاريخ عمارة : ٨٧ ، ١٢٧ .

(٦) يستخلص من المصادر الاسماعيلية : أن مركز الدعوة في السلمية عانى قبيل ومع بداية حركة القرامطة من انقسامات خطيرة للغاية، اسهمت في الصراعات القرمطية الاسماعيلية في الشام ، ودفعت المهدي الى مغادرة السلمية نحو الرملة فمصر عاقدا النية في البداية على السفر الى اليمن ، لكنه عدل عن رأيه في مصر وقرر التوجه غربا . وفي الطريق من الشام الى مصر رافق المهدي عدد من أهله وبعض اعوانه ، على راسهم رجل عرف باسم فيروز ، وصفه الحاجب جعفر الذي كان من حاشية المهدي بانه كان «داعي الدعاة واجل الناس عند الامام واعظمهم منزلة، والدعاة كلهم اولاده ومن تحت يده ، وهو باب الابواب الى الائمة » وفي مصر وبسبب قرار التوجه غربا ولاسباب أخرى لا نعلمها فارق فيروز المهدي، ورفض البقاء معه ، وتوجه نحو اليمن ، فالتحق اولا بالمنصور الذي لقيه بالتبجيل والتعظيم، ذلك لان المنصور كان ــ كما قيل ــ قد انضم الى الدعوة الاسماعيلية على يدي فيروز وبوساطته ، وكتب المهدي الى منصور اليمن يسأله قتل فيروز ، وعلم فيروز بالامر فغادره والتحق بعلي بن الفضل « ففتنه وافسده » وكان سبب الخلاف بين ابن الفضل ومنصور . انظر سيرة الحاجب جعفر نشرت في مجلة كلية الاداب لجامعة القاهرة عام ١٩٣٦ : ٤/ ١١٠ ــ ١١٥ . عيون الاخبار : ٥/ ٩٢ ــ ٩٦ .

يعاتبه ويذكر ما كان من احسان القداح وقيامه بأمرهما وما أخذ عليهما من العهد لابنه فلم يلتفت الى قوله ، وكتب اليه انما هذه الدنيا شاة من ظفر بها افترسها ، ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة ، لأنه خلع ميمونا وابنه ، ودعا الى نفسه ، وأنا أدعو الى نفسي ، فاما نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي والا خرجت اليك وقد كان [أبو طاهر بن أبي] سعيد الجنابي(١) دخل مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا وقطع الركن يوم النحر ، وهو القائل لعنه الله :

فلو كان هذا البيت لله ربنا ... لصب علينا النار من فوقنا صبا
لأنا حججنا حجة جاهلية ... مجللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا ... كتائب لا تبغي سوى ربها ربا
ولكن رب العرش جل جلاله ... ولم يتخذ بيتا ولم يتخذ حجبا

في شعر طويل • وقد كان الخليفة(٢) ببغداد كتب اليه يذكر له ما فعل ويتوعده على ما استحل فأجابه أبو [طاهر بن أبي](٣) سعيد القرمطي :

« بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين •

من أبي [طاهر سليمان بن](٣) الحسن الجنابي ، الداعي الى تقوى الله القائم بأمر الله ، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ ، الى قائد الارجاس المسمى بولد العباس •

أما بعد — عرفك الله مراشد الامور ، وجنبك التمسك بحبل الغرور — فانه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك ، وذكرك ما وضعته من نظم كلامك ، وقمت به من فخامة اعظامك ، من التعلق بالاباطيل ، والاصغاء الى فحش الاقاويل من الذين يصدون عن السبيل ، فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك ، ونفاد منتهى طلبتك ، وتمكن أولياء الله من رقبتك ، وهجومهم على معاقل أوطانك ، ظفرا ، وسبيهم حرمك قسرا ، وقتل جموعك صبرا ، أولئك حزب الله « الا أن حزب الله هم

---

(١) اضيف ما بين الحاصرتين كيما يصح الخبر لان وفاة ابي سعيد جاءت قبل هذا .
(٢) المقتدر : ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م — ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م .
(٣) زيد ما بين الحاصرتين تقويما .

المفلحون »[1] وجند الله هم الغالبون . هذا وقد خرج عليك الامام المنتظر كالاسد الغضنفر في سرابيل الظفر ، متقلدا سيف الغضب ، مستغنيا عن نصر العرب ، لاتأخذه في الله لومة لائم ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم[2] » وقد اكتنفه العز من حواليه ، وسارت الهيبة بين يديه ، وضربت الدولة عليه سرادقها ، وألقت عنه قناع بوائقها[3] ، وانقشعت طخاء[4] الظلمة ، ودجنة الضلالة ، وغاضت بحار الجهالة ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون .

تالله غرتك نفسك ، وأطمعتك فيما لست نائله ، وسولت لك ما لست واصله ، فكتبت لي بما أجمعت عليه أذهان كتابك ، ذكرتني بالعيوب الشنيعة ، وقذفتني بالمثالب السمجة، تالله «ولتسألن عما كنتم تعملون»[5] فأما ما ذكرت من قتل الحجيج، واخراب الامصار ، واحراق المساجد فوالله ما فعلت ذلك الا بعد وضوح الحجة كايضاح الشمس ، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار ، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار ، فحكمت عليهم بحكم الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »[6] .

خبرني أيها المحتج لهم ، والمناظر عنهم ، في أي آية من كتاب الله أو أي خبر عن رسول الله ﷺ اباحة شرب الخمور ، وضرب الطنبور ، وعزف القيان ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الاموال من ظهور الايتام ، واحتووها من وجوه الحرام .

وأما ما ذكرت من احراق مساجد الابرار ، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد اذا توسطتها ، سمعت فيها الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ، بأسانيد عن مشايخ فجرة ، بما أجمعوا عليه من الضلالة ، وابتدعوا من الجهالة .

وأما تخويفك لي بالله ، وأمرك بمراقبته ، فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك، أترى اني أجهل بالله منك ، وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ، ومنعها

(١) سورة المجادلة : ٢٢ .
(٢) سورة المائدة : ٥٤ .
(٣) البائقة : الداهية ، جمع بوائق . القاموس .
(٤) الطخاء : السحاب المرتفع . القاموس .
(٥) سورة النحل : ٩٣ .
(٦) سورة المائدة : ٤٨ .

عن مستحقيها ، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان « آلله أذن لكم أم على الله تفترون[1] » .

وأما ما ذكرت أني تسميت بسمة عدوان ، فليس بأعظم من تسميك بالمقتدر بالله[2] أمير المؤمنين أي جيش صدمك ، فاقتدرت عليه ، أم أي عدو ساقك فابتدرت اليه ؟! لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين وانك لتقلد بعض خدمك شيئا من أمرك،فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى،فأي الامرين «أقرب للتقوى»[3] أوما علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعــلا فيهم .

وبعد : فمالك وللوعيد والابراق والتهديد ، اعزم على ما أنت عليه عازم واقدم على ما أنت عليه قادم ، والله من ورائي ظهير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ،والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته » .

قال محمد بن مالك الحمادي ــ رحمه الله تعالى : يرجع الحديث الى قصــة صاحب مسور ، وعلي بن فضل لعنهما الله تعالى .

وذلك أن صاحب مسور لما علم أن علي بن فضل غير تاركه ، كما ذكر في كتابه، عمد الى جبل مسور فحصنه ، وأعد فيه جميع ما يحتاج اليه للحصار ، وقال لأصحابه اني لأخاف هذا الطاغية ، ولقد تبين لي في وجهه الشر حين واجهته في « شبام » ، فلم يلبث علي بن فضل أن خرج لحرب المنصور ، واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب ، فدخل قرية « شبام » ، وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل الى موضع يقال له المصانع[4] من بلد حمير فضبطوا ذلك الجبل فزحف اليه فاقتتلوا من أول النهار الى الليل فخرج علي بن فضل على طريق العضد[5] ودخل « لاعة » مصعدا الى جبل الجمجمة[6] مقاتلا للمنصور فضرب فيها ورجع الى

(١) سورة يونس : ٥٩ .
(٢) المقتدر حكم : ٢٩٥ هـ/٨٠٨ م ــ ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م .
(٣) سورة المائدة : ٨ .
(٤) انظر صفة الجزيرة : ١٢٢ ، ٢١٧ ، ٣٢٢ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٠ .
(٥) جبال العضد من أعمال شبام . صفة الجزيرة : ١٢٣ .
(٦) من جبال اليمن الشاهقة . صفة الجزيرة : ٦٥ ، ٢٦٨ .

أصحاب حضور المصانع فلزموا بيت ريب[1] وضبطوا الجبل ، فأقسم أن لا يبرح حتى يستنزل المنصور ، فحاصره ثمانية أشهر وقيل ان المنصور حمل من سوق طمام[2] خمسمائة حمل ملح قبل وصول علي بن فضل وعق[3] لـه في الجبل عقا واسعا في موضع كثير التراب ، وأوقدوا فوقه الحطب أياما حتى استملح الجبل فصار ملحا كله ، ثم نقله الى الخزائن .

ثم ان علي بن فضل مل المقام ، فلما علم منه المنصور ذلك ، دس عليه في أمر الصلح ، فقال : لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته الا أن يرسل الي بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجا عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي ، فأرسل اليه ولده ودفعه بالتي هي أحسن ، فرجع الى « مذيخرة » فأقام عنده ولد المنصور سنة ثم رده الى أبيه وبره وطوقه بطوق من ذهب ، ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات ويرتكب الفواحش وأمر الناس باستحلال البنات والاخوات ، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ، ويأمر باطفاء السرج وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه ، وروي أن عجوزا محدودبة الظهر ، وقعت مع رجل منهم فلما تبنى[4] بهـا خلاها فتعلقت بثيابه وقالت « دوبد من ذي حكـم الامير »[5] فجرت مثلا .

ويقال ان أيامه لعنه الله كانت سبع عشرة سنة ، ومـات مسموما سنة ثلاث وثلاثمائـة

وكان سبب موته لعنه الله أن رجلا من أهل بغداد يقال انه شريف وصل الى الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، وكان في ذلك الوقت هاربا من القرمطي في

---

(1) لا يزال يحمل هذا الاسم ، وقال عنه الهمداني في صفة الجزيرة : ٣٤٥ : وبيت ريب حصن ذو عرقة منقطعة عليها قصور آل المنصور وحرمهم وأموالهم ،لامسلك لها غير باب واحد .

(2) سوق شهير للغاية كان في منطقة لاعه . صفة الجزيرة : ١١١ ، ٢٤٨ .

(3) عق : شق ـ القاموس .

(4) الابتناء والبناء : الدخول بالزوجة ـ النهاية لابن الاثير .

(5) « دو » في احدى لهجات اليمن « لا » وعلى هذا « دوبد » : « لابد » ومعنى الجملة « لابد من الذي حكم به الامير » أو ما يقارب هذا .

الجوف من بلد همدان مستجيرا ببني الدعام[1] ، وأن ذلك البغدادي وهب نفسه لله وللاسلام ، وقال للامير تعاهدني وأعاهدك أني اذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكا فيما يصل اليك ، فعاهده على ذلك ، وكان طبيبا حاذقا فخرج الى مذيخرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي ، يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطي بالحذق بالطب وفتح العروق ، وقالوا : ان مثلك لا يستغني أن يكون في حضرته مثله ، ثم انه احتاج الى اخراج الدم فأمره أن يفصده فعمد الى السم فجعله على شعر رأسه ، فدخل على القرمطي فسلم عليه فأمره أن ينزع ثيابه ، ويلبس غيرها ، ثم أخرج المبضع ، ثم مصه ، وعلي بن فضل ينظر اليه ، ثم مسحه برأسه فتعلق به من السم حاجته ، ثم فصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ، وخرج هاربا ، فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد فلحقوا به دون « نقيل صيد[2] » بازاء قينان[3] فقتلوه هنالك رحمه الله تعالى ومات القرمطي[4] لا رحمه الله .

---

(١) انظر الاكليل : ١٠/١٧٧ ــ ١٨٦ حيث قال الهمداني « الدعام بن ابراهيم ، سيد همدان في عصره ، والزائد على من تقدمه نجدة وفروسية وجودا وحلما ودهاء وثباتا ووفاء وصبرا وصونا » هذا وللدعام ذكر طويل في سيرة الهادي الى الحق: ٩١ ــ ٣٩٥ .

(٢) النقيل عند أهل اليمن العقبة اي الاكمة المرتفعة ، ونقيل صيد اوعر نقطة على الطريق الذي يعتبر حدا فاصلا بين اليمن الاعلى واليمن الاسفل. صفة الجزيرة: ٣٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ .

(٣) تقع قينان في سافله يحصب السفل من بطن السحول ليس بعيدا عن اب بجوار رفود وشمال مركز المخادر ــ صفة الجزيرة : ١٠٤ . الاكليل : ٢/٢٣٤ .

(٤) تتفق رواية الخزرجي مع هذه الرواية مع زيادة بالتفاصيل ، انما جاء في سيرة الهادي ٤٠٣ « وأصاب ابن فضل ــ لعنه الله ــ مرض في بدنه ، فتفجر من أسفل بطنه ، واماته الله على أسوا حال ــ لعنه الله ــ وكانت وفاته يوم الاربعاء للنصف من شهر ربيع الاخر » لسنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م . هذا وذكر الداعي المطلق ادريس القرشي في كتابه عيون الاخبار : ٥/٤٣ ــ ٤٤ ، انه بعدما قامت الخلافة الفاطمية امر المهدي«رجلين من اهل دعوته،وممن فيحضرته حتى وصلا الى مدينة صنعاء، وتسميا انهما طبيبان ، حتى دخل احدهما على ابن فضل ــ لعنه الله ــ ففصده وجعل في مفصده سما قاتلا وخرج من عنده ، وبادر الهرب هو وصاحبه ، ومات

وولى الامر من بعده ولده الفأفاء[1] وشاع موته في الناس ووصل الى الحوالي جماعة من رؤساء الناس : بنو المحابي والانبوع وغيرهم فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة فدخل التعكر[2] ثم تقدم الى جبل التومان[3] ، فحاصر القرامطة ، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة ، لا يخرج لهم جمع الا هزموا ، أو قتلوا ، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره .

قال الله تعالى « انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون[4] فأقام يحاصر القرامطة سنة ويقال ان من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه[5] وقتل القرامطة وأحيا الاسلام .

ابن الفضل لعنه الله ، وعجل الله بروحه الى النار ، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار ، وأخذ أصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين فصداه ، ومازالوا يتبعوهما ويسألون عنهما حتى انتهيا الى موضع تحت نقيل صيد فأدركا هنالك، وقتلا رحمة الله عليهما » وبرغم مـا ذكره الداعي ادريس مع المصادر المتأثرة بالروايات الاسماعيلية نجد صاحب غاية الاماني : ٢٠٨/١ يذكر في حوادث سنة ٣٠٣ هـ : « وفي هذه السنة اراح الله العباد ، وطهر البلاد ، بهلاك قائد العاصين ورئيس المفسدين علي بن فضل ــ لعنه الله ــ وكانت وفاته الى عذاب الله في يوم الاربعاء منتصف شهر ربيع الاخر ، بعد ألم الم به ، وطرف من تعجيل عقوبته ، « ولعذاب الاخرة أخزى وهم لا ينصرون » ــ فصلت : ١٦ ــ ودفن بالمذيخرة » .

(١) كذا في الاصل ، وفي النفس شيء منه ، فلعله تصحيف « فضل » هذا ولم تذكر المصادر التي تعرضت لعلي بن الفضل وما جرى بعده اسم ابنه ، بل تحدثت عنه دون تبيان اسمه .

(٢) سبق ذكره بأنه من أمنع حصون اليمن واقدمها ــ انظر صفة الجزيرة : ١٠٤ .

(٣) في الجنوب الشرقي من جبل المذيخرة فيه عسكر اسعد بن أبي يعفر ، لحصار القرامطة وكان ذلك سنة ٣٠٤ هـ . انظر صفة الجزيرة : ٢١٣ .

(٤) سورة الصافات : ١٧٢ ــ ١٧٣ .

(٥) وصفه الهمداني ، وهو من معاصريه ، في الاكليل : ١٨٤/٢ ــ ١٨٦ ، بقوله : « واسعد هو أبو حسان ، ملك عصرنا ، وذهب على من قبله بالصوت، وهو الذي اجتث عرقاة القرامطة باليمن ، وهو فارس حمير في عصره ، والقائل : اذا تم لي مقدم الحصان فيأكل مؤخره الذئب ، وجوادها ومهيبها ، وله تواقيع معجزة لا يجارى فيها مع حسن السياسة ، وعظم الدهاء ، وبعد الفور ، وكتمان ما في النفس ، واذا غضب غضب ، واذا رضي رضي ، لا بعدة له على قومه ولا عصبية له ، ولا ولد له ، فدرج ، وتوفي يوم السبت لثمان خلون من شهر رمضان من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، واخباره وسيره تكثر » .

ليس كولاة الامر من أهل زماننا الذين غرقوا في اللذات ، واتبعوا الشهوات ولم يرغبوا في المكارم والنجدات ، وعظوا فلم يتعظوا وناموا فلم يستيقظوا ، ونظروا ما حل بغيرهم فلم يعتبروا ، وقد قيل في المثل السائر •

واذا رأيت أخـوك يحلق رأسـه   أوشكت بعـد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته ، وجار عليها في حكمه وقضيته ، دل علـى زوال مملكته وتعجيل منيته ، وقد قال الاول :

ومن رعـى غنمـا في أرض مسبعة   ونـام عنهـا تولى رعيهـا الاسد

واذا فرط الراعي في أمر رعيته ، وطاوع نفسه الدنية ، وذهبت عنه الانفـة والحمية ، فقد عظمت عليه البلية ، وقال الافوه الاودي :

لا يصلح القوم فوضي لا سراة لهم   ولا سراة اذا جهالهـم سادوا
تهدي الامور بأهل الرأي ما صلحت   فـان تولت فبالاشرار ينقـادوا[1]

رجع الحديث الى محاصرة الحوالي،فروي أنه نصب المنجنيقات فهدم المذيخرة بعد سنة ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبى بنات القرمطي وكن ثلاثا ، فصارا اثنتين في رعين وواحدة وهبها الامير لابن أخيه قحطان، وأباد الله القرامطة على يد الامير الحوالي بمنه وسعادته ، وجعل لا يسمع بأحد منهم الا قتله ، ورجع الى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك ، وملك جميع البلاد ، وزالت الفتنة ، وأراح الله من القرامطة ، وطهر منهم البلاد ، وأمن متهم العباد ، وسار الامير في الناس بأحسن سيرة ، وعدل في الرعية ، ورد بني المحابي[2] الى مخلاف جعفر ، وجرت المكاتبة بين الامير الحوالي ، والامير ابراهيم بن زياد[3] والناصر أحمد بن

---

(١) هو صلاة بن عمرو من مذحج ، ويكنى أبا ربيعـة ، انظره وابياته في الشعـر والشعراء لابن قتيبة ـ ط. ليدن ١٩٠٢ م : ١١٠ ـ ١١١ .

(٢) بنو المحابي من الكلاع ، منهم ابو يعقوب وهو الذي عاصر اسعد الحوالي ، وفي النفس شيء من قوله : ردهم الى مخلاف جعفر . انظر الاكليل : ١٩٥/٢ . تاريخ عمارة : ٤٦ ـ ٥٨ .

(٣) حول تاريخ ملوك بني زياد في تهامة وزبيد . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٦ـ٥٨ تاريخ ثغر عدن ـط. بريل ١٦٣٦: ٢ـ١٦٣ـ١٧ . تاريخ اليمن السياسي: ٤٥ـ٥١

يحيى الامام الهادي صاحب صعده[1] وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتـل القرامطة حيث ما وجدوا ، وذكروا أنه كان يوجد عنوان : كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة ، والارض فيما بيننا قد حصلت في شبكة ، وكان الخارج اذا خرج من بلد أحدهم لذنب أذنبه كاتب فيه ، وسأل الصفح عنه ، وصفت لهم المعيشة ، واستقامت لهم الدولة ، ولزم كل واحد منهم بلده ، ولم يطمع واحد على صاحبه ، وألف الله بين قلوب المسلمين ، ولم يبق من القرامطة الا شرذمة قليلة من أولاد المنصور في ناحية مسور ، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن ابراهيم ، والناصر بن يحيى ، وأنا أذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى .

باب ذكر أولاد المنصور :

مات لعنه الله سنة اثنتين وثلاثمائة واستخلف على أهل دعوته رجلا يقال لـه عبد الله بن عباس الشاوري [وأوصى اليه] والى ولده أبي الحسن المنصور ، وقال : « قد أوصيتكما بمبدأ الامر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون ، فنحن من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به اليهم ما صار الينا من الملك ما قد نلناه ، ولا تم لنا في الرئاسة حال ، فعليكما بمكاتبة القائم منهم ، واستيراد الامر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدي يعني عبيد بن ميمون حتى يرد أمره بولاية أحدكما، ويكون كل واحد منكما عونا لصاحبه » .

وقد كان لعبد الله بن عباس ، عند عبيد بن ميمون سابقة ومعرفة ، لأن المنصور قد كان ـــ لعنه الله ـــ بعثه مع أبي عبد الله الشيعي الخارج بكتامة من بلاد الغرب على ما أذكره فيما بعـد .

ثم ان عبد الله بن عباس كتب الى عبيد بن ميمون المسمى بالمهدي ، بموت المنصور ، وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهدية[2] بالغرب،وأنه قام بمذهبه من بعد

---

(١) بعد وفاة الهادي الى الحق خلفه ابنه الامير المرتضى ، لكن هذا الامير تخلى عن الحكم سنة ٢٩٩ هـ/٩١٢ م ، وبعد تخليه جاء اخوه الناصر احمد الى صعدة لانه كان غائبا في الحجاز ، وفي صعدة بويع خلفا لاخيه . انظر سيرة الهادي : ٤٠٠ ـــ ٤٠٧ . تاريخ اليمن السياسي : ٦٣ ـــ ٦٨ .

(٢) معروفة في الجمهورية التونسية ، ما تزال تحوي العديد من آثار الفاطميين .

المنصور ، ودعا اليه ، وأنه لم يبق الا استيراد الامر ، ويسأله الولاية لنفسه وعزل أولاد المنصور وخرج ولـد المنصور بنفسه الـى القيروان يسأل الولاية لنفسه ، ولا ينزع الامر منهم بعد أبيهم وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه ، وولاه الامر ، وكتب له ، فلما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس وبعث لابن عباس بسبع رايات : فرجع ولد المنصور الى مسور ، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية، فلقيه عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته فبجله وعظمه ، ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطي لعنه الله ، فسألوه بما ورد به الامر فعرفهم بصرف الامر عنهم الى عبد الله بن عباس دونهم ، فتبين لجعفر في وجه أخيه أبي الحسن الشـر والعداوة لابن عباس والحسد ، فنهاه عن ذلك ، وقبح عليه وزجره ، وقال له : أنت تعلم أنه غرس أبينا ، وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الامر ، قال : والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه ، فقال له أخوه جعفر : ان أمرنا اذاً يتلاشى ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك ، فلم يلتفت الى قوله وكتم السر نفسه ، وكان أولاد المنصور لا يحجبون عـن أبي العباس ليلا ولا نهارا ، فوثب عليـه أبو الحسن بن المنصور ، فقتله غدرا ، وولي الامر من بعده فولي ما كان أبوه يلي ، ورجع الى مذهب الاسلام ، وجمع العشائر من بلده وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه ، فأحبه الناس ، فدخل عليه جعفر ، فقبح ما فعله ، وقال : قطعت يدك بيدك ، فلم يلتفت الى قوله وخرج جعفر الى ولد عبيد المسمى بالقائم[1] ، فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه :

فكنتـم وأنتـم تهدمون وأبتنـي فشتـان من يبني وآخـر يهـدم

وتتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم ، فأباد القرامطة ، وبقي منهم قوم يتكتمون منه ، وأقاموا ناموسهم برجل منهم ، وكان لا يقطع مكاتبة بني عبيد، ثم ان أبا الحسن خرج من مسور الى عثر محرم وفيه يومئذ رجل من بني العرجاء ، واستخلف أبو الحسن على مسور رجلا يقال له ابراهيم بن عبد الحميد السباعي وهو جد بني المنتاب فوثب ابن العرجي على أبي الحسن فقتله ، فلما انتهى الخبر الى

(١) حكم القائم الفترة : ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م — ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م .

ابراهيم بن عبد الحميد السباعي لزم مسورا ، وادعى الامر لنفسه وأخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور الى جبل ذي عسب[١] فوثب عليهم المسلمون من أهل المغرب[٢] فقتلوهم الصغير والكبير ، وسبوا حريمهم ولم يبقوا على وجه « الارض من الكافرين دياراً » ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمد الله ومنه .

ثم ان ابراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجي ، واقتسما بينهما نصفين، لكل واحد منهما ما يليه ، ورجع ابراهيم عن مذهب القرامطة وكان أبوه من كبار قواد المنصور وأصله من قدم من حمير وكان أبوه قتل في مخلاف البياض[٣] لأن المنصور كان أخرجه الى هنالك بالعساكر ثم إن ابراهيم بنى في بيت ريب مسجدا ، ونصب منبرا وخطب لأمير المؤمنين من بني العباس ، وكاتب الامير أبا الحسن بن ابراهيم بن زياد ، وبذل له من نفسه السمع والطاعة ، والدخول في الخدمة ، وسأله أن يبعث اليه محاضر من قبله يكون عنده ، فأرسل رجلا يقال له السراج وقال له : اذا تمكنت قبضت على ابراهيم بن عبد الحميد ، فوصل من زبيد ، ولقيه ابراهيم بن عبد الحميد الى بيت ريب ، وطالع ابراهيم بن عبد الحميد الى حصن في رأس الجبل وكان ينزل اليه كل يوم يصحبه ويعظم حقه ، ثم ان السراج عامل على ابراهيم ناسا من أهل الجبل فنزل اليه يصحبه ، فلقيه رجل من المعاملين فأخبره بالمعاملة فرجع الى حصنه فضرب الطبول ، فاجتمع اليه الناس ، وكان فيه من أهل دولته فدخل على السراج ، فقبض عليه ، فأمر بحلق لحيته ، ونفاه عن بلده وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد ، واستمر أمره ، وجعل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبي ذراريهم ، فبقي منهم قليل في ناحية جبل مسور ، فأقاموا قرمطيا منهم يقال له ابن الطفيل[٤] ، فسمع بـه ابراهيم بن عبد الحميد ، فخرج اليه فقتله ، وتفرق من بقي من أصحابه الى نواحي عمان وقطابه[٥] وانكتم أمرهم عن ابراهيم .

---

(١) انظر صفة الجزيرة : ١٨٧ .
(٢) اي مغرب اليمن .
(٣) سبق تعريفه ، حيث قال ياقوت : حصن باليمن من اعمال الحقل قرب صنعاء .
(٤) يوسف بن موسى بن الطفيل . صفة الجزيرة : ١١٣ .
(٥) قطابة واد وسوق شمال همل التي هي واد كثير الاشجار موبوء يقع اسافل مركز كحلان عفار . صفة الجزيرة : ١١٣ .

ثم انهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له ابن رحيم ، وذلك في أيام المنتاب ، بعد موت أبيه ابراهيم، وكان ابن رحيم هذا لا يستقر في موضع واحد ، خوفا من المنتاب ومن المسلمين ، وهو يكاتب ابن عبيد ، وذلك بعد خروج المعز من القيروان الى بلاد مصر عند بنائه القاهرة المنسوبة اليه ، فلم يزل ابن رحيم يكاتب أهل مصر المعز ومن بعده ، وينهى أخبار أهل اليمن حتى مات لا رحمه الله • واستخلف على من بقي من القرامطة لعنهم الله رجلا يقال له يوسف بن الاسد من أهل شبام حمير فأقام لعنه الله يدعو الى الحاكم ويبايع له على وجه السر حتى مات لعنه الله •

واستخلف على مذهبه رجلا يقال له سليمان بن عبد الله الزواخي[1] من حمير ، من ضلع شبام من موضع يقال له الخنن[2] فأقام يدعو الي الحاكم والى المستنصر ، وكان الملعون كثير المال عظيم الجاه فاستمال الرعاع والطغام الى مذهبه ، وكان في أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بني عبيد بن ميمون الملعون ، وقد عرف بذلك وتسب اليه فكل ما هم به المسلمون من حمير وشبام ، وما حوله من القبائل ، دفعهم بالجميل وقال لهم أنا رجل مسلم ، فكيف يحل لكم قتلي فينتهون عنه •

وكان فيه كرم نفس وكان يكرم الناس ويتلطف بهم فلم يزل كذلك حتى مات لا رحمه الله •

باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين :

وكان هذا الصليحي المسمى علي بن محمد كثير الخلطة به والمعاشرة وكان أحظى من عنده ، وأطوع أهل مذهبه له ، وكان يأتيه من بلد الاخروج وهو سبع من أسباع حراز[3] وكان الصليحي الملعون شهما شجاعا مقداما ، فلما عرفه سليمان

(١) نسبة الى قرية الزواخي من اعمال حراز ، وقد ضبط كل من البكري في معجم ما استعجم وياقوت في معجم البلدان « الزواخي » بالخاء المعجمة ، في حين أن السيوطي في لب اللباب والاكوع في صفة الجزيرة : ١٠٣ — ١٥٤ وتاريخ اليمن لعماره : ٩٥ « بالحاء المهملة » .

(٢) بلد وجبل غربي المذيخرة . صفة الجزيرة : ١٠٢ — ١٠٣ .

(٣) قال الهمداني في صفة الجزيرة ١٠٨ : « وأرض حراز ، وهي سبعة اسباع : حراز ، وهوزن ، ولهاب ، ومجيح ، وكرار ، ومسار ، وحراز المستحرزة .

بذلك، وحضرته الوفاة لا رحمه الله أوصاه بأهل مذهبه ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، وسلم اليه مالا كثيرا قد كان جمعه من أهل مذهبه ، ثم ان الصايحي الملعون أرسل الى القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة ومواضع متباينة ووعدهم بالوصول اليه ليوم معلوم ، فلما وصلوا اليه طلع بهم مسار[1] وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادى الاولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائةوطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلا[2] فلما استقر بالجبل كتب[3] الى صاحب مصر ، وهو المستنصر من بني عبيد ووجه اليه بهدايا سبعين سيفا مقابضها عقيق ، واثني عشر سكينا نصبها عقيق لأن للعقيق عندهم قدرا ، لانه ، لا يكون الا في اليمن وخمسة أثواب وشي ، وجام عقيق ، وفصوص عقيق مع اهليلج كابلي[4] ومسك وعنبر .

فوجه معه المستنصر اليه برايات وألقاب ، وعقد له الولاية ، وكان سفيره خاله أحمد بن المظفر ، وأحمد بن محمد الذي انهدمت عليه الدار بعدن ، وهو أبو زوجة المكرم[5] المسماة بالسيدة بنت أحمد[6] .

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون الى قوله فانه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن اليهم ، لقد سمعته مرارا وأسفارا وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف ما نحن نخفيه ، وزوال هذه الشريعة المحمدية ، والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين .

خلعت العذر ولم أستتر وأظهرت ما ليس بالمظهر
وبحت بما كنت أسررته من الغي والمذهب الأخسر
وتبت الى الله مستغفراً منيبا انابة مستغفر

---

(١) مسار حصن عال عظيم الشأن فيه قرى ومزارع منه أعلن الصليحي ثورته . صفة الجزيرة : ١٠٨ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٤ — ١٢٨ . تاريخ ثغر عدن : ١٥٩ — ١٦٤ غاية الاماني : ١/٢٤٧ .

(٢) وقيل غير هذا . انظر تاريخ عمارة مع تعليقات الاكوع : ١٠١ — ١١٦ .

(٣) في تاريخ عمارة : ١١٨ ان هذا كان سنة ثلاث وخمسين .

(٤) ثمر . قال عنه صاحب القاموس « معروف » انظر المعرب للجواليقي .

(٥) هو احمد بن علي الصليحي خلف اباه بعد مقتله . تاريخ عمارة : ١٢٧ — ١٣٦ .

(٦) انظر تاريخ عدن : ١٩٤ .

وحرمت ما كنت حللته — لقومك من كل مستنكر
وحذرت من فعلك العالمـ — ـين وعدت الى المنهج الأنور
فاني جئت نحوك مستغفرا — فبالله بالله لا تغفر
أتحسبني آنثني صبوة — الى رائق اللون والمنظر
وحاشا لمثلي أن ينثني — الى الكفر والمذهب الأغبر
فإن لم يكن غير هجر الملاح — فلا زال ذاك الى المحشر

عباد الله اني لم أزل أتلطف بخاصته ، وأهل مذهبه ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه ، وضلالته وكفره وبدعته ، وأعماله الشنيعة ، وضلالته الفظيعة ، التي تنكرها القلوب ، وتشمئز منها النفوس .

وذلك أن الصليحي[1] ومن على مذهبه ، يدعون الى ناموس خفي ، كل جهول غبي ، بعهود مؤكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان ما بويع عليه ودعي اليه ، وأنه لا يكشف لهم سرا ، ولا يظهر لهم أمرا ، ثم يطلعه على علوم مموهة ، وروايات مشبهة يدعوه في بدء الامر الى الله ورسوله ــ كلمة حق يراد بها الباطل ــ ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ ، فاذا انقاد له وطاوعه ، أدخله في طرق المهالك تدريجا ، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفا وتعويجا ، بكتب مصنعة ، وأقوال مزخرفة الى أن يلبس عليه الدين، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين، وقصارى أمره ابطال الشرائع ، وتحليل جميع المحارم ، فسارع اليه من لم يكن له بالشرع معرفة لأنه صادف أكثر الناس عواما فأجابه الى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل بالاسلام ، من جنب وسنحان ويام[2] فحرم الحلال وأحل الحرام ، وناقض بجهده الاسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج الى بيت الله الحرام ، فأهلكهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق .

«آخر رسالة محمد بن مالك رحمه الله رحمة الابرار ، ووقاه عذاب النار »

---

(١) جاءت وفاة الصليحي سنة ٥٤٩ هـ، ويبدو أن المصنف لم يدرك وفاة الصليحي .

(٢) جنب وسنحان من قبائل مذحج سكان السراة ، ويام من همدان تقطن نجران ما تزال تعرف باسمها ومعتقدها حتى يومنا هذا . انظر الاكليل : ١٠/٦٥ــ٩٠ . تاريخ عمارة : ١٠٣ .

كتاب

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

القرامطة

[سنة ٢٧٨ هـ]

وفيها وردت الاخبار ، بحركة قوم يعرفون بالقرامطة ، وهم الباطنية وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين ، وجحدوا الشرائع ، وأنا أشير الى البدايات التي بنوا عليها ، ثم الى الباعث لهم على ما فعلوا من نصب دعوتهم ثم الى ألقابهم ، ثم الى مذاهبهم وعلومهم، أما البدايات التي بنوا عليها فانه لما كان مقصودهم الالحاد تعلقوا بمذاهب الملحدين مثل زرادشت[1] ومزدك ، فانهما كانا ينتحلان المحظورات ، وقد سبق في أوائل هذا الكتاب شرح حالهما وما زال أكثر الناس مع أعراضهم،لايدخلون في حجر يمنعهم اياها ، فلما جاء نبينا ﷺ ، فقهر الملك ، ومنع الالحاد أجمع جماعة من الثنوية والمجوس والملحدين ، ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين ، فأعملوا آرائهم ، وقالوا : قد ثبت عندنا أن جميع الانبياء كذبوا وتمخرقوا على أممهم ، وأعظم الكل بلية علينا محمد فانه نبغ بين العرب الطغام ، فخدعهم بناموسه ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت مدتهم ، والآن قد تشاغل أتباعه ، فمنهم مقبل على كسب الاموال ، ومنهم على تشييد البنيان ومنهم على الملاهي ، وعلماؤهم يتلاعنون ويكفر بعضهم بعضا ، وقد ضعفت بصائرهم ، فنحن نطمع في ابطال دينهم ، الا انا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم ، فليس الطريق الا بانشاء دعوة في الدين ، والانتماء الى فرقة منهم ، وليس فيهم فرقة أضعف عقولا من الرافضة ، فندخل عليهم بذكر ظلم سلفهم الاشراف من آل نبيهم ، ودفعهم عن حقهم،

---

(١) ينسب اليه تأسيس الديانة الزرادشتية ، التي دانت الامبراطورية الساسانية بها حتى سقوطها، وقامت عقيدتها على اساس الصراع بين قوتين الهيتين،واحدة نورانية للخير ، واخرى مظلمة شريرة [اهورامزدا واهرمان] ومن صراعهما ولد الانسان المادي المظلم والروحاني المنير ، ومزدك قام في القرن السادس للميلاد يحاول اصلاح الديانة والمجتمع ، فكان أول اشتراكي في التاريخ ، وقد قضي على حركته من قبل كسرى انوشروان الاول .

وقتلهم وماجرى عليهم من الذل لنستعين بهؤلاء على ابطال دينهم،فتناصروا وتكاتفوا وتواثقوا وانتسبوا الى اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق ، وكان لجعفر أولاد منهم اسماعيل الاعرج ، ثم سول لهم الشيطان آراء ومذاهب أخذوا بعضها من المجوس ، وأخذوا بعضها من الفلاسفة ، وتمخرقوا على أتباعهم ، وانما قصدهم الجحد المطلق ، لكنهم لما لم يمكنهم توسلوا اليه ، فقد بان ذلك بما ذكرت ، ومن البدايات التي بنوا عليها ، الباعث لهم على ما فعلوا من نصب الدعوة •

وأما ألقابهم فانهم يسمون الاسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطة ، والخرمية ، والبابكية ، والمحمرة ، والسبعية والتعليمية ، فأما تسميتهم بالاسماعيلية ، فبانتسابهم الى اسماعيل بن جعفر على ما ذكرناه ، وأما تسميتهم بالباطنية فانهم ادعوا أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر ، وأنها توهم الأغبياء صورا وتفهم الفطناء رموزا واشارات الى حقائق خفية ، وأن من تباعد عن العرض على الخفايا والبواطن متعثر ، ومن ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكلف واستراح من أعبائه ، واستشهدوا بقوله تعالى « ويضع عنهم آصرهم والاغلال التي كانت عليهم[1] » ، قالوا : والجهال بذلك هم المرادون بقوله : « فضُرب بينهم بسور له باب »[2] وغرضهم فيما وضعوا من ذلك، ابطال الشرائع ، لأنهم اذا صرفوا العقائد عن موجب الظاهر حكموا بدعوى الباطن ، على موجب الانسلاخ عن الدين •

وأما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة أقوال :

احدها : أنهم سموا بذلك لأن أول من أشير لهم بتلك الجهة محمد الوراق المقرمط ، وكان كوفيا •

الثاني : أن لهم رئيسا من السواد ، من الانباط يلقب بقرمطويه فنسبوا اليه•

الثالث : أن قرمطا كان غلاما لاسماعيل بن جعفر فنسبوا اليه ، لأنه أحدث لهم مقالاتهم •

الرابع : أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى قرمط بن الأشعث ، ثم أدخله في مذهبه •

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ .

(٢) سورة الحديد : ١٣ .

الخامس : أن بعض دعاتهم يقال له كرميته ، فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ، ثم خفف الاسم فقيل قرمط .

قال أهل السير : كان ذلك الرجل الداعي من ناحية خوزستان ، وكان يظهر الزهد ، والتقشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، ويحفظ للقوم ما صرموا من نخلهم في حظيرة ، ويصلي أكثر الناس ، ويصوم ، ويأخذ عند افطاره من البقال رطلا من التمر ، فيفطر عليه ، ويجمع نواه فيدفعه الى البقال ، ثم يحاسبه على ما أخذ منه ، ويحط من ذلك ثمن النوى فسمع التجار الذين صرموا نخلهم ، فوثبوا عليه ، وضربوه ، وقالوا : لم ترض بأن أكلت التمر حتى بعت النوى ، فأخبرهم البقال في الحال ، فندموا على ضربه ، وسألوه الاحلال ، فازداد بذلك نبلا عند أهل القرية ، وكان اذا قعد اليه انسان ، ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، ثم أعلم الناس أنه يدعو الى امام من أهل بيت رسول الله ﷺ ، ثم مرض ومكث مطروحا على الطريق ، وكان في القرية رجل يحمل على أثوار له ، وكان أحمر العينين ، وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية حار العين ، فكلم البقال — كرميته هذا — في أن يحمل هذا العليل الى منزله ، ويوصي أهله الاشراف عليه ، والعناية به . ففعل فأقام عنده حتى برىء ، ثم كان يأوي الى منزله .

ودعا أهل القرية الى أمره فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل اذا دخل في دينه دينارا ، ويزعم أنه يأخذ ذلك للامام ، فمكث يدعو أهل القرى فيجيبونه ، واتخذ منهم اثني عشر نقيبا ، وأمرهم أن يدعو الناس الى دينه ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى بن مريم عليهما السلام ، فشغل أكره[1] تلك الناحية عن أعمالهم بما رسمه لهم من الخمسين صلاة التي ذكر أنها فرضت عليهم ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير اكرته في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن رجلا قدم عليهم ، فأظهر لهم مذهبا من الدين،وأعلمهم أن الله عز وجل قد افترض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وقد اشتغلوا بها ، فوجه اليه فجيء به فسأله عن أمره فأخبره بقصته ، فحبسه في بيت ، وحلف بقتله وأقفل عليه ، وترك المفتاح تحت وسادته ،

(١) اي الاجراء والعمال .

فنام فرقت له جاريته فأخذت المفتاح ، وفتحت وأخرجته ، ثم أعادت المفتاح الى موضعه فلما أصبح الهيصم فتح الباب فلم يجده ، فشاع ذلك الخبر بين أهل تلك الناحية وقالوا : قد رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ولقي جماعة من أصحابه ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحدا أن يؤذيني، ثم خاف على نفسه ، وخرج الى الشام، وتسمى باسم الرجل الذي كان في منزله ــ كرميته ــ ثم خفف فقيل قرمط ، وفشا أمره ، وأمر أصحابه ، وكان قد لقي صاحب الزنج فقال له : أنا على مذهب وورائي مائة ألف سيف فناظرني فان اتفقنا ملت بمن معي اليك، وان تكن الاخرى انصرفت، فناظره فاختلفا ففارقه •

السادس : أنهم لقبوا بهذا نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن قرمط، وكان حمدان من أهل الكوفة يميل الى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريقه وهو متوجه الى قريته وبين يديه بقر يسوقها فقال حمدان لذلك الراعي ، وهو لا يعرفه : أين تقصد ؟ فسمى قرية حمدان ، فقال له : اركب بقرة من هذه البقر لتستريح من المشي ، فقال : اني لم أؤمر بذلك ، قال : كأنك لا تعمل الا بأمر ؟ قال : نعم فقال حمدان : وبأمر من تعمل؟ قال بأمر مالكي ومالكك؟ ومالك الدنيا والآخرة، فقال : ذلك الله عز وجل ، قال : صدقت : وما غرضك في هذه البقعة ؟ قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقاوة الى السعادة وأستنقذهم من ورطات الذل والفقر ، وأملكهم مالا يستغنون به عن التعب والكد ، فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله ، وأفض علي من العلم ما تحييني به ، فما أشد حاجتي الى ذلك ، فقال : ما أمرت أن أخرج السر المكنون الى كل أحد الا بعد الثقة به ، والعهد اليه ، قال : فاذكر عهدك فاني ملتزم به ، فقال : أن تجعل لي وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه أن لا تخرج سر الامام الذي ألقيه اليك ، ولا تفشي سري أيضا ، فالتزم حمدان عهده ، ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهل ، حتى استدرجه واستغواه ، واستجاب له في جميع ما دعاه اليه ، ثم انتدب للدعوة ، وصار أصلا من أصول هذه البدعة ، فسمي أتباعه القرمطية •

وأما تسميتهم بالخرمية فان خرم لفظ أعجمي ينبيء عن الشيء المستلذ الذي يشتهيه الآدمي ، وكان هذا لقبا للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس ، الذين نبغوا

في أيام قباذ، على ماذكرنا[1] فأباحوا المحظورات فلقب هؤلاء بلقب أولئك لمشابهتهم اياهم في اعتقادهم ومذهبهم •

وأما تسميتهم بالبابكية فان طائفة منهم تبعوا بابك الخرمي ، وكان قد خرج في ناحية أذربيجان في أيام المعتصم ، فاستفحل أمره ، فبعث اليه المعتصم الافشين ، فتخاذل عن قتاله ، وأضمر موافقته في ضلاله ، فاشتدت وطأة البابكية على المسلمين الى أن أخذ بابك ، وقتل على ما سبق شرحه[2] ، وقد بقي من البابكية جماعة يقال : ان لهم في كل سنة ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ، فيطفئون المصابيح، ويتناهبون النساء ، ويزعمون أن من أخذ امرأة استحلها بالاصطياد •

فأما تسميتهم بالمحمرة فيذكر عنهم أنهم صبغوا الثياب بالحمر أيام بابك ، وكانت شعارهم •

وأما تسميتهم بالسبعية فانهم زعموا أن الكواكب السبعة مديرة للعالم السفلي•

وأما تسميتهم بالتعليمية فان مبدأ مذاهبهم ابطال الرأي، وافساد تصرف العقل، ودعوة الخلق الى التعلم من الامام المعصوم ، وأنه لا مدرك الا بالتعليم •

فصل

وأما الاشارة الى مذاهبهم ، فان مقصودهم الالحاد وتعطيل الشرائع وهم يستدرجون الخلق الى مذاهبهم بما يقدرون عليه ، فيميلون الى كل قوم بسبب يوافقهم ، ويميزون من يمكن أن يخدعهم ممن لا يمكن ، فيوصون دعاتهم فيقولون للداعي اذا وجدت من تدعوه فاجعل التشيع دينك ، ادخل عليه من جهة ظلم الامة لعلي عليه السلام ، وقتلهم الحسين وسبيهم لأهله ، والتبرىء من تيم وعدي وبني أمية ، وبني العباس ، وقل بالرجعة[3] وأن عليا يعلم الغيب ، فاذا تمكنت منه ،

(١) ما زال النصف الاول من المنتظم مخطوطا لم ينشر بعد ، ولا املك مصورة له .

(٢) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٢٧٢ — ٢٧٣ .

(٣) في حاشية الاصل : « يعني أن عليا يرجع الى الدنيا لان المراد من دابة الارض علي رضي الله عنه كماهو مذهب بابر الجعفي الرافضي الشيعي» —لمحرره عفي عنه —.

أوقفته على مثالب علي وولده ، وبينت له بطلان ما عليه أهل ملة محمد عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام ، وان كان يهوديا ، فادخل عليه من جهة المسيح ، وأن المسيح هو محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو المهدي واطعن في النصارى والمسلمين، وان كان نصرانيا فاعكس ، وان كان صابئيا فتعظيم الكواكب ، وان كان مجوسيا فتعظيم النار والنور ، وان وجدت فيلسوفيا ، فهم عمدتنا ، لأنا نتفق ، وهم ، على ابطال النواميس والانبياء ، وعلى قدم العالم ، ومن أظهرت له التشيع فأظهر لــه بغض أبي بكر وعمر ، ثم أظهر له العفاف والتقشف وترك الدنيا والاعراض عــن الشهوات ، ومر بالصدق والامانة والامر بالمعروف ، فاذا استقر عنده ذلك فاذكر له مثالب أبي بكر وعمر، وان كان سنيا فاعكس، وان كان مائلا الى المجون والخلاعة فقرر عنده أن العبادة بله ، والورع حماقة ، وانما الفطنة في اتباع اللذة والوطر من الدنيا الفانيــة .

وقد يستحبون من له صوت طيب بالقرآن فاذا قرأ ، تكلم داعيهم ووعظ ، وقدح في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العامة ، ويقول : الفرج منتظر ببركة آل الرسول ﷺ،وربما قال ان لله عز وجل في كلماته أسرارا لا يطلع عليها الا من اجتباه.

ومن مذاهبهم أنهم لا يتكلمون مع عالم ، بل مع الجهال ، ويجتهدون في تزلزل العقائد بالقاء المتشابه ، وكل ما لا يظهر للعقول معناه ، فيقولون : ما معنى الاغتسال من المني دون البول ؟ ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وقولــه : « عليها تسعة عشر »[1] ضاقت القافية ! ما بطن هذا الا لفائدة لا يفهمها كثير مــن الناس ، ويقولون : لم كانت السموات سبعا ، ثم يشوقون الى جواب هذه الاشياء، فان سكت السائل ، سكتوا ، وان ألح قالوا : عليك بالعهد والميثاق على كتمان هذا السر ، فانه الدر الثمين ، فيأخذون عليه العهود والميثاق على كتمان هذا ويقولون في الأيمان : « وكل مالك صدقة وكل امرأة لك طالق ثلاثا ان أخبرت بذلك » ، ثــم يخبرونه ببعض الشيء ويقولون هذا لا يعلمه الا آل رسول الله ﷺ ، ويقولون هذا الظاهر له باطن ، وفلان يعتقد ما نقول ، ولكنه يستره ويذكرون له بعض الافاضل ، ولكنه ببلــد بعيد

(١) سورة المدثــر : ٣ .

فصـــل

واعلم أن مذهبهم ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الامام المعصوم ، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها من الشبهات ، والمعصوم يطلع من جهة الله تعالى على جميع أسرار الشرائع ، ولا بد في كل زمان من امام معصوم يرجع اليه ، هذا مبدأ دعوتهم ، ثم يبين أن غاية مقصدهم نقض الشرائع ، لأن سبيل دعوتهم ليس متعينا في واحد بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيهم ، لأن غرضهم الاستتباع ، وقد ثبت عنهم أنهم يقولون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان الا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، واسم العلة السابق ، واسم المعلول التالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، وقد يسمون الاول عقلا والثاني نفسا، والاول تاما والثاني ناقصا، والاول لايوصف بوجود ولا عدم ، ولا موصوف ولا غير موصوف ، فهم يومون الى النفي لأنهم لو قالوا معدوم ما قبل منهم ، وقد سموا هذا النفي تنزيها •

ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة ، وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ، وأن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا انه شخص وان القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمى كلام الله مجازا لأنه مركب من جهته ، وهذه القوة الفائضة على النبي لا تفيض عليه في أول أمره ، وانما تتربى كنطفة •

واتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع اليه في تأويل الظواهر وحل الاشكال في القرآن والاخبار ، وأنه يساوي النبي في العصمة ، ولا يتصور في زمان واحد امامان بل يستظهر الامام بالدعاة ، وهم الحجج ولا بد للامام من اثني عشر حجة ، أربعة منهم لا يفارقونه •

وكلهم أنكر القيامة وقالوا: هذا النظام وتعاقب الليل والنهار وتولد الحيوانات لا ينقضي أبدا ، وأولوا القيامة بأنها رمز الى خروج الامام ، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ، ولا الجنة ولا النار ، ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء الى أصله ، قالوا :

فجسم الآدمي يبلى والروح ــ ان صفت بمجانبة الهوى ، والمواظبة على العبادات ، وغذيت بالعلم ــ استعدت بالعود الى وطنها الاصلي وكمالها بموتها ، اذ به خلاصها من ضيق الجسد .

وأما النفوس المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدها من الائمة المعصومين فانها أبدا في النار،على معنى أنها تتناسخ في الابدان الجسمانية، وكلما فارقت جسدا تلقاها آخر ، واستدلوا بقوله تعالى « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها[1] » .

وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية ، والفلاسفة في الباطن ، والروافض في الظاهر ، وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الناس ، حتى تبطل الرغبة والرهبة .

ثم انهم يعتقدون استباحة المحظورات ، ورفع الحجر ، ولو ذكر لهم هذا لأنكروه ، وقالوا : لا بد من الانقياد للشرع على ما يفعله الامام فاذا أحاطوا بحقائق الامور انحلت عنهم القيود،والتكاليف العملية اذ المقصود عندهم من أعمال الجوارح تنبيه القلب ، وانما تكليف الجوارح للغمر الذين لا يراضون الا بالسياقة[2] ، وغرضهم هدم قوانين الشرع .

قالوا : وكلما ذكر من التكاليف فرموز الى باطن ، فمعنى الجنابة مبادرة المستجيب[3] بافشاء سر اليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك ، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ، والزنا القاء نطفة العلم الباطن الى نفس معه عقد العهد ، والاحتلام أن يسبق اللسان الي افشاء السر في غير محله ، والصيام الامساك عن كشف السر ، والمحرمات عبارة عن ذوي السر[4] ، والبعث عندهم الاهتداء الى

---

(١) سورة النساء : ٥٦ .

(٢) توضح هذه الفقرة ما كتبه الغزالي في كتابه فضائح الباطنية : ٤٧ « وانما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها الا بالاعمال الشاقة » .

(٣) من ادنى المراتب في الدعوة الاسماعيلية ، انظر فضائح الباطنية : ٥٥ ــ ٥٦ .

(٤) كذا في الاصل ، وفي فضائح الباطنية : ٥٦ « الحرمات عبارة عن ذوي الشر من الرجال وقد تعبدنا باجتنابهم » .

مذاهبهم •ويقولون « للذكر مثل حظ الانثيين »(١) الذكر : الامام ، والحجة الانثى •

وقالوا : « يوم يأتي تأويله »(٢) أي يظهر محمد بن اسماعيل ، وفي قولـه : « حرمت عليكم الميتة »(٣) ، قالوا : الميتة الحامل على الظاهر الذي لا يلتفت الـى التـأويل •

وقالوا : ان الشاة والبقر هم الذين حضروا محاربة الانبياء والائمة ، يترددون في هذه الصور،ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح اللهم اني أبرأ اليك من روحه وبدنه ، وأشهد له بالضلالة ، اللهم لا تجعلني من المذبوحين ، ولهم من هذا الهذيان ما ينبغي تنزيه الوقت عن ذكره وانما علمت هذه الفضائح من أقوام تدينوا بدينهم ، ثم بانت لهم قبائحهم فتركوا مذهبهم •

فان قال قائل : مثل هذه الاعتقادات الركيكة ، والحديث الفارغ ، كيف يخفى على من يتبعهم ، ونحن نرى أتباعهم خلقا كثيرا ؟ فالجواب : ان أتباعهم أصناف ، فمنهم قوم ضعفت عقولهم ، وقلت بصائرهم وغلبت عليهم البلادة والبله ، ولم يعرفوا شيئا من العلوم ، كأهل السواد والاكراد وجفاة الاعاجم ، وسفهاء الاحداث ، فلا يستبعد ضلال هؤلاء فقد كان خلق ينحتون الاصنام ويعبدونها •

ومن أتباعهم طائفة انقطعت دولة أسلافهم بدولـة الاسلام كأبناء الاكـاسرة والدهاقين(٤) ، وأولاد المجوس ، فهؤلاء موتورون قد استكن الحقد في صدورهم، فهولاء كالداء الدفين فاذا حركته مخائيل المبطلين اشتعلت نيرانه •

ومن أتباعهم قوم لهم تطلع الى التسلط والاستيلاء ، ولكن الزمان لايساعدهم، فاذا رأوا طريق الظفر بمقاصدهم سارعوا •

ومن أتباعهم قوم جبلوا على حب التميز عن العوام ، فزعموا أنهـم يطلبون الحقائق وأن أكثر الخلق كالبهائم ، وكل ذلك لحب النادر الغريب •

---

(١) سورة النساء : ١١

(٢) سورة الاعراف : ٥٣

(٣) سورة المـائدة : ٣ .

(٤) جمع دهقان ، وهم رؤساء القرى وجباة الضرائب والتجار الكبار في العهـد الساساني ، واستمر حالهم في بداية الاسلام . انظر المعرب للجواليقي .

ومن أتباعهم الملاحدة[1] الفلاسفة والثنوية الذين اعتقدوا الشرائع نواميس مؤلفة،والمعجزات مخاريق مزخرفة فاذا رأوا من يعطيهم شيئا من أغراضهم مالوا اليه.

ومن أتباعهم قوم مالوا الى عاجل اللذات ، ولم يكن لهم علم ولا دين ، فاذا صادفوا من يرفع عنهم الحجر مالوا اليه ، على أن هؤلاء القوم لا يكشفون أمرهم الا بالتدريج على قدر طمعهم في الشخص .

وانما مددنا النفس في شرح حالهم،وان كنا ذكرنا بيتا من قصيدة لعظم ضررهم على الدين وشياع كلمتهم المشوبة ، وانما اجتمعت لهم الاسباب التي ذكرناها في وسط أيامهم ، والا فمعاندوا الشرائع خلق كثير ، وقد نبغ منهم قوم أظهروا امامة محمد بن الحنفية وقالوا : ان روح محمد انتقلت اليه ، ثم انتقلت منه الى أبي مسلم صاحب الدعوة ، ثم الى المهدي ثم الى رجل يعرف بابن القصري ثم خمدت نارهم .

ثم نبغ لهم في أيام المأمون رجل ، فاحتال فلم تنفذ حيلته ، ثم تناصروا في أيام المعتصم وكاتبوا الافشين[2] وهو رئيس الاعاجم ، فمال اليهم واجتمعوا مع بابك ، ثم زاد جمعهم على ثلاثمائة ألف فقتل المعتصم منهم ستين ألفا وقتل الافشين أيضا ، ثم ركدت دولتهم .

ثم نبغ منهم جماعة وفيهم رجل من ولد بهرام جور ، وقصدوا ابطال الاسلام ورد الدولة الفارسية ، وأخذوا يحتالون في تضعيف قلوب المؤمنين وأظهروا مذهب الامامية ، وبعضهم مذهب الفلاسفة .

---

(١) في الاصل « المخلدة » وهو تصحيف ، صوابه ما اثبتنا . انظر فضائح الباطنية ٣٦ ، ويلاحظ أن ابن الجوزي قام بالاعتماد المطلق على كتاب الغزالي هذا . انظر : ٢٨ ـ ٣٦ .

(٢) اختلف حول تورط الافشين في قضية بابك ، وقد جرت له محاكمة ايام المعتصم قتل اثرها . انظر مروج الذهب : ٣٠٥/٣ . وراجع ما كتبه قاسم العزيز في اطروحته عن بابك ـ ط. بيروت دار الفارابي .

وجعل لهم رأس يعرف بعبد الله بن ميمون بن عمرو، ويقال ابن ديصان القداح، الاهوازي وكان مشعبذا ممخرقا ، وكان معظم ممخرقته باظهار الزهد والورع ، وأن الارض تطوى له ، وكان يبعث خواص أصحابه الى الاطراف معهم طير ، ويأمرهم آن يكتبوا اليه الاخبار عن الاباعد ، ثم يحدث الناس بذلك فيقوى شبههم ، وكانوا يقولون : ان المتقدمين منهم، يستخلفون عند الموت، وكلهم خلفاء محمد بن اسماعيل ابن جعفر الطالبي وان من الدعاة الى الامام معد بن تميم وابنه اسماعيل ، وهم المتغلبون على بلاد المغرب ، ومن استجاب لهم عرفوه آنهان عمل ما يرضيهم صار اماما ونبيا ، وأنه يرتقي المبتدي منهم الى الدعوة ، ثم الى أن يكون حجة ، ثم الى الامامة[1] ، ثم يلحق مرتبة الرسل ، ثم يتحد بالرب فيصير ربا ، ولا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن اخوانه •



(٣) نجد مصداق هذافي سيرة حمزة بن على هادي المستجيبين وقيام الدعوة الدرزية.

كتــاب

اخبــار الــدول المنقطعــة

الدولــة العلويــة بافريقية ومصر والشام

قال الفقيه جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر جامع أخبارها ، وعليه عهدة ما نقلــه : ...

المعز لدين الله أبو تميم معــد

وبعث جوهر بجعفر بن فلاح الى الشام بجيش كثيف ، فلقي الحسن بن عبيدالله ابن طغج ، وهو يومئذ صاحب الشام ، بالرملة ، فهزمه ، وأسره ، وبعث به الى مصر ، وسار الى دمشق فملكها بعد حرب شديد من أهلها ، وفتن عظيمة ، وملك الساحل أجمعه ، وأقام بدمشق الى أن سار الحسن الاعصم القرمطي ، من هجر والاحساء بأمر الامام المطيع لله[1] ، له بذلك ، فوصل الى الرحبة[2] ، واجتمع عليها بالامير عدة الدولة أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان[3] ، ثم سافر الى دمشق ، فلقيه جعفر بن فلاح دونها ، فلم يكن الا كرجع الطرف أو دونه ، حتى انهزمت المغاربة وقتل جعفر .

وملك القرمطي الشام أجمعه ، وسار الى مصر ، فلم يكن لجوهر طاقة بــه ، فقاتله من وراء خندق القاهرة ، حتى كاد القرمطي أن يأخذه ، ثم رجع القرمطي عنــه بغير سبب يعرف ، وقيل انه كان معه خمسة عشر ألف جمــل وبغل تحمل صناديق الاموال ، وأواني الذهب ، والفضة ، والسلاح سوى ما يحمل المضارب والخيــم والبنود ، وغير ذلك من الاثقال .

---

(١) ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م — ٣٦٣ هـ/٩٧٤ م .

(٢) في أحواز الميادين الحالية على الفرات في سورية على مقربة من الحدود السورية العراقيــة .

(٣) ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م — ٣٦٩ هـ/٩٧٩ م ، في الموصل .

وكتب عند ذلك جوهر الى سيده يستنهضه للمسير الى مصر ، ويخبره أنه أكله القرامطة ، فسار المعز من المهدية ، ووصل الى قصره بالقاهرة يوم الثلاثاء لخمس ليال خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وقيل لسبع .

وكتب الى القرمطي كتابا كبيرا يهدده فيه ، لا يكتبه الا مارق عن الاسلام ، من بعض فصوله : « أما علمت بأني نار الله الموصدة التي تطلع على الافئدة ، أعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » وهو كتاب كبير محشو بأنواع الكفر ، والمعاتبة للقرمطي ، يحضه فيه على اقتفاء آبائه وعمومته في موالاته وموالاة بنيه ، ويقول فيه: ان آباءك كانوا أتباع آبائي لا يخرجون عن مراسمهم في جميع تصرفاتهم »[1]،... ولم ينفع هذا الكتاب بل كان نص جواب القرمطي له : « وصل كتابك الذي كثر تفصيله . وقل تحصيله ، والجواب : ما تراه دون ما تسمعه »

وسار عقب ذلك الى مصر ، وملك الصعيد ، وأسفل الارض ، ثم عاد على نية العود ، فبادر المعز برسله اليه ، وقرر معه حمل المال الذي كان كافور الاخشيدي يحمله الى آبائه وعمومته في كل سنة،فأجاب القرمطي الى ذلك،وخرج لهم عن الشام.



(١) انظر نص الكتاب في المقتبس من اتعاظ الحنفا فيما يلي .

الامير يوسف بن أبي الساج

وتولى يوسف بن ديواداذ بلاد أذربيجان ، وارتفع شأنه فيها ارتفاعا عظيما ، وملك ملكا كبيرا ، وأقام واليا سنة خمس وثلاثمائة ••• وأقام يوسف رضي البال الى أن أتته قاصمة الظهر ، وغاية العمر في سنة خمس عشرة ، وذلك أن أبا طاهر سليمان بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر والاحساء ، لما طغى على البصرة وأخربها ، وهزم جيوش الخليفة وكسرها استدعى الخليفة يوسف من أذربيجان ، ورسم له بمحاربته ، فسار يوسف الى نواحي الكوفة ، وبلغ الجنابي خبره ، فسار اليه فالتقوا على مكان يعرف بالخندق بين الحيرة والنيل في يوم السبت لعشر خلون من شوال سنة خمس عشرة ، وكان يوسف في نحو أربعين ألف فارس وراجل ، والجنابي في نحو أربعة آلاف ، وبات الناس ليلة الاحد ، فهرب أكثر من مع يوسف ، وباكر العسكران القتال ، فرأى القرامطة من قتال أصحاب يوسف وغلمانه ما لم ير مثله حتى هموا بالفشل ، ثم انهزم أكثر من معه ، وبقي هو في نحو خمسمائة مملوك ، فحار في أمره وقال : أروني صاحب أمرهم لعلي أحمل عليه فأموت به ، فقيل له : هو من جملة أصحاب الخيل الذين شعارهم البياض ، وكان ذلك زي سليمان وأخوته لا يعرف بعضهم في الحرب من بعض ، فحمل عليهم ، وهزم القرامطة حتى انتهى اليهم ، فضرب أحدهم فصرعه عن دابته ، ثم رجع ، وجعل يحمل عليهم وغلمانه ينقصون ، وشملهم القتل والاسر والانهزام ، حتى حمل فلم يرجع ، وأسر وقتل بعد ذلك بأربعة أيام ••• وكان عمره خمسا وستين سنة ، وكان شجاعا صارما ، لا يملأ قلبه شيء ، مع لين في كلامه ، وفتور في ألفاظه ، وكان كثير اللجاج ، ومن لجاجته وقعته مع القرمطي •••



كتـــاب

بغيـــة الطلب في تاريـــخ حلب

القرمطي صاحب الخـال

أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب • صاحب الخال • نسب نفسه هكذا • وقيل أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل (١٢٩ ــ ظ) وقيل ان اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه • وقيل ابن مهري الصواني • من أهل صوان من سواد الكوفة • وهو المعروف بصاحب الخال • أخو علي بن عبد الله القرمطي ، نسب نفسه الى محمد ابن اسماعيل بن جعفر • وتسمى بالمهدي ، وبايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق • وصار الى السخنة[١] والاركة ، والزيتونة وخناصره من الاحص من أعمال حلب ، ودخل هذه المواضع عنوة ، ونهب ما فيها مـن الاموال والسلاح ، وأفسد بالشام وعاث في بلادها • وغلب على أطراف حمص ، وخطب له على منابرها وفتحوا له بابها ، وسار الى حمـاة ومعرة النعمان وغيرهما مـن البلاد فقتل أهلها والنساء والاطفال • ثم جاء الى سلمية فمنعوه ، ثم أعطاهم الامان ففتحوا له بابها فدخل وقتل الهاشميين أجمعين بها ، ثم قتل الرجال ، ثم البهائم ، ثم الصبيان ، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف •

وجهز جيشا كثيفا بخيل ورجالة مع بعض دعاته ويعرف بعميطر المطوق الـى ناحية حلب ، فأوقعوا بأبي الاغر خليفة بن المبارك[٢] بوادي بطنان[٣] ، وقتلوا خلقا عظيما وانتهبوا عسكره وأفلت أبو الاغر في ألف رجل لا غير ، فدخل الى حلب ، ووصلوا خلفه الى حلب ، فأقاموا عليها على سبيل المحاصرة • وتسرع أهل حلب في يوم الجمعة سلخ شهر رمضان من سنة تسعين ومائتين وطلبوا الخروج لقتالهم ،

(١) في بادية الشام ما تزال تعرف بنفس الاسماء .

(٢) قال الطبري في حوادث سنة ٢٩٠هـ، ص٢٢٢٢ من ط. ليدن، ولثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر خلع على ابي الاغر ووجه به لحرب القرمطي بناحية الشام فمضى الى حلب في عشرة آلاف رجل .

(٣) بطنان حبيب واد ما بين حلب ومنبج ــ معجم البلدان .

فمنعوا من ذلك ، فكسروا قفل باب المدينة، وخرجوا الى القرامطة ، فتحاربوا،ونصر الله الرعية من أهل حلب عليهم ، وقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، وخرجوا يـوم السبت يوم عيد الفطر مع أبي الاغر الى مصلى العيد ، وعيد المسلمون ، وخطب الخطيب على العادة ، ودخل الرعية الى مدينة حلب في أمن وسلامة وأشرف أبو الاغر على عسكر القرامطة فلم يخرج اليه أحد منهم •

فلما يئسوا من فرصة ينتهزونها من حلب ساروا ومضوا الى صاحب الخال ، ولما انتهى الى المكتفي بالله هذه الامور خرج نحوه وجهز اليه عسكرا قويا في المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين • فقتل من أصحاب القرمطي خلق كثير ، وانهزم نحو الكوفة فقبض بالدالية من سقي الفرات وحمل الي الرقة الى المكتفي بالله ، فحمل الى بغداد وشهر وطيف به على جمل ، وقيل على فيل • ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه في شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين ومائتين •

وكان لعنه الله أديبا شاعرا ، وكثيرا ما يقـع الاختلاف في اسمه ونسبه واسم أخيه الذي قتله قبله علي بن عبد الله،وبعضهم يسمي أخاه محمد بن عبد الله بن يحيى• والصحيح أن الذي ثبت عليه في اسمه ونسبه أبو العباس أحمد بن عبد الله،وهو دعي•

وانما سموا القرامطة : زعموا أنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي ، ونسبوا الى قرمط • وهو حمدان بن الأشعث • كان بسواد الكوفة • وانما سمي قرمطا لأنه كان رجلا قصيرا ، وكان رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه متقاربا ، فسمي بهذا السبب قرمطا • وكان قرمط قد أظهر الزهد والورع وتسوق به علـى الناس مكيدة وخبثا •

وكانت أول سنة ظهر فيها أمر القرامطة سنة أربع وستين ومائتين وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة انما هو نسبة الى مذهب يقال له : القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ، فيكون على هذه المقالة عزوه الى مذهب باطل لا الى رجل ، وانما قيل لهذا القرمطي صاحب الخال لأنه كان على خده الايمن خال ، ويعرف بابن المهزول زكرويه ابن مهري الصواني من أهل صوان من سواد الكوفة • وقيل هو وأخوه من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن

كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكـر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان • فادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر ، فعلى هذا يكون منسوبا الى جدهم قرمطي ، ولا يبعد أن يكون الامران جميعـا والله أعلـم •

وقرأت في رسالة أبي عبد الله محمد بن يوسف الانباري الكاتب الى أخيه أبي علي في ذكر أخبار هذا القرمطي أنه ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد ، وأنه المهدي • وأنه نظر محمد بن اسماعيل في النسب فلما وقف على بعد هذا النسب ادعى « بعد وقعة السطح في الكسوة[1] » أنه محمد بن عبد الله بن جعفر ، وكتب بذلك كتابا بخطه الى المعروف بابن حوي السكسكي ممن يسكن في بيت لهيا • فصار ابن حوي بالكتاب الى أبي نصر حمد بن محمد كاتب طغج •

ثم نزع عن هذا النسب الى عبد الله بن ادريس الحسني القادم من الحجاز الى مدينة أذرعات من جهة دمشق •

وقيل ان القرمطي من يهود نجران وأنه دعي •

وذكر أبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطربلي ، ومحمد بن أبي الازهر في التاريخ الذي اجتمعا على تأليفه في حوادث سنة تسع وثمانين قالا : وفي آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له : محمد بن عبد الله بن يحيى ولد اسماعيل بن جعفر العلوي بنواحي دمشق يدعو الى نفسه • واجتمع اليه خلق كثير من الاعراب وأتباع الفتن ، فسار بهم الى دمشق وكان بها طغج بن جف مولى أمير المؤمنين من قبل هارون بن خمارويه عامل أمير المؤمنين على مصر والشام ، فلما بلغه خبره استعد لحربه وتحصن طغج بدمشق ، فحصره هذا العلوي بها ، وكانت بينهما وقعات وانقضت •

قالا : وفي هذه السنة ــ يعني سنة تسعين ومائتين ــ : جرت بين طغج بن جف وبين القرمطي حروب كثيرة كلها على طغج ، فكتب الـى هارون (١٣١ ظ) يستنجد، فوجه الى مصر جيشا بعد جيش ، كل ذلك يهزمهم القرمطي ، ثم وجـه هارون بن خمارويه ببدر الحمامي ، وكتب الى طغج في معاضدته وضم اليه وجوه

---

(١) إنظر ما سيأتي ، خاصة رواية ابن المهذب بعد عدة صفحات ، والسطح قرية من قرى الكسوة على مقربة من دمشق ذكرها ياقوت في معجمه .

القواد بمصر والشام ، فخرج الى القرمطي فكانت بينهم حروب كثيرة أتت على أصحاب بدر الحمامي ، وكان هذا القرمطي قد جعل علامته ركوب جمل من جماله ، وترك ركوب الدواب ولبس ثيابا واسعة وتعمم عمة أعرابية ، وأمر أصحابه أن لا يحاربوا أحدا ، وان أتي عليهم حتى ينبعث الجمل من قبل نفسه من غير أن يثيره أحد ، فكانوا اذا فعلوا ذلك لم يهزموا ، وكان اذا أشار بيده الى ناحية من النواحي انهزم من يحاربه ، واستغوى بذلك الاعراب .

فخرج اليه بدر يوما لمحاربته ، فقصد القرمطي رجل من أصحاب بدر يقال له زهير بزانة ، فرماه بها فقتله ، ولم يظهر على ذلك أصحاب بدر الا بعد مدة ، فطلب في القتلى فلم يوجد ، وكان يكنى أبا القاسم .

قال ابن أبي الأزهر : وحدثني كاتبه المعروف باسماعيل بن النعمان ، ويكنى بأبي المحمدين ، وسبب هذه الكنية أنه وافى مع جماعة من القرامطة بعد الصلح وقبولهم الامان من القاسم بن سيماء ــ وكان على طريق الفرات ــ ومن عبد الله بن الحسين بن سعود ــ وكان على القابون ــ فكان القاسم بن سيماء ، يكنى أبا محمد، وعبد الله بن الحسين يكنى أبا محمد ، وصاحب البريد المعروف بابن المهلبي يكنى أبا محمد ، وصاحب الخرائط قرابة أبي مروان يكنى أبا محمد ، فكنى اسماعيل هذا أبا المحمدين ، فبقي معروفا بذلك ، فحدثني اسماعيل عن هذه الوقعة ، قال : فصرت اليه مرة وهو راكب على نجيبه وعليه دراعة ملحم ، فقلت له : قد اشتد الامر على أصحابنا ، وقد قربوا منك ، فتنح عن هذا الموضع الى غيره ، فلم يرد علي جوابا ، ولم يثر نجيبه ، فعدلت اليه ثانية فقلت له : قم ، فانتهرني . ولم يرم الى أن وافته زانة ، أو قال حربة ، فسقط عن البعير ، وكاثرنا من يريد أخذه فمنعنا منه ، وقتل زهاء مائة انسان في ذلك الموضع ، ثم أخذناه وتنحينا بأجمعنا .

فقلت : الذي أقمتموه مقامه أهو أخوه ؟ فقال : لا ، والله ما نعلم ذاك ، غير أنه وافانا قبل هذه الحادثة بيومين ، فسألناه من أنت من الامام ؟ فقال : أنا أخوه، ولم نسمع من الشيخ شيئا في أمره ، يعني المكتنى أبا القاسم . وكان هذا المدعي أخاه يكنى أبا العباس ، واسمه أحمد بن عبد الله .فعقد لنفسه البيعة على القرامطة ودعاهم الى مثل ما كان أخوه يدعوهم اليه ، فاشتدت شوكته . ورغبت البوادي في النهب ، وانثالت عليه انثيالا ، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

ثم صار الى دمشق فصالحه أهلها على خراج دفعوه اليه فانصرف عنهم ، ثم سار الى أطراف دمشق ، وحمص ، فتغلب عليها ، وخطب له على منابرها ، وتسمى بالمهدي ، ثم صار الى مدينة حمص فأطاعه (١٣٢ ظ) أهلها ، وفتحوا له بابها فدخلها، ثم صار الى : حماة ، وسلمية وبعلبك ، فاستباح أهلها ، وقتل الذراري ، ولم يبق شريفا لشرفه ، ولا صغيرا لصغره ولا امرأة لمحرمها ، وقتل أهل الذمة ، وفجروا بالنساء •

حدثني من كان معهم قال : رأيت عصاما سيافه ، وقد أخذ من بعلبك امرأة جميلة جدا ، ومعها طفل لها رضيع ، فرأيته والله وقد فجر بها، ثم أخذ الطفل بعد ذلك فرمى به نحو السماء ، ثم تلقاه بسيفه ، فرمى به قطعتين ، ثم عدل الى أمه بذلك السيف بعينه ، فضربها به فبترها •

فلما اتصل عظيم خبرهم واقدامهم على انتهاك المحارم ودام، خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله متوجها نحوه يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر رمضان في قواده ومواليه وغلمانه وجيوشه ، وأخذ على طريق الموصل ثم صار الى الرقة وأقام بها وأنفذ الجيوش نحو القرامطة،وقلد القاسم بن عبيد اللهبن سليمان تدبير أمر هذه الجيوش•

فوجه القاسم محمد بن سليمان الكاتب ، صاحب الجيش خليفة له على جميع القواد ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فنفذ عن الرقة في جيش ضخم وآلة جميلة وسلاح شاك ، وكتب الى جميع القواد والامراء في النواحي بالسمع له والطاعة لامره ، وضم محمد بن سليمان القواد بعضهم الى بعض وصمد نحو القرمطي ، فلم يزل يعمل التدبير ويذكي العيون (١٣٣ و) ويشاور ذوي الرأي ويتعرف الطرقات الى آن دخلت سنة احدى وتسعين •

قال : وفي أول هذه السنة : كتب أمير المؤمنين الى محمد بن سليمان والى سائر القواد في مناهضة القرمطي ، فساروا اليه فالتقوا على اثني عشر ميلا من حماة في موضع بينه وبين سلمية[1] ، فاشتدت الحرب بينهم ، وصدقوهم القتال ، فتجمع

---

(١) ذكر الطبري ٢٢٣٩ أن اسم المكان (تمنع) ولعله مكان قرية التمانعة الحالية والتابعة اداريا لخان شيخون، في منطقة معرة النعمان. انظر التقسيمات الادارية في الجمهورية العربية السورية ــ ط. دمشق ص ٢٨ .

القرامطة وحملوا على الميمنة حملة رجل واحد، فثبت الاولياء فمروا صادفين وجعلوها هزيمة ، ومنح الله من أكتافهم ، وقتل منهم وأسر أكثر من عشرة آلاف رجل ، وشرد الباقون في البوادي ، واستمرت بهم الهزيمة ، وطلبهم الاولياء الى وقت صلاة عشاء الآخرة من ليلة الاربعاء لسبع خلون من المحرم ، ولما رأى القرمطي ذلك ، ورأى من بقي من القرامطة ، قد كاعوا عنه ، حمل أخا له يكنى أبا الفضل مالا ، وتقدم اليه الى أن يظهر في موضع آخر فيصير اليه .

وتجمع رؤساء القرامطة ، وهم الذين كانوا صاروا الى رحبة مالك ابن طوق[1] فطلبوا الامان ، وهم : أبو المحمدين ، والنعمان بن أحمد ، وأحمد بن النعمان أخو أبي المحمدين ، ووشاح ، وعطير ، وشديد بن ربعي وكليب من رهط النحاس ، وعصمة السياف[2] وسجيفة رفيقه ، ومسرور وغشام . فقالوا للقرمطي ، وهو صاحب الخال : قد وجب حقك علينا ، وقد رأيت ما كان من جدنا واجتهادنا ، (١٣٣ ظ) ومن حقك علينا أن ندعك ، وانما يطلبنا السلطان بسببك . فانج بنفسك . فأخذ ألف دينار فشدها في وسطه في هميان[3] ، وأخذ معه غلاما روميا يقال له لؤلؤ ، كان يهواه ويحل منه محل بدر من المعتضد بالله ، وركب معه المدثر ، وكان يزعم أنه ابن عمه ، والمطوق غلامه ، ومع كل واحد منهم هميان في وسطه .

فأما المطوق — وهو اتخذ له سخاب وقت دخوله الى مدينة السلام[4] — فاني سألت عنه أبا المحمدين ، فذكر أنه رجل من أهل الموصل ، وأنه صار الى الامام بزعمه ، فجعل يورق له ويسامره . ولم يعرف قبل ذلك الوقت .

وأخذوا دليلا ، وسار يريد الكوفة عرضا في البرية ، فغلط بهم الدليل الطريق ، وأخرجهم بموضع بين الدالية والرحبة يقال له بنو محرز فلما صاروا الى بني محرز ،

---

(١) قرب مدينة الميادين الحالية على الفرات في سورية .

(٢) ذكر في ص ٧٥ أن اسمه (عصاما) .

(٣) الهميان — فارسية معربة — شداد السراويل أو تكته وما يجعل فيه الدراهم ويشد على الحقو ، وشهر باتخاذ الهميان وما زال صابئة العراق .

(٤) في اللسان وتاج العروس — السخاب . قلادة — وجاء في الطبري—٢٢٤٣—٢٢٤٤ أنه لما دخل الرقة كان يشتم الناس اذا دعوا عليه ويبزق عليهم فاتخذ له مايشبه اللجام لئلا يفعل ذلك .

نزلوا خارج القرية ، في بيدر عامر ، فأخرجوا دقيقا كان معهم في مزود ، واقتدحوا نارا واحتطبوا ليخبزوا هناك ، وكان وقت مغيب الشمس ، فعلا الدخان وارتاب الموكلون ببني محرز، من أصحاب المسالح، بما رأوه ، فأموا الموضع ، فالقوا الدليل، فعرفه بعضهم ، فقال : ما وراءك ؟ قال : هذا القرمطي وراء الدالية • فشدوا عليهم فأخذوهم ، وكتبوا الى أبي خبزة وهو في الدالية يعلمونه بهذا، فأتاهم ليلا ، فأخذهم وصار بهم الى الدالية ، وأخذ من وسط غلام له هميانا فيه ألفا دينارا (١٣٤ و) ومن وسط المدثر مثل ذلك وأخذ الهميان الذي كان مع القرمطي ، ووكل بهم في دار بالدالية ، وكتب الى أحمد بن محمد بن كشمرد وهو بالرحبة يخبره ، فأسرع السير اليهم[1] ، فلما وافى احتبس القرمطي في بيت لطيف في مجتب الحيري •

فحدثني بعض أهل الدالية ، قال : لما وافى ابن كشمرد ، سأل القرمطي : ماأخذ منك ؟ قال : ما أخذ مني شيء ، فقال له المطوق : أتبغي من الامام ما لا يحسن منه الاقرار به ، ودعا بالبزاز ، فأخذ ثيابا ، ثم دعا بالخياط ليقطع للقرمطي تلك الثياب ، فقال الخياط للقرمطي : قم حتى أقدر الثوب عليك ، فقال المطوق للخياط : أتقول يابن اللخناء للامام : قم ! اقطع ثكلتك أمك على سبعة أشبار ، وصار ابن كشمرد وأبو خبزة بالقرمطي الى الرقة ، ورجعت جيوش أمير المؤمنين ، بعد أن تلقطوا كل من قدروا عليه من أصحاب القرمطي ، في أعمال حمص ونواحيها •

وورد كتاب القاسم بن عبيد الله ، بأن القرمطي أدخل الرقة ظاهرا للناس على جمل فالج ، وعليه برنس حرير ، ودراعة ديباج ، وبين يديه المدثر والمطوق ، على جملين ، في يوم الاثنين ، لأربع ليال بقين من المحرم ، سنة احدى وتسعين ومائتين، حتى صير بهم الى دار أمير المؤمنين بالرقة ، فأوقفوا بين يديه ، ثم أمر بهم فحبسوا ، واستبشر الناس والاولياء بما هناه الله في أمر هذا القرمطي • وقرظ أمير المؤمنين القاسم بن عبيد الله في (١٣٤ ظ) هذا الوقت ، وأحمده فيما كان من تدبيره ، في أمر هذا الفتح ، وخلع عليه خلعا شرفه بها ، وقلده سيفا ولقبه بولي الدولة ، وانصرف الى منزله بالرقة • وخلف أمير المؤمنين عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص من الرقة في غلمانه ووجوه أصحابه وحرمه ، وشخص معه أبو الحسين القاسم بن عبيدالله

(١) انظر الطبري : ٢٢٣٨ •

الى بغداد ، وحمل معه القرمطي والمدثر والمطوق وجماعة ممن أسر في الوقعة مستهل صفر ، وقعد في الحراقات في الفرات ، ولم يزل متلوما في الطريق حتى وصل الى البستان المعروف بالبشري ليلة السبت لليلتين بقيتا من صفر ، فأقام به ثم عبر من هنا الى الجانب الشرقي ، فعبأ الجيوش بباب الشماسية • وكان أمير المؤمنين قد عزم على أن يدخل القرمطي بغداد مصلوبا على دقل[1] • والدقل على ظهر فيل ، وأمر بهدم الطاقات التي يجتاز بها الفيل ، اذ كانت أقصر من الدقل • ثم استسمج ذلك ، فعمل له دميانة غلام يازمار[1] كرسيا ، ارتفاعه ذراعان ونصف ، وأجلسه عليه ، وركب الكرسي على ظهر الفيل • فدخل أمير المؤمنين مدينة السلام صبيحة يوم الاثنين مستهل ربيع الاول في زي حسن وتعبئة وجيش كثيف ، وآلة تامة وسلاح شاك ، وقدم الاسرى على جمال مقيدين عليهم دراريع حرير • وبرانس حرير ، ثم قدم المدثر بين يدي القرمطي على جمل فالج وعليه دراعة حرير (١٣٥ ـ و) وبرنس ، ثم القرمطي على الكرسي على ظهر الفيل ، وعليه دراعة ديباج وبرنس حرير ، ثم دخل أمير المؤمنين خلفه حتى اشتق مدينة السلام الى قصره المعروف بالحسني ، والقاسم بن عبيد الله خلفه • وأمر بالقرمطي والمدثر فأدخلا الحبس بالحسني ، ووجه بالاسرى الى الحبس الجديد بالجانب الغربي • ومضى المكتفي من ساعته من الحسني الى الثريا ، بعد أن خلع على أبي الحسين القاسم بن عبيد الله ، وانصرف الى منزله •

ووافى محمد بن سليمان بعد اصلاحه الامور ، وتلقطه جماعة من قواد القرمطي وقضاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيدهم وانحدر والقواد الذين تخلفوا معه الى مدينة السلام ، فوافى بغداد الى الباب المعروف بباب الانبار ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول ، وكان قد أمر القواد جميعا بتلقي محمد بن سليمان ، والدخول معه الى بغداد ، ففعلوا ذلك ، ورحل محمد بن سليمان صبيحة يوم الخميس وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، غير من أسميناه ، والقواد معه حتى صاروا الى دار أمير المؤمنين بالثريا ، فدخلوا عليه • وأمر أن يخلع على محمد بن

---

(١) هو خشبة يمد عليها شراع السفينة ، وتسميتها البحرية : الصاري ـ النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير .

(٢) في الطبري : ٢٢٤٣ ، غلام يازمان .

سليمان ويطوق بطوق ذهب ، ويسور بسوارين ، وخلع على جميع القواد القادمين معه، وطوقوا وسوروا، وانصرفوا الى منازلهم • وأدخل الاسرى الى الحبس الجديد بمدينة السلام في الجانب الغربي منها •

فلما كان في يوم السبت (١٣٥ ــ ظ) لعشر بقين من شهر ربيع الاول بنيت دكة في المصلى العتيق ، من الجانب الشرقي ، الذي تخرج اليه الثلاث الابواب ، ومن باب خراسان ، تكسير ذرعها عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ، وجعل لها أربع درج يصعد منها اليها ، وأمر القواد جميعا بحضور هذه الدكة ، ونودي كذلك في الناس أن يحضروا عذاب القرامطة ، ففعلوا ، وكثر الناس في هذا الموضع وحضر القواد ، والواثقي المتقلد للشرطة[1] بمدينة السلام ، وحضر محمد بن سليمان ، فقعدوا جميعا عليها ، وأحضروها ثلاثمائة ونيفا وعشرين انسانا ممن كان أسر قديما ، ومن جاء به محمد بن سليمان ، وأحضر القرمطي والمدثر فأقعدا ، وقدم نيف وثلاثون انسانا من هؤلاء الاسارى من وجوههم ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم • ثم قدم القرمطي فضرب مائتي سوط ، ورش على الضرب الزيت المغلي وكوي بالجمر، ثم قطعت يداه ، ورجلاه وضربت عنقه • فلما قتل انصرف القواد وأكثر الناس ممن حضر للنظر الى عذاب القرمطي ، وأقام الواثقي الى وقت العشاء الآخرة في جماعة من أصحابه ، حتى ضرب أعناق باقي الاسارى ، ثم انصرف •

فلما كان يوم الاربعاء لست بقين من هذا الشهر ، صير ببدن القرمطي الى باب الجسر الاعلى من الجانب الشرقي فصلب هناك ، وحفر لأجساد القتلى آبار الى (١٣٦ ــ و) جانب الدكة ، فطرحوا فيها وطمت ، فلما كان بعد ، أمر بهدم الدكة ، وتعفية أثرها ففعل ذلك •

قال ابن أبي الازهر في التاريخ في حوادث سنة ثلاث وتسعين ومائتين : وفيها ورد الخبر بأن أخا الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدالية من طريق الفرات ، في نفر ، واجتمع اليه جماعة من الاعراب ، وسار بهم الى نحو دمشق، فعاث في نواحيها ، فندب للخروج اليه حسين بن حمدان ، فخرج في جماعة ، وورد الخبر برجوعه الى الدالية • فحدث محمد بن داود بن الجراح أن زكرويه بعد قتل

---

(١) هو احمد بن محمد الواثقي كما ذكره الطبري : ٢٢٤٥ •

صاحب الشامة ، أنفذ رجلا كان معلما للصبيان يقال له عبد الله بن سعيد ، فتسمى نصرا — ليخفي أمره — فدار في أحياء كلب يدعوهم الى رأيه ، فاستجاب له جماعة من صعاليكهم وسقاطهم العليصيين ، فسار فيهم الى بصرى وأذرعات من كورتي حوران والبثنية ، فقتل وسبى وأخذ الأموال .

وقال : وأنفذ زكرويه رجلا يقال له القاسم بن أحمد داعية ، فصار الى نحو رستاق نهر ملخانا[1] . قال : فالتقت به طائفة ، فساروا الى الكوفة حتى صبحوها غداة يوم النحر وهم غارون ، فوافوا باب الكوفة عند انصراف الناس من المصلى ، فأوقعوا بمن قدروا عليه وسلبوا وقتلوا نحوا من عشرين رجلا ، وكان رئيسهم هذا قد حملوه في قبة يقولون : هذا ابن رسول الله ، وهو (١٣٦ — ظ) القاسم بن أحمد داعية زكرويه ، وينادون، ياثارات الحسين — يعنون الحسين صاحب الشامة — وشعارهم يا محمد يا أحمد — يعنون ابني زكرويه ، ويموهون بهذا القول على أهل الكوفة — ونذر بهم الناس ، فرموهم بالحجارة من المنازل .

وانما ذكرت هذا الفصل من قول ابن أبي الازهر لأن فيه ما يدل على أن صاحب الخال ، كان يسمى الحسين بن زكرويه ، وأنه يسمى أيضا أحمد بن زكرويه . وعاش زكرويه بعد ولديه القرمطين في زعمه .

أنبأنا تاج الامناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ، قال : أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ قال : أخبرنا أبو غالب بن البناء قال : أخبرنا أبو الحسين بن الابنوسي قال : أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق قال : أخبرنا أبو محمد اسماعيل بن علي بن اسماعيل الحطمي قال : قام مقامه — يعني مقام صاحب الجمل — أخ له في وجهه خال يعرف به ، يقال له صاحب الخال . فأسرف في سوء الفعل وقبح السيرة ، وكثرة القتل حتى تجاوز ما فعله أخوه، وتضاعف قبيح فعله ، وقتل الاطفال ونابذ الاسلام وأهله ، ولم يتعلق منه بشيء ، فخرج المكتفي الى الرقة ، وسير اليه الجيوش ، فكانت له وقائع ، وزادت أيامه على أيام أخيه في المدة والبلاء حتى هزم ، وهرب فظفر به في موضع يقال له الدالية

(١) في الطبري : ٢٢٦٠ ، نهر تلحانا .

(١٣٧ ـــ و) بناحية الرحبة ، فأخذ أسيرا ، وأخذ معه ابن عم يقال له المدثر ، كان قد رشحه للامر بعده ، وذلك في المحرم سنة احدى وتسعين ، وانصرف المكتفي بالله الى بغداد وهو معـــه •

فركب المكتفي ركوبا ظاهرا في الجيش والتعبئة وهو بين يديه على الفيـــل ، وجماعة من أصحابه على الجمال مشهرين بالبرانس ، وذلك يوم الاثنين غرة ربيع الاول من سنة احدى وتسعين ، ثم بنيت له دكة في المصلى وحمل اليها هو وجماعة أصحابه ، فقتلوا عليها جميعا في ربيع الآخر ، بعد أن ضرب بالسياط وكوي جميعه بالنار ، وقطعت منه أربعته ، ثم قتل ، ونودي في الناس فخرجوا مخرجا عظيما للنظر اليه ، وصلب بعد ذلك في رحبة الجسر •

وقيل أنه وأخوه من قرية من قرى الكوفة يقال لها الصوان ، وهما فيما ذكر : ابنا زكرويه بن مهرويه القرمطي،الذي خرج في طريق مكة في آخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وتلقى الحاج في المحرم من سنة أربع وتسعين ، فقتلهم قتلا ذريعا لم يسمع قط بمثله ، واستباح القوافل وأخذ شمسة البيت الحرام ، وقبل ذلك ـــ ما ـــ دخل الكوفة يوم الاضحى بغتة وأخرج منها ، ثم لقيه جيش السلطان بظاهر الكوفة بعد دخوله اياها وخروجه عنها ، فهزمهم وأخذ ما كان معهم من السلاح والعدة فتقوى بها ، وعظم أمره في النفوس (١٣٧ ـــ ظ) وهال السلطان، وأجلبت معه كلب وأسد، وكان يدعى السيد •

ثم سير اليه السلطان جيشا عظيما ، فلقبوه بذي قار ، بين البصرة والكوفـــة في الفراض[1] فهزم وأسر جريحا ، ثم مات ، وكان أخذه أسيرا يوم الاحد لثمـــان بقين من ربيع الاول ، وشهرت الشمسة بين يديه ، ليعلم الناس أنها قد استرجعت ، فطيف به ببغداد • وقيل أنه خرج يطلب ثأر ابنه المقتول على الدكة •

ذكر ابن أبي الازهر في تاريخه أنه لما خرج على قافلة الحاج أن أصحابه أكبوا على الحاج فقتلوهم كيف شاؤوا واحتووا على جميع ما كان في القافلة وسبوا النساء الحرائر ، وجمع القرمطي لعنه الله أجساد القتلى فعمل منها دكة تشبيها بالدكة التي قتل عليها أصحابـــه •

---

(١) قال ياقوت : الفراض جمع الفرضة وهي المشرعة . والاصل في الفرضة الثلمة في النهر . والفراض موضع بين البصرة واليمامة قرب قليج .

وسير الى بعض الشراف الهاشميين بحلب تاريخا جمعه أبو غالب همام بن الفضل[1] بن جعفر بن علي بن المهذب ذكر أنه تذكرة كتبها مما وجده في التواريخ المتقدمة ومما وجده بخط جد أبيه الشيخ أبي الحسين علي بن المهذب بن أبي حامد محمد بن همام بن أبي شهاب وغيره ، قال فيه :

سنة تسعين ومائتين :

فيها : نجم بالشام قرمطي بأرض دمشق انتسب الى العلوية •

قال : وذكر الشيخ أبو الحسين علي بن المهذب أن أباه المهذب أخبره أن (١٣٨ ــ و) هذا القرمطي أول من وقع عليه هذا اللقب ، وكان خرج في بطن من بني عدي من كلب ، يقال لهم بنو العليص ، فخرج اليه طغج بن جف ، والي دمشق من قبل الطولونية ، محتقرا له في غير عدة ولا عدة • وكان هذا القرمطي في بادية كلب ، فأوقع بطغج ، ودخل الى دمشق مهزوما ، ثم رجع فجمع عسكره ، وحشد وخرج اليه فكان الظفر للقرمطي أيضا ، وقتل خلقا كثيرا من أصحاب طغج، ونهبوا عسكره • وعاد طغج الى دمشق فقوي القرمطي • وكتب طغج الى مصر فوجه اليه جماعة من الفرسان والرجالة ، وأمدهم من في الشام • فصار جيشا عظيما فخرج ، وهو غير شاك في الظفر به ، فأوقع القرمطي به وكانت الوقعة في موضع يعرف بالكسوة[2] ، وسار القرمطي الى بعلبك ففتحها وقتل أهلها ونهب وأحرق ، وسار منها الى حمص فدعا لنفسه بها وبث ولاته في أعمالها ، وضرب الدنانير والدراهم وكتب عليها : « المهدي المنصور ــ أمير المؤمنين » • وكذلك كان يدعى له على

---

(١) من مؤرخي المعرة في القرن الخامس للهجرة ، وقد ورد ذكره بين تلامذه أبي العلاء المعري ، ولم يصلنا تاريخه بل وصلنا نقول كثيرة منه بثها ابن العديم في ثنايا كتابه بغية الطلب . هذا وقد اشار حاجي خليفة لهذا الكتاب ، ولا ندري أرآه أو قرأ عنه فتحدث عنه في كشفه ، ويتبين من بغية الطلب أن ابن المهذب قد أكمل أو ذيل على كتاب في التاريخ كتبه جده ثم ان اسامة بن منقذ مع واحد من اخوانه قاما فيما بعد أيضا بالتذييل على كتاب ابن المهذب ، وأن الكتاب في هذه المرحلة بات يعرف باسم « البداية والنهاية » .

(٢) تتمة الحديث تتعلق بصاحب الخال لا بصاحب الجمل ، ويبدو أن مرد هذا الى سقط لحق بأصل ابن المهذب وأن ابن العديم تابع نسخ الخبر دون أن يلاحظ ذلك .

المنابر ، وأنفذ سرية الى حلب فأوقع بأبي الاغر خليفة بن المبارك السلمي ، وعادت السرية وجبى الخراج ، وحمل اليه مال جند حمص • فأنفذ الامير أبو الحجر المؤمل ابن مصيبح ــ أمير برزويه والبارة والروق[1] وأفامية وأعمال ذلك ، وبقي والي هذه المواضيع من قبل الخلفاء ببغداد أربعين سنة،فيها ــ رجلين من أهل معرة النعمان اسم أحدهما (١٣٨ ــ ظ) أحمد بن محمد بن تمام ، والآخر ابن عاص القسري ، وجاءا الى القرمطي يرفعان على أهل معرة فمضيا اليه وقالا له: ان أهل معرة النعمان، قد شقوا العصا ، وبطلوا الدعوة ، وغيروا الأذان ، ومنعوا الخراج • وكان أهل معرة النعمان قد أرسلوا معهما الخراج « فأخذ منهما في الطريق » فلما قالا له ذلك ، التفت الى كاتبه ، وقال له : اكتب « وشهد شاهدان من أهلها » فسار اليها ، وقال لأصحابه : ان أغلقوا الباب فاجعلوا غارة على الدارس[2] فخرج أهل معرة النعمان ولا علم لهم بما قد جرى ، وأصحاب القرمطي يقولون لهم القوا مولانا السيد ، فبلغ كثير من الناس الى قرب حناك[3] ، وأخذ الابواب أصحاب القرمطي على الناس ، وقتل خلق كثير ، ودخلها يوم الاربعاء النصف من ذي الحجة ، فأقام يقتل المشايخ والنساء والرجال والاطفال ، ويحرق وينهب خمسة عشر يوما ، فذكر أن القتلى كانوا بضعة عشر ألفا •

وخرج المكتفي الى الرقة ، وأنفذ عساكره مع محمد بن سليمان الكاتب الأنباري وكان شهما شجاعا مدبرا ، فحصل في حلب في جيش فيه ثلاثون ألفا مرتزقة، فيما ذكر غير واحد ، وكان جهير بن محمد ، يقول له : تخرج اليه فقد أهلكوا عشيرتي • فيقول له ابن الأنباري الكاتب : لو أخذوا بلحيتي ما خرجت اليهم حتى يهل هلال المحرم ــ يريد سنة احدى وتسعين •

قال أبو غالب (١٣٩ ــ و) بن المهذب :

سنة احدى وتسعين :

فيها : سار محمد بن سليمان الكاتب الأنباري الى القرامطة ، فأوقع بهم في قرية تعرف بالحسنية فقتلهم وبدد شملهم •

---

(١) كتب ابن العديم في حاشية الاصل : الروق هو الذي يقال له الروج كورة معروفة وهذه المناطق واقعة في منطقة حلب معروفة .

(٢) كذا في متن الاصل وكتب ابن العديم الحاشية : لعله الذراري .

(٣) حصنا كان في مشارف المعرة ــ معجم البلدان .

ولما تصور القرمطي ، ورأى أنه لا طاقة له بعساكر الخلافة ، هرب قبل الوقعة بأصحابه فحصل في قرية شرقي الرحبة ، تعرف بالدالية في نفر يسير من خواص أصحابه ، فتستروا وبعث بعض أصحابه متنكرا ، ليمتار لهم ما يحتاجون اليه ، فأخذ وأنكر وأتي به الى رجل كان يتولى معونة الدالية ، يعرف بأبي خبزة ، لأحمد بن محمد بن كشمرد ، وكان ابن كشمرد والي الرقة، وكان صغير الشأن حقيرا في الجند، فسأله أبو خبزة عن خبره وقصته ، فتبين منه قولا مختلفا فألح عليه أبو خبزة ، فأقر ذلك الرجل بأنه من رجال القرمطي ، ودل عليهم في أي موضع هم ، فخرج أبو خبزة فيمن جمعه من الاجناد والرجال الى الموضع الذي فيه القرمطي وأصحابه ، فظفر بهم وبالقرمطي ، وكان معهم حملان من المال ، فأخذهم والمال معهم وحملهم الى ابن كشمرد والي الرقة ، فأخذهم وكتب بخبرهم الى المكتفي ، فبعث اليه من تسلمه منه، وأوردهم الرقة ، وانحدر المكتفي الى مدينة السلام بغداد ، وهم معه ، فبنى له دكة عظيمة بظاهر القصر المعتضدي وعذبوا عليها بأنواع العذاب .

أخبرنا أبو البركات بن محمد بن الحسن ـ كتابة (٣٩ ـ ظ) قال : أخبرنا أبو علي بن أبي محمد الدمشقي ، قال : قرأت على منصور بن خيرون عن أبي محمد الجوهري ، وأبي جعفر بن المسلمة ، عن أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال : أحمد بن عبد الله الخارج بالشام في أيام المكتفي بالله ، وكان ينتمي الى الطالبيين ، وهو المعروف بصاحب الخال ، وقتل بالدكة في سنة احدى وتسعين ومائتين ، يروى له ولأخيه علي بن عبد الله شعر يشك في صحته ، فمما يروى لأحمد:

متى أرى الدنيا بلا كاذب ... ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف على كل من ... عادى علي بن أبي طالب
متى يقول الحق أهل النهى ... وينصف المغلوب من غالب
هل لبغاة الخير من ناصر ... هل لكؤوس العدل من شارب

قال : ويروى له :

نفيت من الحسين ومن علي ... وجعفر الغطارف من جدودي
وخيب سائلي وجفوت ضيفي ... وبت فقيد مكرمة وجود
وأعطيت القياد الدهر مني ... يمين فتى وفي بالعهود

لئن لـم أعط مـا ملكت يمينـي لحـرب من طريف أو تليـد
وافتتحنهـا حربـا عـوانـا تقحـم بالبنود علـى البنود
فامـا أن أروح بروح عـز وجـد آخـذ ثـأر الجدود
وامـا أن يقـال فتى أبيٍّ تخرم في ذرى مجـد مشيد
تهـددنا زعمت شبوب حرب تقحـم بالبنود علـى البنود

بقصيدة منهـا :

فكان السيف أدنى عنـد ورد الى ودجيك مـن حبـل الوريـد

قرأت بخط أبي بكر محمدبن يحيى الصولي، وأخبرنا به أبو القاسم عبدالصمد ابن (١٤٠ ــ و) محمد بن أبي الفضل ، فيما أذن لنا برواية عنه ، قال : كتب الينا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي ، أن أبا القاسم البذار أنبأهم ، عن أبي أحمد بن أبي مسلم ، عن أبي بكر الصولي قال : وأجلس القرامطة مكان علي بن عبد الله أخا له يقال له أحمد بن عبد الله وزعموا أنه عهد اليه، وصار أحمد بن عبد الله الى حمص، ودعي له بها وبكورها ، وأمرهم أن يصلوا الجمعة أربع ركعات ، وأن يخطبوا بعد الظهر ، ويكون أذانهم : أشهد أن محمد رسول الله • أشهد أن عليا ولي المؤمنين • حي على خير العمل • وضرب الدراهم والدنانير وكتب عليها « الهادي المهدي » لا إله إلا الله محمد رسول‌الله «وقل جاء الحق وزهق الباطل‌ان الباطل كان زهوقا»[١] وعلى الجانب الآخر « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »[٢] •

ووجه أحمد بن عبد الله هذا برجل يعرف بالمطوق أمرد ــ فرأيته بعد ذلك ــ فكبس أبا الأغر ، ثم خرج المكتفي بالله اليه ، وأقام بالرقة وأنفذ الجيوش اليه مـع محمد بن سليمان ، وأنفذ غلامه سوسنا معه في جيش عظيم ، فورد الخبر بأنه قتل، ذكر ذلك الصولي في سنة احدى وتسعين ومائتين •

قال : ثم أتى الخبر للنصف من المحرم من الدالية بأن فاوسين من الكلبيـين أحدهما من بني الاصبغ والآخر من بني ليلى نزلا بالسقافية (١٤٠ ــ ظ) فأخذا ، فأقرا أنهما من القرامطة ، وأن القرمطي بالقرب ، فركب محمد بن علي أبـو خبزة

---

(١) سورة الاسراء : ٨١ .
(٢) سورة الشورى : ٢٣ .

وأحمد بن محمد بن كشمرد من الرحبة فظفرا بالقرمطي ، وأخذ معه رجل يقال له المدثر، وكاتبه، وغلام أمرد حدث يقال له المطوق، وحمل الى الرقة،وقد ذكرنا خبره.

قال الصولي ومما يروى من شعر أحمد بن عبد الله :

متـــى أرى الدنيا بلا كاذب ... ...

وذكر الأبيات الأربعة وقال : ومنـــه :

ثأرت بجدي خير من وطىء الحصا وأنصاره بالطف قتلـــى بني هنـــد

فأفنيت مـــن بالشام منهـــم لأنهـــم بقصدهم جاروا عـــن المنهج القصد

على أنهم جاشوا لنـــا وتجمعوا وكادوا وكـــان الله أعلـــم بالقصد

فجاهدتهم بالله منتصرا بـــه فأفنيتهم بالبيض والسمر والجـــرد

قال الصولي : ولعلي بن عبد الله وأخيه أحمد بن عبد الله شعر ، أظن بعض من بميل اليهم ، ويكره السلطان ، عمله ، أو أكثره ، وحمله عليهما .

أنبأنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسين الدمشقي ، قال : أخبرنا عمـــي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله قال : أحمد بن عبد الله ، ويقال عبدالله ابن أحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما زعم . وهو صاحب الخال أخو علي بن عبد الله القرمطي . بايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق وتسمى (١٤١ ــ و) بالمهدي ، وأفسد بالشام ، فبعث اليه المكتفي عسكرا في المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين ، فقتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى هو في نفر من أصحابه يريد الكوفة ، فأخذ بقرية تعرف بالدالية من سقي الفرات ، وحمل الـــى بغداد وأشهر وطيف به على بعير ، ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه الذين أخذوا معه يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الاول من سنة احدى وتسعـــين ومائتين ، وكان شاعرا وله في الفخار أشعار من جملتها :

سبقت يـــدي يـــده لضربـــة هاشمي المحتد

وأنـــا ابن أحمـــد لـــم أقـــل كـــذبا ولـــم أتزيـــد

من خـــوف بأسي قـــال بـــد ر : ليتنـــي لـــم أولـــد

يعني بدر الحمامي الطولوني ، أمير دمشق . هكذا قال الحافظ أبو القاسم . ولا أعلم أحدا قال في صاحب الخال عبد الله بن أحمد غيره . والمعروف بهذا الاسم

ابن عمه المعروف بالمدثر ، وكان سار الى الشام فلقبه شبل الديلمي ، مولى المعتضد بالرصافة في سنة أربع وثمانين ومائتين فقتله القرامطة ، وقتلوا أصحابه . ودخلوا الرصافة فأحرقوها وجاؤوا مسجدها ونهبوها ، وساروا نحو الشام . فالظاهر أنه اشتبه عليه بصاحب الخال وأكد عنده ذلك هذه الابيات الثلاثة التي عزاها (١٤١ ــ ظ) اليه ، وقوله فيها :

وأنا ابن أحمد لم أقل كذبا ولم أتزيد

على أن هذه الابيات ليس مراد صاحب الخال منها أن أحمد أبوه ، بل أراد بقوله : « وأنا ابن أحمد » ، أنه من نسل أحمد النبي ﷺ ...... (١٤٢ ــ و) .

خليفة بن المبارك :

أبو الأغر السلمي قائد مذكور مشهور،ولي حلب في سنة تسع وثمانين ومائتين، ولاه اياها المكتفي حين تولى الخلافة ، وتوجه اليها لمحاربة القرمطي صاحب الخال ، وقدمها في عشرة آلاف فارس ، فأنفذ القرمطي سرية اليه الى حلب في سنة تسعين ومائتين ، فخرج أبو الأغر فنزل وادي بطنان فلما استقر وافاهم جيش القرمطي يقدمه المطوق غلامه فكبسهم ، وقتل منهم خلقا عظيما ، فانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر ، فدخل حلب ومعه ألف رجل لا غير ، وصار القرمطي الى باب حلب فحاربهم أبو الأغر فيمن بقي معه من أصحابه ، وأهل البلد ، فذهبوا وانصرفوا عنه ، ثم عزل عن ولاية حلب بعد ذلك .

ذكر أبو عبد الله محمد بن يوسف في رسالته الى أخيه بخبر القرمطي ، أن القرمطي وجه بخيل كثيرة ورجاله : كثيفة مع المعروف بعميطر،وهو أحد دعاته وثقاته الى ناحية حلب ، فلما كان يوم الاربعاء لعشر ليال بقين من رمضان ــ يعني سنة تسعين ــ وقعوا بخليفة بن المبارك المعروف بأبي الأغر وهو على غاية الطمأنينة ، وما يقدر أن خيل المارقة تبلغ اليه لأنه لم يكن وصل الى حلب ، وكان ابنه بها فقتل القرامطة عامة من كان في عسكره من الاولياء والبياع والتجار ، فأبيد خلق من الناس، وسلم أبو الأغر ، فصار الى قرية من قرى حلب ، وخرج اليه ابنه من المدينة في جماعة من الاولياء والرجالة،فأقاموا على مدينة حلب على سبيل المحاصرة لأهلها،فلما كان يوم الجمعة سلخ شهر رمضان، تسرع أهل مدينة حلب الى الخروج للقاء عدوهم، فمنعوا

من ذلك فكسروا قفل الباب وخرجوا الى الفسقة ، فدامت الحرب بين الفريقين ، ورزق الله الرعية النصر عليهم ، وخرج السلطان فأعانهم ، فقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، ولما كان يوم السبت يوم العيد خرج أبو الأغر خليفة بن المبارك الى المصلى، وعيد المسلمون ، وخطب الخاطب ، ثم عادت الرعية على حال سلامة. وانصرف عنهم، فلما أيسوا رحلوا في النصف من ليلة الاحد عن معسكرهم ، وصاروا الى صاحبهم الخائـــن .

أنبأنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي . قال : كتب الينا أبو عبد الله بن علي العظيمي ، قال : سنة تسعين ومائتين خلــع على أبي الاغر ، ووجه لحرب القرمطي بناحية الشام ، فمضى الى حلب في عشرة آلاف .

قال: وللنصف من شهر (٢٣٢ ــ و) رمضان مضى أبو الاغر الى حلب، ونزل وادي بطنان ، قريبا من حلب ، ونزل معه جميع أصحابه فنزع ـ فيما ذكر ــ جماعة من أصحابه ثيابهم ودخلوا يتبردون بمائة ، وكان يوما شديد الحر ، فبينا هم كذلك ، اذ وافاهم جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامة، مقدمهم المعروف بالمطوق. فكبسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر وجماعة من أصحابه ، فدخل حلب وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان في عشرة آلاف رجل ما بين فارس وراجل ، وقد كان ضم اليه جماعة ممن كان على باب السلطان ، من قواد الفراغنة ورجالهم ، فلم يفلت منهم الا اليسير ، ثم صار أصحاب القرمطي الى باب حلب فحاربهم أبو الأغر ، ومن بقي معه من أصحابه، وأهل البلاد فانصرفوا عنه.

قرأت في حوادث سنة سبع وتسعين ومائتين من تاريخ ثابت بن سنان بن قرة ، قال : في أيام المقتدر ، وفيها قدم أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الرقة بغير اذن ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أهله ، وكسر سيفه وخرق سواده ، وحبس .

وقال في حوادث سنة اثنتين وثلاثمائة : وفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من رجب، أطلق أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الاعتقال في دار السلطان ، وخلع عليه خلع الرضا في يوم الخميس مستهل شعبان .

أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، أذنا ، قال : أخبرنا (٢٣٢ ــ ظ) الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي قال : خليفة بن المبارك ،

أبو الأغر ، ولاه المعتضد قتال الاعراب بطريق مكة ، فقتل منهم جماعة وأسر رأسهم صالح بن مدرك بالحيلة ، وقدم بغداد في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين ، فخلع عليه وطوق بطوق ذهب ، ثم ولي حلب ، وقدم دمشق مع محمد بن سليمان ، وغيره من الامراء الذين وجههم المكتفي لحرب الطولونية بمصر، وغزا بلاد الروم مع مؤنس الخادم في ذي القعدة سنة ست وتسعين ومائتين ، ثم خالف على السلطان ، فأخذ وأدخل بغداد هو وأولاده ، فقيدوا يوم الاثنين لأربع بقين من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، ثم أطلق في يوم الخميس ، وخلع عليه يوم الخميس مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة . فمات فجأة يوم الاربعاء لثمان خلون من ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثمائة .

قرأت بخط ثابت بن سنان الصابي في كتاب وقع الي يتضمن وفاآت من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة الى السنة التي مات فيها قال : سنة اثنتين وثلاثمائة ، أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي مات لسبع خلون من ذي الحجة فجأة . . .. (٢٣٣ ــ و) .



كتــاب

نهايــة الأرب في فنون الأدب

ذكر اخبار القرامطة وابتداء امرهم وما كان من اخبارهم وما استولوا عليه من البلاد وغير ذلك من أخبارهم ٠

والقرامطة منسوبون الى قرمط ، وقد اختلف فيه : فمن الناس من يقول انه حمدان بن الاشعث ، وأنه انما سمى قرمطا لأنه كان رجلا قصيرا ، قصير الرجلين ، متقارب الخطو ، فسمي بذلك ، وقيل قرمط : ثور كان لحمدان بن الاشعث هذا ، وأنه كان يحمل غلات السواد على أثوار له بسواد الكوفة ، والله تعالى أعلم ٠

قال ابن الاثير في تاريخه[1] الكامل في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين :

وفيها تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة ، وكان ابتداء أمرهم : أن رجلا يقال له حمدان يظهر الدين والزهد والتقشف ، ويأكل من كسبه ، وأقام على ذلك مدة ، فكان اذا جالسه رجل ذاكره الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم[2] ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو الى امام من أهل بيت رسول الله ﷺ ، فاستجاب له جمع كثير وكان يقعد الى بقال هناك ، فجاء رجل الى البقال يطلب منه من يحفظ له ما صرم من نخله، فدله عليه وقال لعله يجيب ، فكلموه في ذلك فاتفق معهم على أجرة معلومة ، فكان يحفظ لهم ويصلي أكثر نهاره ، ويصوم ويأخذ عند افطاره من البقال رطل تمر ، يفطر عليه ويجمع نواه ويعطيه للبقال،فلما حمل التجار تمرهم جلسوا عند البقال وحاسبوه وأعطوه أجرته ، وحاسب هو البقال على ما أخذ من التمر وحط ثمن النوى فضربوه، وقالوا ألم يكفك أن تأكل تمرنا حتى تبيع نواه ؟! فأوقفهم البقال على الخبر فاعتذروا واستحلوا منه ، وازداد بذلك عند أهل القرية ، ودعا أهل تلك الناحية الى مذهبه فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل اذا أجابه دينارا واحدا ، ويزعم أنه للامام ، واتخذ منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يدعو الناس الى مذهبه وقال : أنتم كحواري عيسى

---

(١) الكامل ــ ط. المنيرية القاهرة ١٣٥٣ : ٦٩/٦ ، ومصدر ابن الاثير الاساسي هو تاريخ الطبري . ونقل النويري هنا عن ابن الاثير باختزال .

(٢) في ابن الاثير : ٦٩/٦ « كل يوم وليلة » .

ابن مريم ، فاشتغل أهل تلك الناحية عن أعمالهم[1] ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فرأى تقصير الاكارة في عمارتها ، فسأل عن ذلك فقيل له خبر الرجل فحبسه، وحلف ليقتلنه لما اطلع على مذهبه ، وأغلق عليه الباب ليقتله في غد ، وجعل المفتاح تحت رأسه ، فسمع بعض جواريه خبره فرقت له ، فسرقت المفتاح وأخرجته وأعادت المفتاح الى موضعه ، فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده[2] ، فشاع ذلك في الناس فافتتنوا به وقالوا رفع ، ثم ظهر في ناحية أخرى ، ولقي جماعة من أصحابه فسألوه عن قصته فقال : لا يمكن أن ينالني أحد بسوء ، فعظم في أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج الى ناحية الشام ، فلم يوقف له على خبر ، هذا ما حكاه عز الدين ابن الاثير الجزري في تاريخه الكامل .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ وهو المعروف بأخي محسن ــ في كتاب[1] ألفه ذكر فيه عبيد الله الملقب بالمهدي[2] ، الذي استولى على بلاد المغرب واستولى بنوه من بعده على الديار المصرية والشام وغير ذلك ، وذكر الشريف أصل عبيد الله هذا ونفاه عن النسب الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه،واستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها أجاد في تبيانها، وقال في أثناء ما حكاه أنه لما صار الامر الى أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان بعد أبيه ــ وأحمد هذا هو جد عبيد الله الملقب بالمهدي ــ بعث ــ وهو بسلمية ــ الحسين الأهوازي داعية العراق ، فلقي حمدان بن الاشعث قرمطا بسواد الكوفة

(١) زاد ابن الاثير : ٦٩/٦ « بما رسم لهم من الصلوات » .

(٢) أن يكون الصدام الاول في تاريخ القرامطة مع واحد من الملاكين الكبار ، أمر له دلالات عظيمة .

(٣) كان من أشراف دمشق وقادتها ، يبدو أنه اعتزل في بيته وتزهد بعد ما صارت دمشق تحت السلطان الفاطمي ، ترجم له ابن عساكر ، وقال : « وله تصانيف » وأوضح أن وفاته كانت « في يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة » تاريخ دمشق ــ الظاهرية (٣٣٧٨) : ٣٦١/١٥ . وانظر أيضا أصول الاسماعيلية : ٥٧ .

(٤) سبق أن أوضحت ان اسمه عبد الله .

ومعه ثور ينقل عليه ، فقال له الحسين الاهوازي : كيف الطريق الى قس بهرام[1] ؟ فعرفه حمدان أنه قاصدا اليه ، وسأله الاهوازي عن قرية تعرف ببانبوا[2] من قرى السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته وكان حمدان هذا من قرية تعرف بالدور على نهر هد من رستاق مهرود من طسوج فرات بادولي[3] ، قال : فتماشيا ساعة فقال له حمدان : اني أراك جئت من سفر بعيد ، وأنت معي فاركب ثوري هذا ، فقال له الحسين : لم أومر بذلك ، فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ قال نعم ، قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكي ومالكك ومن له الدنيا والآخرة ، قال : فبهت حمدان قرمط مفكرا ، وأقبل ينظر اليه ثم قال له : يا هذا ما يملك ما ذكرته الا لله تعالى ! قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء ، قال له حمدان . فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع الى جراب فيه علم ، سر من أسرار الله تعالى ، وأمرت،أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها وأستنفذهم وأملكهم أملاك أصحابهم[4].

وابتدأ يدعوه فقال له حمدان : يا هذا نشدتك الله الا دفعت الي من هذا العلم الذي معك وأنقذتني ينقذك الله !! قال له : لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله تعالى على النبيين والمرسلين وألقي عليك ما ينفعك ، قال : فما زال حمدان يضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال : قرمط ، ثم قال له قرمط : قم معي الى منزلي حتى تجلس فيه ، فان لي اخوانا أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي ، فصار معه الى منزله ، فأخذ على الناس العهد هناك ، وأقام في منزل حمدان وأعجبه أمره وعظمه وكرمه ، وكان على غاية ما يكون من الخشوع ، صائما نهاره قائما ليله ، وكان المغبوط من أخذه الى منزله ليلة ، وكان ربما خاط لهم الثياب وتكسب بذلك ، وكانوا يتبركون به وبخياطته . قال : وأدرك التمر فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي الى عمل تمره ، وكان من وجوه أهل الكوفة ومن أهل العلم والفضل والتوحيد ، فوصف له

---

(١) في مصادر اخرى « ساباط نوح » ولم اقف لهما على تعريف في مصادر المكتبة الجغرافية العربية ، ويرجح انها قريبة من الكوفة .

(٢) في ناحية الحيرة من أرض العراق ــ معجم البلدان .

(٣) الطسوج : النواحي ، وجميع هذه المواضع هي من سواد بغداد . انظر مواد . مهزود ، بادولي ، الدور ، في معجم البلدان .

(٤) هذه من الاشارات الهامة الى أهداف القرامطة الاقتصادية .

هذا الرجل فنصبه لحفظ تمره[١] والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها واحتاط في أداء الامانة ، وظهر منه من التشديد في ذلك ما خرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الامور ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس به ، وثقته بحمدان قرمط وسكونه اليه ، فأظهر له أمره وكشف له الغطاء .

قال : وكل ماكان هذا الداعية يفعله من الثقة والامانة واظهار الخشوع والنسك انما كان حيلة ومكرا وخديعة وغشا ، قال : فلما حضرت هذا الطاغية الوفاة جعل مقامه حمدان بن الاشعث قرمطا ، فأخذ على أكثر أهل السواد وكان ذكيا خبيثا ، قال : وكان ممن أجابه من أصحابه الذين صار لهم ذكر زكرويه بن مهرويه السلماني وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق النوراني ، وعطيف النيلي وغيرهم ، وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس ، وكان أكبر دعاته عبدان متزوجا أخت قرمط أو قرمط متزوجا أخته ، وكان عبدان رجلا ذكيا خفيفا فطنا خبيثا ، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ذا فهم وحذق ، فكان يعمل عند نفسه على حد قد نصب له ، ولا يرى أنه يجاوزه الى غيره من خلع الاسلام ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ويدعو الى الامام من آل رسول الله ﷺ ، محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان زكرويه شابا فيه ذكاء وفطنة ، وكان من قرية بسواد الكوفة يقال لها المسانية[٢] تلاصق قرية الصوان ، وهاتان القريتان على نهر هد ، نصبه عبدان على اقليم نهر هد وطسوج السالحين واقليم نهر يوسف داعية، ومن قبله جماعة دعاة متفرقون في عمله ، يدور كل واحد منهم في عمله في كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة ، ودخل في دعوته من العرب من بني ضبيعة بن عجل — وهم من ربيعة — رجلان ، أحدهما يعرف برباح والآخر بعلي بن يعقوب القمر ، فأنفذهما دعاة الى العرب في أعمال الكوفة وسورا وبربسما وبابل ، ودخل في دعوته من العرب أيضا رفاعة ومن بني يشكر ، ثم من بكر بن وائل رجل يعرف بسند وآخر يعرف بهارون، فجعلهما دعاة نخيلة[٣] وما والاها في العرب خاصة الى حدود واسط،

---

(١) يلاحظ وجود تطابق بين مواد النويري وما رواه المقريزي ويتميز النويري بذكر مصادره ، بينما يغفل المقريزي ذلك .

(٢) لعله نسبة الى ميسان وهو اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط — معجم البلدان .

(٣) موضع قرب الكوفة على سمت الشام — معجم البلدان .

فمال اليه هذان البطنان ودخلا في دعوته فلم يكد يتخلف رفاعي ولا ضبعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل ، من بني عابس وذهل وغيره وبني عنزة وتيم الله وتعل وغيرهم ، وفيهم نفر يسير من بني شيبان ، فقوي قرمط بهم وزاد طمعه فأخذ في جمع أموالهم •

ذكر ما فرضه قرمط

على من دخل في دعوته واستجاب له وكيف نقلهم في استئصال اموالهم من اليسير الى الكثير حتى استقام له امرهم •

كان أول ما ابتدأ به أن فرض عليهم وامتحنهم بتأدية درهم واحد ، وسمى ذلك « الفطرة » من كل رأس من الرجال والنساء والصبيان ، فسارعوا الى ذلك ، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم « الهجرة » ، وهو دينار على كل رأس أدرك الحنث ، وتلا عليهم قوله تعالى(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم)[١] ، وقال : هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك مبادرين به اليه ، وتعاونوا عليه فمن كان فقيرا أسعفوه، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم «البلغة»، وهي سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو البرهان بقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)[٢] • وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الايمان والدخول في السابقين السابقين ــ « أولئك المقربون »[٣] ، وصنع لهم طعاما طيبا حلوا لذيذا وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى اليه سبعة دنانير واحدة منها ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل الى الإمام ، واتخذ ذلك كالخواتيم ينقل الى الداعي منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار ، فلما توطأ له هذا الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم قوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه •••الآية[٤]) فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا خمسه اليه،حتى كانت المرأة تخرج خمس ما تغزل ، والرجل خمس ما يكسب ، فلما تم ذلك له

(١) سورة التوبة : ١٠٤ .
(٢) سورة البقرة : ١١١ .
(٣) سورة الواقعة : ١٠ .
(٤) سورة الانفال : ٤١ .

واستقر فرض عليهم «الألفة»،وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد وأن يكونوا في ذلك أسوة واحدة ، لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعـداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)[1] ، وتلا عليهم قوله تعالى (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم)[2] ، وعرفهم أنه لا حاجة بهم الى أموال تكون معهم ، لأن الارض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال لهم ، هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون ، وطالبهم بشراء السلاح واعداده ، وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاة في كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها ، يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلي ومتاع وغيره ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ، ولا يبقي فقيرا بينهم ولا محتاجا ضعيفا ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والتكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته ، وكانت المرأة بجمع اليه كسبها من مغزلها ، والصبي أجر نطارته الطير ، فلم يملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه ، فلمـا استقام له ذلك كله وصبوا اليه وعملوا به ، أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال ، وقال : إن ذلك من صحة الود والالفة بينهم فربما بذل الرجـل لأخيه امرأته متى أحب ، فلما تمكن من أمورهم ووثق بطاعتهم وتبين مقدار عقولهم أخذ في تدريجهم الى الضلالة ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية فسلكوا معه في ذلك ، حتى خلعهم من الشريعة ونقض عليهم ما كان يأمرهم به في مبدأ أمرهم مـن الخشوع والورع والتقى ، وأباح لهم الاموال والفروج والغنى عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأن ذلك كله موضوع عنهم وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق الذي يدعو اليه يغني عن كل شيء ، ولا يخاف معه اثم ولا عـذاب .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٢) سورة الانفال : ٦٣ .

ذكر دعوة القرامطة وعهدهم الذين كانوا يأخذونه على من يغرونه ، ويستميلونه الى مذهبهم ، وكيف ينقلونه من مرتبة الى اخرى ، حتى ينسلخ من الدين ويخلــع ربقـــة الاسلام من عنقــــه .

قال الشريف أبو الحسن محمد بن علي : أول الدعوة بعد عمل الداعي بالرزق وقوة اجابة المدعو من سائر الامم أن يسلك به في السؤال عن المشكلات ، مسلــك الملحدين والشكاك ، ويكثر السؤال عن تأويل الآيات ومعاني الامور الشرعيات ، وشيء من الطبائع ووجوه القول في الامور التي تكثر فيها الشبه ، ولا يصل اليها الا العالم المبرز ومن جرى مجراه ، فان اتفق له مجيب عارف ممارس جدل سلم اليــه الداعي وعظمه وكرمه وحشمه وصوب قوله ، وداخله بما يحب من علم شريعته التي يومي اليها ، وكل ذلك ليقطع كلامه لئلا يتبين ما هو عليه من الحيلة والمكر ، ومــا يدخل به على الناس من أمر الدعوة ، وان اتفق مغرور مغفل غليظ الحواس ألقي اليه ما يشغل به قلبه ، مثل قوله : ان الدين لمكتوم وان الأكثر له لمنكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الامة ما خص الله به الائمة من العلم لم تختلف ، ويوهم من سمع كلامه أن عنده علوما خفية لم تصل اليهم،فتتطلع نفس المستمع الى معرفة بيان ماقال، وربما وصل أمره مع من يجالسه ــ واحدا كان أو جماعة ــ بشيء من معاني القرآن، وذكر شرائع الدين وتأويل الآيات وتنزيلها وكلام لا يشك المسلم العارف في حقيقته، ويوهم المستمعين منه أنه قد ظفر بعلم ، لو صادف له مستمعا لكان ناجيا منتفعا ، وقرر عندهم أن الآفة التي نزلت بالامة وحيرت في الديانة وشتتت الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقائقها ، ويحفظون عليهم معانيها وبواطنها ، وأنهم لما عدلوا عنهم ونظروا من تلقاء عقولهم ، واتباعهم لما حسن في رأيهم وسمعوه من أسلافهم وعلاتهم ــ اتبــاع الملوك في طلب الدنيا ــ وحاملي الغنى ومسمعي الإثم ، وأجناد الظلمة ، وأعوان الفسقة الطالبين العاجلة ، والمجتهدين في الرئاسة على الضعفاء ، ومن يكايد رسول الله ﷺ في أمته ، وغير كتابه ، وبدل سننه ، وقتل عترته وخالف دعوته وأفسد شريعته وسلك بالناس غير طريقته ، وعاند الخلفاء من بعده ، وخلط بين حقه وباطل غيره فتحير وحير من قبل منه ، وصار الناس الى أنواع الضلالات به وبأتباعه ، وقالوا لهم

حينئذ ــ كالنصحاء الحكماء ــ : ان دين محمد لم يــأت بالتحلي ولا بالتمري ، ولا بأماني الرجال ولا شهوات الخلق ، ولا بما خف على الالسنة وعرفته دهمــاء العامة ، وانما الدين صعب مستصعب ، أمر مستثقل وعلم خفي غامض ، سيره الله في حجبه وعظم شأنه عن ابتذال الاشرار له ، فهو سر الله عز وجل المكتوم وأمــره المستور ، الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، في أمثال هذا الكلام ، ويموه على من لا يعلم بأنهم لو أظهروا ما عندهم من العلم لأنكره من يسمعه ، وتعجب منه وكفر أهلــه ، وهذه مقدمة يجعلونها في نفوس المخدوعين ، ليواطئوهم على ألا ينكروا ما يسمعونه منهم ولا يدفعوه ، فيجعلوا ذلك تأنيسا وتأسيسا لينخلع من الشرائع وترتيب أصولها والحرص على طلبها ، وربما قالوا لهم شيئا يموهون به أن له تفسيرا ، وانما هو تقليد في الديانة .

فمن مسائلهم : ما معنى رمي الجمار ؟ والعدو بين الصفا والمروة ؟ ولم قضت الحائض الصيام ولم تقض الصلاة ؟ وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق لشيء طاهر منه البشر . ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر ، وما بال الله تعالــى خلق الدنيا في سبعة أيام[1]؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط المضروب في القرآن مثلا ؟ والكاتبين[2] الحافظين ؟ وما لنا لا نراهما ؟ أيخاف ربنا أن يكابره ونجاحده فأذكى[3] العيون وأقام علينا الشهود ؟ وقيد ذلك بالقرطاس والكتابة ؟! وما تبديل الارض[4] غير الارض ؟ وما عذاب جهنم ؟ وكيف يصح تبديل جلــد[5] مذنب بجلد لم يذنب يعــذب ؟! وما معنى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئــذ

(١) كذا في الاصل ، ومرده الى كون القرامطة كانوا سبعية ، علما ان الله تعالى ذكر في القرآن الكريم « ستة ايام » .

(٢) سورة المطففين : ١٠ ــ ١١ : (وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين) .

(٣) اذكى عليه العيون : ارسل عليه من يستطلع خبره .

(٤) سورة ابراهيم : ٤٨ (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهــار) .

(٥) سورة النساء : ٥٦ (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلمــا نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما) .

ثمانية »(١) ؟ وما ابليس ؟ وما ذكرته الشياطين ؟ وما وصفوا به : ومقدار قدرهم ؟ وما يأجوج ومأجوج ؟ وهاروت وماروت ؟ وما سبعة أبواب النار ؟ وما ثمانية أبواب الجنة ؟ وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم ؟ وما دابة الارض ؟ ورؤوس الشياطين ؟ والشجرة الملعونة في القرآن ؟ والتين والزيتون ؟ وما الخنس؟ وما الكنس؟ وما معنى ألم ، وألمص ؟ وما معنى كهيعص ؟ وما معنى حم عسق ؟ وأمثال هذا من الكلام ، ولم جعلت السماوات سبعا والارضون سبعا ؟ والمثاني من القرآن سبع آيات ؟ ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عينا ؟ ولم جعلت الشهور اثني عشر شهرا ؟ وأمثال هذا من الكلام والامور ، مما يوهمون أن فيه معاني غامضة وعلوما جليلة .

وقالوا للمغرورين : ما يعمل معكم الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة ؟ وأين أرواحكم ؟ وكيف صورها ؟ وأين مستقرها؟ وما أول أمرها ؟ والانسان ما هو؟ وما حقيقته ؟ وما فرق بين حياته وحياة البهائم ؟ وفرق ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات ؟ وما بانت به حياة الحشرات من حياة النبات؟ وما معنى قول رسول الله ﷺ « خلقت حواء من ضلع آدم »؟ وما معنى قول الفلاسفة : الانسان هو العالم الصغير؟ ولم جعلت قامة الانسان منتصبة دون الحيوان ؟ ولم جعل في أربع أصابع من يديه ثلاثة شقوق وفي الابهام شقان ؟ ولم جعل في وجهه سبعة ثقب وفي سائر بدنه ثقبان ؟ ولم جعل في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقه سبع ؟ ولم جعل رأسه في صورة ميم ويداه حاء وبطنه ميما ورجلاه دالا حتى صار لذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ؟ ولم جعلت أعداد عظامكم كذا وأعداد أسنانكم كذا ؟ ولم صارت الرؤساء من أعضائكم بكذا وكذا ، وسألوا عن التشريح والقول في العروق وفي الاعضاء ووجوه منافع الاعضاء ، ويقولون لهم : ألا تفكرون في حالكم وتعتبرون ؟ وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم غير مجازف ، وأنه فعل جميع ذلك بحكمة ، وله في ذلك أغراض باطنة خفية ، حتى جمع ما جمعه وفرق ما فرقه ، وكيف الاعراض عن هذه الامور ، وأنتم تسمعون قول الله عز وجل : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)(٢) وقوله : (وفي الارض

---

(١) سورة الحاقة :١٧ (والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) .

(٢) سورة الذاريات : ٢ .

آيات للموقنين)[١] ويقول :(ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون)[٢] ويقول (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[٣] فأي شيء رآه الكفار في أنفسهم وفي الآفاق فعرفوا أنه الحق ؟ وأي حق عرفه من جحد الديانة ؟ أو لا يدلكم هذا على أن الله عز وجل أراد أن يدلكم على بواطن الامور الخفية وأمور وأمور في باطنه ، ولو عرفتموه لزالت عنكم كل حيرة وشبهة ، ووقعت لكم المعارف السنية ، أولا ترون أنكم جهلتم أنفسكم ؟ التي من جهلها كان حريا بأن لا يعلم غيرها ، أو ليس الله تعالى يقول (ومن كان في هذه أعمى فهو في الاخرة أعمى وأضل سبيلا)[٤] ، وأمثال الامور يسألون عنه ويعرضون به من تأويل القرآن وتفسير ألفاظ كثيرة من ألفاظ السنن والاحكام ، والجواب معان يفسر بها وضع الشرائع السمعيات فيما رفع منها وما[٥] نصب ، وكثير من أبواب التعليل والتحوير مما يأتي في المقالة الثانية ان شاء الله تعالى ، فان أوجب ذلك للمسؤول عنه شكا وحيرة واضطرابا وتعلقت نفسه بالجواب عنه ، وتشوق الى معرفته فسألهم عنه عاملوه بمثل ما يفعل به صاحب الفأل والزراق والقصاص على العوام عند امتلاء صدورهم بما يفخرون به أولا عندهم من أحوال قد عرفوها من أحوالهم ، فهم الى معرفتها أكثر الحاحا وعلقوا بمعرفتها أنفسهم ، وعند بلوغ القصاص الى ما يبلغون اليه يقطعون الحديث ، لتعلق قلوب المستمعين بما يكون بعده، وهذه صفة الدعاة وحالهم،يقدمون على الكلام والمسائل ثم يقطعون فتتعلق أنفس المغرورين ، بما قد تأخر من القول الذي قدموا له مقدمة ، فاذا خاطبهم على علم معرفته تأويل البيان قالوا له : لا تعجل، فان دين الله أجل وأكبر من أن يبذل لغير أهله ، ويجعل عرضا للعب وما جانسه ، ويقولون : قد جرت سنة الله جل وعز في عباده عند شرع من نصبه من النبيين أخذ

---

(١) سورة الذاريات : ٢٠.

(٢) سورة ابراهيم : ٢٥ .

(٣) سورة فصلت : ٥٣

(٤) سورة الاسراء : ٧٢ .

(٥) في كنز الدرر للدواداري ص ١٠٢ : والجواب عن نصف معاني تفسيرها واضع الشرائع السمعيات فيما وقع منها وما نصب .

الميثاق ، كما قال تعالى : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)(١) وقال تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)(٢) ، وقال جل ذكره : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)(٣) وقال : (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا)(٤) وقال تعالى : (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ...)(٥) ، في أمثال هذا خبر الله عز وجل فيه أنه لم يملك حقه الا لمن أخذ عهده ، فأعطنا صفقة يمينك بالتوكيد من أيمانك وعقودك ، ألا تفشى لنا سرا ، ولا تظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ، ولا تكلمنا الا نصحا ولا توال علينا عدوا ، في أمثال لهذا ، وانما غرضهم في ذلك كله أمور : منها أن يستدلوا بها بظاهر ما يعطيهم المخدوع من انقياده وطاعته ، على باطن أمره من شكه واضطرابه ، وكيف موقع ذلك منه ، ومنها التوثق بالامن من كشف أحوالهم وانتشار أمورهم ، الا بعد توطئه ما يريدونه حالا فحالا ، ومنها أن يرسموه بالذل والطاعة لهم والرضى منه بأن يكون منقادا ، تابعا لهم ومكبرا ، والا فال نكث الايمان وقلة الاكتراث بها والفكر فيها والاعتداد بها ، هو دينهم عند البلوغ الى غايتهم التي يجرون اليها ، وانما يجعلون ذلك مانعا لأهل هذه الطبقات ، ما داموا مستشعرين للعمل بالديانات ، فان سمح المدعو باعطاء عهده وتصاغر لهم بقوة اضطراب قلبه وشكه ، قالوا له حينئذ : أعطنا جعلا من مالك ، وغرما نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها ، وكان ذلك مما يستظهرون به عليه بالاستدلال به أيضا على قوة شكه وتعلق نفسه ، وظهريا لهم على الاستعانة على أمرهم وتمكينهم لدعوتهم ، ثم رسموا في مبلغ ذلك رسما بحسب ما يراه الداعي في أمره صلاحا ، وان امتنع عليهم المخدوع في رتبة العهد واعطائه الداعي ، أو في رتبة العزم وعطيته أمسكوا عنه وزادوه أبدا في شكه وحيرته .

فهذا حال الدعوة الاولى ووصفها وما تدرج به الدعاة المخدوعين .

---

(١) سورة الاحزاب : ٧ .
(٢) سورة الاحزاب : ٢٣
(٣) سورة المائدة : ١
(٤) سورة النحل : ٩١ ـ ٩٢ .
(٥) سورة المائدة : ١٠ .

ذكـر صفـة الدعوة الثانيـة

قال الشريف رحمه الله : فاذا قبل المخدوع الرتبة الاولى وحصل عليها اعتقد تهمة الامة ، فيما نقلته عمن كان قبلها من علماء المسلمين ، وقوي شكه في ذلك ثم تقرر في نفسه أن الله تعالى لم يرض في اقامة حقه وما شرعه لعباده الا بأخذ ذلك عن أئمة نصبهم لهم وأقامهم لحفظ شرائعه على مراده ، وسلكوا به في تقرير هذه الامور عنده والدلالة على صواب قولهم ، وجعلوا على قولهم وبرهانهم طريقا يسلكون به مسلك أصحاب الامامة ، في تعاطي اتيانها من جهة السمع والعقل حتى يتأثر، ذلك عند من يأخذون عليه،ويقرره في نفسه فيكون ذلك منزلة ثانية ، ودعوة مرتبة بعد الدعوة الاولى التي قدمنا ذكرها .

ثم ينقلوه الى الدعوة الثالثة .

ذكـر صفـة الدعوة الثالثـة

قال : وأما الدعوة الثالثة فهي أن يقرر الداعي عند المخدوع أن الذي ينبغي أن يعتقده في عدد الائمة أنهم سبعة ، عظموا في أنفسهم وأعدادهم ، ورتبوا سبعة كما رتبت جلائل الامور ، وأصول الترتيب كالنجوم السيارة والسماوات والارضين ، ثم يعدد له مافي ذلك جار علىهذا العدد، مما سنذكره في المقامة الرابعة ونبينه ونذكر مذهبهم فيه ان شاء الله تعالى .

قال : ثم يقرر عند المخدوعين أمر الائمة وعددهم ، فيقول : أول هؤلاء الائمة علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ابناه ، ثم علي بن الحسين زين العابدين ، ثم محمد[1] بن علي الجليل الرضي ، ثم أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، ثم السابع وهو عندهم القائم وصاحب الزمان الآخر . وقد كان منهم من يجعل القائم محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ولا يبتدىء باسماعيل بن جعفر قبله ، ومنهم من يجعل اسماعيل ثم القائم محمد بن اسماعيل ، فمن فعل هذا خرج من أعداد السبعة ، فاذا قرر الداعي عند المخدوع : أن الائمة سبعة ، أسقط ستة لم يجعل لهم امامة وهم : موسى بن

---

(١) هو الباقر .

جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن أحمد والحسن بن علي[1] ، ومحمد المنتظر ، فاذا قبل منه المغرور ما يلقى اليه من هذا القول استقر عقله ، وأخذ في صرفه عن طريق الامامة ، ويقع في أبي الحسن[2] موسى بن جعفر ويثلبه بما ليس فيه ، ثم يقول له : ان امامية الذين يقولون باثني عشر اماما ليس لهم حقيقة بما يعتقدونه ، يريد بهذا أن يسهل عليه طريق المخالفة لأهل الامامة ، كما سهل عليه التهمة لما عليه سائر الامة من الاعتقاد ــ كما تقدم في الدعوة الاولى ، يصدون عن طريق الإمامة في أبي الحسن ، ويقال ان موسى بن جعفر يكنى أبا ابراهيم ، يقولون: انا وجدنا صاحبنا محمد بن اسماعيل بن جعفر عنده علوم المستورات وبواطن المعلومات ، وفقدنا ذلك عند كل أحد سواه ، وربما أتوا بروايات في الطعن على أبي الحسن موسى بن جعفر ورموه بالعظائم ، ويقولون : ليس له امامة ، وقد أجمعت الشيعة ــ التي اجماعها أولى بالاتباع والحجة ــ أنه لا يستحق الامامة بعد مضي الحسين بن علي الا في ولد الامام ، وقد اتفقنا وهم على صحتها وترتيبها الى جعفر بن محمد ، ثم اختلفنا في أي أولاده أحق بها ، فوجدنا عن صاحبنا علم التأويل وتفسير ظاهر الامور ، وسر الله جل وعز في وجه تدبيره المكتوم ، واتفاق دلالته في كل أمر يسأل عنه ، في جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات ، فنحن الوارثون لذلك من بين طبقات الشيعة المعبرين عنه أخذناه من جهته ورويناه ممن لا نجد من خالفنا ، يمكنه أن يساوينا فيه ، ولا يتحقق به ويدعيه ، فصح بذلك أن صاحبنا أولى بالامامة من جميع ولد جعفر بن محمد ،وربما قالوا : وجدنا فلانا من ولد جعفر بن محمد من شأنه كذا ، وفلانا من قصته كذا، في فروق لهم كاذبة بأقاويل لا تليق بهم ، ثم يقولون : فلم يبق من سلم من الطعون المعروفة الا صاحبنا ، فوجب أن يكون هو صاحب الامر دون كل أحد، وليس غرض هؤلاء ــ أصحاب هذه الدعوة الخبيثة ــ أن يؤخروا موسى بن جعفر ، ولا يقدموا

---

(١) هو الامام العسكري الحادي عشر لدى الشيعة الاثني عشرية .

(٢) سبب ذلك ان الانشطار بين الاسماعيلية واثني عشرية حدث عند توليه الامامة بعد أبيه الصادق .

اسماعيل بن جعفر ولا ابنه محمد ، وانما جعلوا هذا كأداة الصانع التي لا يتم الصنعة الا بها ، ناذا انقاد لهم المغرور وسمع قولهم تيقنوا أنهم قد تمكنوا من عقله، وسلكوا به أي مسلك أرادوه • فهذه الدعوة الثالثة •

ذكر صفة الدعوة الرابعة

قال الشريف : اعلم أن الدعوة الرابعة أن تقرر عند المدعو بأن عدد الانبياء الناسخين للشرائع المبدلين لها أصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين على الامور سبعة بعدد الائمة سواء ، كل واحد منهم له صاحب يأخذ عنه دعوته ، ويحفظها على أمته ، ويكون معه ظهريا في حياته وخليفة له من بعد وفاته ، الى أن يؤديها الى آخر، يكون سبيله معه سبيله هو مع متبعه الذي هو تابعه ، ثم كذلك لكل مستخلف خليفة ، الى أن يمضي منهم على تلك الشريعة سبعة ، ويسمون هؤلاء السبعة الصامتين ، لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أولهم ، ويسمون صاحب الاول سوسه ، وربما عبروا عنه بغير ذلك ، ثم يزعمون أنه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة واستنفاد دورهم بشرعهم من استفتاح دور ثان ، ينسخ به شرع من قبله ، ويكون خلفاؤه بعده يجري أمرهم كأمر من كان قبلهم ، ثم يأتي بعدهم ناسخ ، ثم اتباع سبعة صمت أبدا الى أن يأتي السابع ، فينسخ لجميع ما قبله ، ويكون صاحب الزمان الاخير الناطق •

ثم يرتبون هؤلاء بالتسمية لهم والاوصاف ، فيقولون : أول هؤلاء النطقاء آدم ، وصاحبه وسوسه شيث ، ويقال بابه في موضع سوسه ويسمون بعده تمام سبعة صمتوا على شريعة آدم ، ثم نوح فانه ناطق ناسخ وسام سوسه ، ثم تمام السبعة ، ثم الثالث ابراهيم وسوسه اسماعيل ، ثم تمام السبعة ، ثم الرابع موسى وسوسه هارون ، ثم مات هارون في حياته فصار سوسه يوشع بن نون ، ثم تمام السبعة بعده ، ثم الخامس المسيح عيسى بن مريم أخذها عن يحيى ، وهو أحد السبعة بعده ، ثم السادس محمد بن عبد الله ﷺ، وسوسه علي بن أبي طالب رضي‌الله عنه ثم ستة ثم السابع قائم الزمان محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو المنتهى اليه علوم من قبله ، والقائم بعلم بواطن الامور وكشفها ، واليه تفسيرها ، والى أمره أجري ترتيب سائر من قبله ، في أمور سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى •

فهذه درجة أخرى قررها الداعي عند المدعو ، نبوة نبي بعد محمد ﷺ ، وسهل بها النقل عن شريعته ، وأخرج بها المدعو اليهما عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله ﷺ من أن من دينه وما علم من مذهبه ونحلته أنه خاتم الرسل وأنه لا نبي بعده ، وأن دولته مبقاة وشريعته مفترضة أبدا ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها . فالعلم بذلك من دياتنه وما عرف من مذهبه ، وأن أمته بلغت عنه ذلك وفهمته ، وأن من مفهوم شريعته أنه لم يكن يجوز لأحد نبوة غيره ، في وقته ولا فيما بعده ، فكانت هذه الدعوة أول ما أخرج الداعي بها المدعو عن شريعة رسول الله ﷺ وأدخله في جملة الكفار المرتدين عن شريعته ، وهو مع هذا لا يعلم ما خرج منه ولا دخل فيه .

ذكــر صفــة الدعوة الخامســة

قال : اعلم أنه من يحصل على ما قدمنا ذكره يحصل عليه ، وقد مهد له بطريق تعظيم الاعداد ، ووكد بذكر الطبائع في أبنية العالم ، وأمور كثيرة سيأتي ذكرها في المقالة الثامنة ، كلها مبنية ، على مذاهب مدخولة ، وأمور فاسدة فرذولة ، مذاهب كثير من الملحدين المتفلسفة ، مع اطراح ما نقلت الامة ، والاستخفاف بحال الشريعة، والاعتقاد لتعظيم الشيعة ، والانتظار لفسخ ما ورث عن النبوة ، وتوقع أمور باطنة بخلاف ما ألف من علم الظاهر ، وقلة احتفال بدلالة ظاهر القرآن وغيره من الكلام ، على الامور بحقائق اللغة العربية واقتفاء أثر العرب في أوضاع كلامهم ، مع تمقيت العرب ، ومع تحبيب دناءة العجم ، ويوهم أن العرب للعجم أعداء وظالمون وأنهم لملكهم مغتصبون ، هذا يقال للمدعو اذا كان أعجميا ، فان كان أعرابيا خوطب في حال دعوته : بأن العجم غلبوا على دعوته وفازوا بمملكته ، وأن له الاسم ولهم الدنيا ، وأنه أحق بذلك منهم وأولى ، في أمور من هــذا يطول وصفها بحسب ما يتخرج للداعي فيها .

ثم يمكن عنده طرفا من الهندسة في الاشكال ، ويعرف أن طبائع الاعداد في النظام ، لأمر يستخرج منه علوم الائمة ، والطريق الى علم الإله والنبوة ، ويقــرر عنده أن مع كل امام حججا متفرقين في الارض وأن عددهم في كل زمان اثنا عشر رجلا ، كما أن عدد الائمة سبعة ، وأن دلالة ذلك ظاهرة وحجته قاهرة ، بأن تعلم

بأن الله جل وعز لا يخلق الامور مجازفة على غير معان توجبها الحكمة ، والا فلم خلق النجوم ، التي فيها قوام العالم سبعة ؟ وجعل السماوات والارضين سبعة ؟ وأمثال هذا وبالغوا ، وكذلك الاثنا عشر حجة ،عدد البروج المعظمة ، وعدد الشهور المعروفة ، وعدد النقباء من بني اسرائيل ، ونقباء النبي ﷺ من الانصار ، وفي كف الانسان أربعة أصابع في كل اصبع ثلاثة شقوق تكون اثني عشر شقا ، وفي كل يد ابهام فيها شقان بها قوام جميع كفه ، وسداد أصابعه ومفاصله ، فالبدن كالارض ، والاصابع كالجزائر الاربع ، والشقوق كالحجج فيها ، والابهام كالذي يقوم الارض بعد ما فيها ، والشقان فيها الامام وسوسه لا يفترقان ، ولذلك صار في ظهر الانسان اثنتا عشر خرزة كالحجج ، وفي عنقه سبعة عالية كالانبياء والائمة ، وكذلك حال السبعة الانقاب في وجه الانسان العالية على بدنه، في أمثال لهذا كثيرة ، يحصلون بها المدعو على الانس بتمهيد طريق للخروج عن أحوال الانبياء وشرائعهم والعدول عن ذلك الى أمور الفلاسفة في ترتيب شبههم أبدا ، ما رأوا أن هناك بقية من دين .

ذكر صفة الدعوة السادسة

قال الشريف رحمه الله : اعلم أنهم اذا مكنوا ما وصفنا وأحكموه ووثقوه لمساكنة المدعو أخذوا في تفسير معاني الشرائع بغير ما يدين به أهلها وسهلوا عليه العدول عنها ، فرتبوا له معاني الصلاة والزكاة والحج والاحرام والطهارة وسائر الفرائض ، على أمور سيأتي وصفها في المقالة الثامنة ، على أن ذلك يكون تفسيره على احكام وتمهيد بغير مجازفة ولا استعجال ، فيحصل أولا على معنى : أن ذلك وضع دلالة على أمور نذكرها ونتبه عليها ، فاذا قوي الانسلاخ من جملة الامة في نفسه ، وسهل عليه طريق العدول عما هي عليه ، لم يحتشم حينئذ أن يجعل ذلك موضوعا على جهة الرموز ، الى فاسفة من الانبياء والائمة ، وسياسة للعامة للجياشة الى منافعهم في ذلك، وفي شغل بعضهم عن البغي على بعض أو عن الفساد في الارض، مع اظهار تعظيم الناصبين لذلك ، وأنهم أهل الحكمة فيما رتبوه منه ، واذا تمكن أيضا في نفسه ما بدأنا بذكره ــ نقلوه الى التمييز بين الانبياء وبين أفلاطن وأرسطوطاليس وغيرهما ، وحسنوا عنده أشياء من حكمهم ، وعادوا على ناصب هذه الشرائع بالاستخفاف والمذمة والاستحقار والطعن واللائمة ، فيأتي ذلك على قلوب قد فرغت له ، وسهل عليها فلم تنكره ، ورأته مما بدأت به في تأنيسها .

ذكر صفة الدعوة السابعة

قال رحمه الله : اعلم أنه متى أنس المدعو ، بما ذكرناه كله أو بكثير منه، وقوي في نفس الداعي أنه يصلح لما بعد هذا ، ان كان الداعي بالغا ، وبأغراض الدعوة عالما، والى التبليغ بمن يدعوه الى هذه الامور قاصدا ــ أتى بما نذكر ، وأما ان كان الداعي مخدوعا ومتخذا كالآلة ليتوصل به الى التكسب ، ويمهد به الطريق ويرتب، وهو غير بالغ الى أعلى الرتبة في دعوة دون ذلك ، فانه غافل لا يدري كيف قصته ، ولا يظن أن الامر الذي يراد به الا ما عرفه وبلغه ، أو ما يجانسه ويقاربه ، فاذا أراد الداعي أن يسلك بالمدعو فوق ما وصفنا قال له : قد صح لك أن صاحب الدلالة الناصب للشريعة لا يستثني بنفسه ، ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ، ليكونا اثنين أحدهما هو الاصل والآخر عنه كان .

واعلم أن ذلك لم يحصل في العالم السفلي الا وقد يحصل مثاه في العالم العلوي ، فمذ بدء العالم اثنان هما أصل الترتيب وقوام النظام ، أحدهما هو الاعلى والمفيد ، والآخر هو الآخذ عنه المستفيد ، وربما أنسوه في ذلك بأن يقولوا له : هذا هو الذي أراده الله بقوله (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[1] ، و « كن » هو الاكبر في الرتبة ، وأما الثاني فهو « القدر » الذي قال الله فيه : (انا كل شيء خلقناه بقدر)[2] ، وربما قالوا : هذا معنى ما تسمعه مما جاءت به الملة، من أن أول ما خلق الله اللوح والقلم ، وقال للقلم اكتب ما هو كائن ، واللوح والقلم هما ما ذكرنا ، وربما قالوا : هذا معنى قول الله تعالى (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله)[3] ، فسلك به في هذا الطريق العدول عن التوحيد ، وأن الصانع اثنان ، وان كان عندهم صنع الاجسام على جهة المثل والنظام، لا على معنى الاختراع والاحداث ، وسيأتي ذلك وبيانه ، وانما قدم هذا تمهيدا له .

---

(١) سورة يس : ٨٢ .

(٢) سورة القمر : ٤٩ .

(٣) سورة الزخرف : ٨٤ .

ذكر صفة الدعوة الثامنة

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : اعلم أنهم اذا رتبوا ما ذكرنا قرروا عند المدعو أن أحد المدبرين أسبق من الآخر في الوجود وأعلى منه في الرتبة ، وأن الآخر مخلوق منه وكائن به ، ولولاه لم يكن وأنه كونه من نفسه ، وأن السابق أنشأ الأعيان ، والثاني صورها وركبها ، ثم ذكروا له منزلة السابق ، وأن السابق كان عمن كان منه ، كما كان الثاني عن السابق ، الا أن الذي كان عنه السابق لا اسم له ولا صفة ولا ينبغي لأحد أن يعبر عنه ولا أن يعبده ، فاذا بلغ هذه الرتبة سألوا : إلا أن في الاسباب التي كان لها عندهم السابق عمن كان منه ممن لا اسم له ولا صفة ، ما هو ؟ وهل هو باختيار أم بغير اختيار ؟ وكذلك الحال التي كان لها الثاني عن السابق اختلافا ، فذهب بعضهم الى أن ذلك كان لفكرة عرضت لمن كان عنه السابق، فجاء منها السابق ، ثم عرضت فكرة للسابق فجاء منها الثاني ، على نحو ما يقوله بعض المجوس في توليد ، أهورا وأهرمن[1] الذي هو الشيطان ـ عن القديم ، وأن ذلك بفكرة وقعت ردية ولدته، وربما قال بعضهم ان تلك الفكرة ، لأن الذي لا صفة له فكر : أقدر أخلق مثلي أم لا ؟ وكان من ذلك أن تصور التالي ، ثم فكر التالي في ذلك فلم يأت بمثله ، في أنحاء من هذه الامور التي سيأتي وصفها ، مما يخرج به قائلوه عن كل ديانة دان بها أحد من أهل الشرائع ، التي ينعقد معها نبوة وشريعة ولا يكون الا مع دهرية أو ثنوية .

ثم رتب هؤلاء أن التالي يدأب في أعمال منه ، حتى يلحق بمنزلة السابق ، وأن الناطق في الارض يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة التالي ، فيقوم مقامه فيكون بمنزلته سواء ، وأن السوس يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء ، وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء ، وأن هكذا تجري أمور العالمين في أدواره وأكواره ، في أمثال لهذا .

---

(١) اهورا هو إلـه النور ، واهر من إله الظلام، قال الشهرستاني عن المجوس في الملل والنحل (هامش الفصل جـ٢ ص ٣) : (وقالوا أن يزدان فكر في نفسه أنه لـو كان له منازع كيف يكون . وهذه الفكرة رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمى هرمن ...) .

ثم قرر عنده أن القول في معنى النبي الصادق الناطق ليس يجري على ما يقوله أهل الشرائع ، من أنه جاء بمعجزات ودلالات خارجة عن أحوال العادات ، وأن معنى ذلك انما هو يأتي بأمور تنتظم بها السياسة ووجوه الحكمة ، وترتب بها الفلسفة ، ومعان تنبىء عن حقائق ابتداء السماوات والارض ، وبدأتها على حقائق الامور اما برموز واما بافصاح ، وتنظيم ذلك شريعة يقتفى عليها الناس •

ورتب له أمر القرآن ،وما معنى كلام الله ، بخلاف ما يدين به أهل الكتب ، ورتب له أمر القيامة وتقضي أمر الدنيا ، وحصول الجزاء من الثواب والعقاب ، على أمور ليست مما يعتقده الموحدون في شيء ، بل ذلك على معان أخر ، من تقلب الامور وحدوث الادوار عند انقضاء الكواكب وعوالم جماعتها ، والقول في الكون والفساد على ترتيب الطبائع ، على أمور كلها سيأتي شرحها أن شاء الله تعالى •

ذكر صفة الدعوة التاسعة

قال : اعلم أنه اذا حصل المدعو على ما ذكرنا أحيل حينئذ على طلب الامور وتحقيقها وحدودها والاستدلال عليها من طرق المتفلسفة وادراكها من كتبهم،وجعلوا ما قدموه سابقا له على طرائقهم ، واستنباط ما خفي عنهم وبنوه على علم الاربع طبائع ، التي هي استقصات وأصول الجواهر عندهم ، وعلى ترتيب القول في الفلك والنجوم والنفس والعقل وأمثال ذلك فيما هو معروف ، فيحصل الآن البالغون الى هذه الرتب على أحد هذه الوجوه ، التي يعتقدها بعض أهل الالحاد ممن يدين بقدم أعيان الجواهر ، ويصير ما قدم من ذكر الحدث والاصول رموزا الى معاني المبادىء، وتقلب الجواهر وحدوث الامور التي يكون لها على أحوال وأحكام ، وعلى نحو تنزيل كثير منهم لحال العقل من حال النفس ، وحال الفلك من حال العقل ، وحال الطبائع والاعراض من حال النفس والعقل ، وحال المنقلب بالكون والفساد ومايكون من حال الهيولي بتقاب الاعراض المختلفة وترتيب العناصر ، والقول في العلة : هل تفارق المعلول أم لا ؟ واقرار بعضهم بصانع لم تزل معه العناصر والمبادىء أولا ، وما هي تلك الامور وكيف حدودها ، وما يصح من صفاتها والاسباب التي تعلم بها، فربما صار البالغ في النظر في هذا الى اعتقاد مذهب ماني وابن ديصان ، وربما صار

إلى مذهب المجوس ، وربما دان بما يحكي عن أرسطاطاليس ، وربما صار الى أمور تحكي عن أفلاطن ، وربما اختار من تلك معاني مركبة من هذه الامور ، كما يجري كثير من هؤلاء المتحيرين •

قال : وجميع ما وصفنا من التدريج بالمقدمات انما يحصل الانسلاخ من شرائع أهل الكتب والنبوة فقط ، وجميعها يصلح أن تجعل تمهيدا ورموزا الى جميع هذه المذاهب التي ذكرناها ، وتجتذب بألفاظها اليها بالتأويل بحسب ما يريد المعتقد ، لما شاء منها مما سنبين ذلك أن شاء الله تعالى •

قال : وأما سلخه من جميع ما قدم[1] عليه من آمر الامامة والنبوة فانه أولا يجعل عنده منازل ، جميعهم منقوصة غير منزلة محمد بن اسماعيل صاحب الدور الآخر ، ويرتب له أن جميعهم لا يأتي بوحي من الله عز وجل ، ولا معجزة كما يقول الظاهرية ، وانما يختص بالصفا فيلقى في فهمه ما يريد الله ، فيكون ذلك كلاما ، ثم يجسده النبي ويظهره للخلق ، وينظم الشرائع بحسب المصالح في سياسات الناس ثم يؤمر بالعمل بذلك مدة ، ثم يترك الى أن يؤمر بذلك،يستدعي بها الناس ، لا لأنها تجب على أهل المعرفة بأعراضها وأسبابها ، ثم يقال له بعد ذلك انما هي آصار وأثقال حملها الكفار ، وكذلك سائر المحرمات ، ثم يلقن أن ابراهيم وموسى وعيسى ، وهؤلاء أنبياء سياسات وشرائع ، فأما أنبياء الحكمة فان هؤلاء أخذوا عنهم كأفلاطن وأمثاله من الفلاسفة ، فبنوا شرائعهم ليوصلوا بها العامة الى علومهم ، ثم يقال له : انظر أيهما أحكم، فلان النبي أو فلان؟ثم يلقن أن في بعض أحكامهم اختلالا وفسادا، ثم يلقن البراءة منهم وسوء سيرتهم ، وأنهم قتلوا النفوس ، وأمثال هذا • ويلقن في محمد بن اسماعيل بن جعفر أنه سيظهر ، ثم يقال له بعد ذلك : انما يظهر في العالم الروحاني اذا صرنا اليه ، أما الآن فانما يظهر أمره على ألسن أوليائه ، ثم يلقن أن الله أبغض العرب لما قتلت الحسين بن علي ، فنقل خلافة الائمة عنهم كما نقل النبوة عن بني اسرائيل لما قتلوا الانبياء ، ولا يقوم بخلافة الائمة الا أولاد كسرى ، فيكون ذلك غاية ما يقدموه في هذا الباب كله متى استوى لهم ، فان لم يتم له ذلك مع الدعوة تركه في أي منزلة نزلها ، مستعبدا بهذه الوجوه •

(١) أي ما اعتاده قديما .

قال : ثم اعلم ــ رحمك الله ــ أن هذا الترتيب والتخريج والتنزيل انما كانت الدعاة عليه عند اجتماعها على مبتداء الدعوة ، والانعقاد على طلب الغوائل للمسلمين، فيها اتفقوا على جملة منها وأصولها ، وفتحوا بالفكر طريقها ، ومهدوه على معنى ما ذكرناه ، وتفرقوا في البلدان ، وتمهيدهم بحسب أفكارهم واجتهادهم في الحيلة على المستمع ، وتميزوا في ذلك وتمكنوا منه في طول الايام ، سيما مذ قويت أحوال الجنابي على ما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى في أخباره .

قال : فقد بينا خبر هذه الدعوة وكيف جرى أمرها ، وكيف يسلك بالمخدوع كل مسلك ، حتى يصير الى التعطيل والاباحة ، فهذا أصل هذه الدعوة الملعونة وما أسست عليه قديما ، ثم تغيرت وتفرعت منذ انتشرت ببلاد المغرب ومصر والشام، وجعلوا منها طرقا وأبوابا ، فمنها علم القوت وعلم الكفاف وبلاغات مفصلة ، وبطل الترتيب الاول الذي وصفنا : من أن الدعوة كانت الى محمد بن اسماعيل بن جعفر، فصار موضعه من يكون من ولد عبيد الله بن ميمون القداح ، الذين ملكوا المغرب ومصر والشام ، على ما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى في أخبارهم ، ولنصل هذا الفصل بذكر العهد الذي يحلفون به .

ذكـــر العهد الذي يؤخـــذ على المخدوعين في مبـــدأ الدعوة الخبيثـــة

قال الشريف . يقول الداعي لمن يأخذ عليه العهد : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته، وذمة رسول الله ﷺ وأنبيائه وملائكته ورسله، وما أخذه على النبيين من عهد وعقد وميثاق أنك تستر جميع ما تسمعه وسمعته ، وعلمته ، وتعلمته ، وعرفته وتعرفه من أمري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام ، الذي عرفت اقراري له : ونصحي لمن عقد ذمته ، وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له ، من الذكور والاناث والصغار والكبار ، فلا يظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا ولا بشيء يدل عليه ، الا ما أطلقت لك أنك تتكلم به ، أو أطلقه صاحب الامر المقيم بهذا البلد ، فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه ، وليكن ما تعمل عليه قبل العهد بقولك وفعلك : أن تشهد أن لا إلــه إلا الله

وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة حق آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وتقيم الصلاة لوقتها ، وتؤتي الزكاة بحقها ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتجاهد في سبيل الله حق جهاده ، على ما أمر الله به رسوله ﷺ ، وتوالى أولياء الله وتعادى أعداء الله ، وتقول بفرائض الله وسننه وسنن نبيه ﷺ وعلى آله الطاهرين ، ظاهرا وباطنا وعلانية وسرا وجهرا ، فان ذلك يؤكـد هذا العهد ولا يهدمه ، ويثبته ولا يزيله ، ويقربه ولا يباعده ، ويشده ولا يضعفه ، ويوجب ذلك ولا يبطله ، ويوضحه ولا يعميه ، كذلك هو في الظاهر والباطن ، وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين ، علـى الشرائط المبينة في هـذا العهـد •

وجعلت على نفسك الوفاء بذلك ــ قل نعم ، فيقول المغرور : نعم ، ثم يقول له : والصيانة له بذلك وأداء الامانة له على ألا تظهر شيئا أخذ عليك في هذا العهد ــ في حياتنا ولا بعد وفاتنا ، ولا على غضب ولا على حال رضى ، ولا على حال رغبة ولا رهبة ، ولا على حال شدة ولا على حال رخاء ولا على طمع ، ولا على حـال حرمان ، تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له ، على الشرائط المبينة في هذا العهد •

وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ﷺ وعلى آلـه أن تمنعني وجميع من أسميه معي لك وأثبته عندك ، مما تمنع منه نفسك ، وتنصح لنا ولوليك ــ ولي الله ــ نصحا ظاهرا وباطنا ، فلا تخن الله ووليه ، ولا تخنا ولا أحدا من اخواننا وأوليائنا ، ومن تعلم أنه منا بسبب ، في أهل ولا مال ولا رأي ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما تبطله •

فان فعلت شيئا من ذلك ــ وأنت تعلم أنك قد خالفته ، وأنت على ذكر منه ــ فأنت بريء من الله خالق السموات والارض ، الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودنياك وآخرتك،وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبين والروحانيين،والكلمات التامات ، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضي الله عنه ، وأنت خارج من حزب الله وحزب

أوليائه ، وخذلك الله خذلانا بينا ، فعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم ، التي ليس فيها رحمة وأنت برىء من حول الله وقوته ، ملتجأ الى حول نفسك وقوتها ، وعليك لعنة الله التي لعن بها ابليس ، فحرم عليه بها الجنة وخلده النار •

ان خالفت شيئا من ذلك لقيت يوم تلقاه وهو عليك غضبان ، ولله عليك أن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة نذرا واجبا ، ماشيا حافيا ، لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك ، وان خالفت ذلك فكل ما تملكه في الوقت الذي تخالف فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة ، وكل مملوك لك — من ذكر أو أنثى — في ملكك وتستعبده الى وقت وفاتك ، ان خالفت شيئا من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة لك وتتزوجها الى وقت وفاتك — ان خالفت شيئا من ذلك — فهن طوالق ثلاثا بته ، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية لك فيها ولا اختيار ولا رجعة ولا مشيئة ، وكل ماكان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك •

وأنا المستخلف لك لامامك وحجتك ، وأنت الحالف لهما وان نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به ، فهذه اليمين من أولها الى آخرها محددة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله منك الا الوفاء بها ، والقيام على ما عاهدت بيني وبينك ، قل نعم ، فيقول المخدوع : نعم •

فهذه اليمين التي يؤنس بها المخدوع من ذكر الصلاة والصيام والزكاة والحج وشرائع الاسلام ، فما ينكر شيئا مما يسمعه ، وكل ذلك تأنيس أن يتوصل به الى هذه الامور ، التي تقدم ذكرها على التدريج •

قال الشريف رحمه الله تعالى : ووجدت في كتاب من كتبهم يعرف بكتاب السياسة ما يشرح به ذكر ما تقدم من أمر الدعوة ، فيه وصايا الدعاة ، وهذا مختصر منه يقول فيه :

من وجدته شيعيا فاجعل التشيع عنده دينك ، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم الامة لعلي وولده ، وقتلهم الحسين وسبيهم البنات ، والتبري من تيم وعدي ومن بني أمية وبني العباس ، وما شاكل ذلك من الاعاجيب التي تسلك عقولهم ، فمن كان بهذه الصورة أسرع الى اجابتك بهذا الناموس ، حتى يتمكن مما يحتاج اليه ،

من وجدته صابئا فداخله بالاسابيع يقرب عليك جدا ، ومن وجدته مجوسيا فقد اتفقت سعه في الاصل من الدرجة الرابعة ، من تعظيم النار والنور والشمس ، واتل عليهم أمر السابق فانه لهرمس الذي يعرفونه بالنور المكنون من ظنه الجيد والظلمة المكنونة من وهمه الرديء ، فانهم مع الصائبين أقرب الامم الينا وأولاهم بنا ، لولا يسير صحفوه بجهلهم به ، وان ظفرت بيهودي فادخل عليه من جهة المسيح ، يعني مسيح اليهود الدجال وأنه المهدي ، وأن عند معرفته تكون الراحة من الاعمال وترك التكليفات ، كما أمر بالراحة في يوم السبت، وتقرب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين الجهال،وزعمهم أن عيسى لم يولد ولاأب له ، وقر في نفوسهم أن يوسف النجار أبوه ، وأن مريم أمه ، وأن يوسف كان ينال منها ما ينال الرجال من نسائهم وما يشاكل ذلك ، فانهم لا يلبثون أن يتبعوك ، وادخل على النصارى بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا ، وبصحة عقدهم الصليب عندهم وعرفهم تأويله ، وأفسد عليهم ما قام لهم من جحد الفار قليط ، وقرر عندهم أنه جاء وأنك اليه تدعوهم ، ومن وقع اليك من المنانية فانه يحرك الذي منه تغترف ، فداخلهم بالممازجة من الباب السادس ، وأظهر من الدرجة السادسة من حدود البلاغ ، وامتزاج الظلمة بالنور الى آخر ما في الباب من ذلك ، فانك تملكهم به وتحليهم ، فان أنست من بعضهم رشدا كشفت له الغطاء ، ومن وقع اليك من الفلاسفة فقد علمت أن على الفلاسفة العهدة ، وانا قد اجتمعنا وهم على نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم ، لولا ما يخالفنا بعضهم فيه من أن للعالم مدبرا لا يعرفونه ، فانه وقع الاتفاق على أنـــه لا مدبر للعالم فقد زالت الشبهة فيما بيننا وبينهم ، وان لك ثنوي فبخ بخ قد ظفرت، فالمدخل عليه بابطال التوحيد ، والقول بالسابق والتالي ووراثة أحدهما ، على ما هو مرسوم في أول درجة البلاغ وثالثه ، وان وقع لك سني فعظم عنده أبا بكر وعمر واذكر فيهما فضائل ، واثلب عليا وولده واذكر لهم مساوىء ، ولوح له أن أبا بكر وعمر قد كان لهما في هذا الامر ــ الذي تلقيه اليه ــ نسب ، فاذا دخلت عليه بهذا المدخل درجته الى ما تريد وملكته ، واتخذ غليظ العهود ووكيد الايمان وشديد المواثيق جنة لك وحصنا ، ولا تهجم على مستجيبيك بالاشياء التي تبهر عقولهم ، حتى ترتيبهم الى المراتب حالا فحالا ، ودرجهم درجة درجة ، فواحد لا تزيده على التشيع والايمان لمحمد بن اسماعيل شيئا ، وأنه حي لا تجاوز به هذا الحد ، وأظهر

لهم العفاف عن الدرهم والدينار وخفف عليهم وطأتك ، ومره بالصلاة السبعين ، وحذره الكذب والزنا واللواط وشرب الخمـر ، وعليك في أمره بالرفق والتؤدة والمداراة يكن لك عونا على دهرك وعلى من يعاديك أو يتغير عليك من أصحابـك وينافسك ، فلا تخرجه عن عبادة الهه ، والتدين بشريعته ، والقول بامامة علي وبنيه الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وأقم له دلائل الاسابيع فقط ، ودقه بالصلاة دقا ، فانك ان أومأت الى كرائمه يوما ـ فضلا عن ماله ـ لم يمنعك ، فان أدركته الوفاة وصى اليك بما خلف وورثك اياه ، ولم ير أن في العالم أوثق منك ، وأخر ترقيه من ذلك الى نسخ شريعة محمد ، وأن السابع هو الخاتم للرسل ، وأنه ينطق كما نطقوا ويأتي بأمر جديد ، وأن محمدا صاحب الدور السادس ، وأن عليا لم يكن اماما ، وحسن القول فان هذا باب كبير وعلم عظيم ، مرجى الارتقاء الى ما هو أكبر منه ، ويعينك على زوال ما جاء من قبله من وجود النبوات ، على المنهاج الذي هو عليه ، قليل من ترقيه من هذا الباب الى معرفة أم القرآن ومؤلفه وسننه .

واياك أن تغتر بكثير ممن لم يبلغ معك الى هذه المنزلة فترقيه الى غيرها ، الا من بعد طول المؤانسة والمداوسة واستحكام الثقة ، ان ذلك يكون عونا لك عنـد بلاغه على تعطيل الكتب ، التي يزعمون أنها منزلة من عند الله ، فيكون هذا نعم المقدمة ، وآخر ترقيه من هذا الى ما هو أعلى منه ، فان القائم قد مات ، وأنه يقوم روحانيا ، وأن الخلق يرجعون اليه بصور روحانية ، وأنه يفصل بين العباد بأمر الله عز وجل ، يشتفى من الكافرين للمؤمنين بالصور الروحانية ، فان ذلك يكون عونا لك عند بلاغه على ابطال المعاد ، الذي يزعمونه والنشور من القبور ، وآخر ترقيه من هذا الى ابطال الملائكة في السماء والجن في الارض ، فانه قبل آدم بشر كثير ، وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة من كتب شيوخنا المتقدمين ، فان ذلك مما يعنيك في وقت بلاغه ، على تسهيل التعطيل لله ، والارسال بالملائكة الى الانبياء ، والرجوع به الى الحق ، والقول بقدم العالم ، وآخر ترقيه الى أوائل درج التوحيد ، وتدخل عليه بما تضمنه كتاب الدرس الشافي للنفس من أن لا إله ، لا صفة ولا موصوف ، فان ذلك مما يعينك على القول بالإلهية ، تستحقها عند البلاغ الى ذلك ، ومن رقيته الى هذه المنزلـة فعرفه حسب ما عرفناك حقيقة من أمر الامام ، وأن اسماعيـل ومحمدا ابنه من أبوابه ، وفي ذلك عون لك على ابطال امامة ولد علي بن أبي طالب،

عند البلوغ والرجوع الى القول بالحق لأهله ثم لا تزال شيئا فشيئا في أبواب البلاغ السبعة ، حتى تبلغ الغاية القصوى على تدريج ، وكل باب يأتي يشهد للمتقدم قبله ، والمتقدم يشهد للمتأخر .

واستعمل في أمرك الكتمان كما يوصى بني القوم خاصته ، فقال : استعينوا على أموركم بالكتمان ، ولا تظهر أحدا على شيء مما تظهر عليه من هو فوقه بوجه ولا سبب ، وعليك باظهار التقشف للعامة والوقار عندهم ، وتجنب ما هو منكر عندهم ، ولا تنبسط كل الانبساط لإخوانك البالغين كما فعل من كان قبلك فانه أتى بالتشديد ثم حل الامور ، فاذا تدبرت بهذا التدبير وسلكت طريقته فقد سلكت طريق الانبياء وأخذت حدودهم ، وعليك بعد ذلك بالاجتهاد في معالجة خفة اليد ، والاخذ بالاعين والحذق بالشعبذة،فلن يخلو من الحاجة الى ذلك عند قوم ينسبونك بعمله الى اقامة المعجزات ، كما نسبوا قوما تقدموا ، وعليك بمعرفة أحاديث الاولين وقصصهم وطرائقهم ومذاهبهم ، لتكون بينة أمرك في الاقاويل على قدر ما يصلح لأهل زمانك ، ترشد وتوفق ويقدم على الايام أمرك ، ويعلو ذكرك ، ويكون الداخل في أمرك بعد وفاتك أكثر من الداخل معك في حياتك ، فينفع لك ولمخلفيك من بعدك بك ، وعلى يديك ويدي أمثالك من أهل النجابة والعقل دعوة الحق ، وتملك لك ولعقبك وذريتك ملكا لا ينبغي لغيرك مثله .

فهذه وصيتي لك مشتملة على جمل من النواميس الطارقة للانبياء على قدر عقولهم .

قال الشريف رحمه الله تعالى:ووجدت في هذا الكتاب المعروف بكتاب السياسة أيضا فصلا فيه (ولشيخنا الجليل المقدس) ، وهذا مختصر منه يوصي دعاته في أهل الاديان ـــ وذلك لأمة محمد خاصة : ـــ

فابذل الآن سيفك فيهم اذا تمكنت منهم وصار لك حزب ، وظهرت بهذه الحيل التي قد وقفتك عليها ، واستملت الناس بها فانهم أعداؤنا ، وصف أموالهم واستفره بناتهم وأولادهم ، ولا تحابي لهم ذمة ولا تحفظ لهم قربة ، ولا ترحم علويا ، فلو تمكن علوي كتمكن غيره من الانبياء للقينا منه جهدا ، وعبر بما يدعيه من حقوق جده على هؤلاء الحمير ما هو أكثر مما عبره جده ، واياك والاغضاء عمن تجده من ولد علي ، يعني اقتله اذا تمكنت منه ، واياك والرخصة لأحد من آسنانك في الثقة

بواحد منهم ، تهتدي وتوفق لا زلت بالعلم سعيدا ، والى الخير هاديا ومهديا ، وعلى جميع الاحوال الحمد لإلهنا على ما منحنا ، وصلواته على عباده المصطفين ، يعني إلهه الذي أباحه اللذات وأعماه عن الهدى ، وفتح له طرق الضلالة ، وعباده الذين اصطفى دعاته الذين بهم يضلون الناس •

هذا ما حكاه الشريف أبو الحسين من دعواتهم التسع،وعهدهم الذي يأخذونه ووصاياهــم •

وحكى عز الدين بن الاثير الجزري رحمه الله تعالى في تاريخه الكامل ــ عند ذكره لأخبار القرامطة قال[1] :

وكان فيما يحكي عن مذهبهم أنهم جاءوا بكتاب فيه ــ يقول الفرج بن عثمان ــ وهو من قرية يقال لها نصرانة ، وهو داعية المسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصور له في جسم انسان وقال : انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة ، وانك الدابة ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ــ ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول :

الله أكبر ، أربع مرات •

أشهد أن لا إلــه إلا الله مرتين •

أشهد أن آدم رسول الله •

أشهد أن نوحا رسول الله •

أشهد أن ابراهيم رسول الله •

أشهد أن موسى رسول الله •

أشهد أن عيسى رسول الله •

أشهد أن محمدا رسول الله •

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله •

---

(١) الكامل : ٦/٧٠ ــ ٧١ •

(٢) في الكامل : ٦/٧٠ « بعد غروبها » •

وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ، وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة الى بيت المقدس ، والجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والسورة التي يقرأها :

الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، قل ان الأهلة[١] مواقيت للناس ظاهرها ، ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام ، وباطنها ، أوليائي الذين عرفوا عبادي ، سبيلي : اتقوني يا أولي الالباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي وأخلدته في نعيمي ، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي وأظهرت أمري على ألسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته ، ولا عزيز الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره ودام على جهالته ، وقال : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي ورب العزة ، وتعالى عما يقول الظالمون يقولها مرتين ، فاذا سجد قال : الله أعلى مرتين ، الله أعظم مرتين[٢] .

ومن شرائعه أن يصوم يومين في السنة ، وهما المهرجان والنيروز[٣] ، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال ، ولا غسل من جنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه واجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذ منه الجزية ، ولا يؤكل كل ذي ناب ولا ذي مخلب .

وقد أخذ هذا الفصل حقه من الاطالة والاسهاب ، فلنذكر مبدأ هذه الدعوة .

---

(١) انظر سورة البقرة ــ الاية ١٨٩ ، فقد تم التصرف بها وبعدد آخر من آيات القرآن الكريم .

(٢) ورد هذا النص اكثر من مرة في كتابنا هذا ، ومن المفيد المقارنة بينها لا سيما ما كان مرويا عن مصدر واحد ، كما ورد هنا ولدى القريزي .

(٣) كان المهرجان من اعياد الفرس قديما ويوافق موسم جمع الغلات ، ووافق يوم النيروز يوم الاعتدال الربيعي ، وكان الفرس يتخذونه عيدا أيضا .

ذكر ابتداء دعوة القرامطة

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : كان مبدأ هذه الدعوة الخبيثة الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وزعموا أنه الامام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق وأن البيعة له ، وأن الداعي انما يأخذها على الناس له ، وأن ما يجمع من الاموال مخزون له الى أن يظهر ، ولم تزل هذه الدعوة الى محمد بن اسماعيل الى أن هرب سعيد المسمى بعبيد الله من سلمية الى المغرب ، وتلقب بالمهدي فصار هو الامام ، وانتسب الى أنه من ولد اسماعيل بن جعفر ، فنقلوا الدعوة اليه ، وكان القول في المبدأ : أن محمد بن اسماعيل حي لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان وأنه مهدي الامة •

قال : ولم يكن غرض هذا المحتال أن يرفع محمد بن اسماعيل ، ولا يأخذ له بيعة ، انما جعله بابا يستغل به عقل من يدخل فيه ويتبين له أنه قد تمكن من خديعته وبلغ المراد منه ، شيعيا كان أو سنيا • قال : ولما أظهر اللعين ما أظهر من هذه الاقوال كلها ، بعد تعلقه بذكر الائمة والرسل والحجة والامام ، وأنه المعول والقصد والمراد ، وبه اتسقت هذه الامور ولولا هو لهلك الحق وعدم الهدى والعلم ، وظهر في كثير منهم الفجور ، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتل جماعة ممن أظهر خلافا لهم ، فخافهم الناس جدا واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم ، مقاربة لهم وجزعا منهم •

ثم ان الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا ، يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة في طسوج الفرات - من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات ، قرية تعرف بمهتماأباذ ، فنقلوا اليها صخرا عظيما ، وبنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية أذرع ، وجعلوا من ورائه خندقا عظيما ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البنيان العظيم ، وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت دار الهجرة وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين[1] •

---

(١) في كنز الدرر للدواداري ص ٥٣ (القاهرة ١٩٦١) تسع وتسعين ، وفي اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١١٣ : سبع وتسعين .

فلم يبق بعد هذا أحد الا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم في البلاد ، وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل السلطان ببقية الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان وخراب العراق وركوب الاعراب واللصوص وتلف الرجال وفساد البلدان وقلة رغبة من يلي الاعمال من ذوي الاصلاح والامانة من العمال وأصحاب الحروب ، فتمكن هؤلاء الدعاة ومن تبعهم بهذا السبب ، وبسطوا أيديهم في البلاد وعلت كلمتهم ، فغلبوا على ذلك سنين .

ذكر انتقاض الدعوة عن حالتها الأولى
ومقتل عبدان وما كان من امر زكرويه بعده

قال الشريف : وكان قرمط يكاتب من بسلمية من الطواغيت فلما توفي من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب الى حمدان قرمط كتابا ، فلما ورد عليه الكتاب وقرأه أنكر ما فيه ، وتبين فيه ومنه ألفاظا قد تغيرت ، وشيئا ليس هو على النظام الاول ، فاستراب به وفطن أن حادثة حدثت ، فأمر قرمط بن مليح — وكان داعيا من دعاته — أن يخرج فيتعرف الخبر ، فامتنع عليه واعتذر ، فأنفذ من أحضر عبدان الداعية من عمله ، فلما حضر أنفذه ليتعرف ما حدث من هذا الامر ، ويكشف عن سبب تغيره ، فسار عبدان لذلك ، فلما وصل عرف بموت الطاغية الذي كانوا يكاتبونه ، فاجتمع بابنه وسأله عن الحجة ومن الامام بعده ، الذي يدعو اليه، فقال الابن : ومن الامام ؟ قال عبدان : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذي كان أبوك يدعو اليه ، وكان حجته ، فأنكر ذلك عليه وقال : محمد بن اسماعيل لا أصل له ، ولم يكن الامام غير أبي وهو من ولد ميمون بن ديصان ، وأنا أقوم مقامه ، فعرف عبدان القصة واستقصى الخبر وعلم أن محمد بن اسماعيل ليس له في هذا الامر حقيقة ، وانما هو شيء يحتالون به على الناس ، وأنه ليس من ولد عقيل بن أبي طالب ، فرجع عبدان الى قرمط فعرفه الخبر ، فأمره قرمط أن يجمع الدعاة ويعرفهم صورة الامر وما تبين منه ، ويقطع الدعوة، ففعل عبدان ذلك وقطعت الدعوة من ديارهم ، ولم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها كانت قد امتدت في سائر الاقطار وامتد شرها ، وقطعت الدعاة مكاتبة أصحابهم الذين بسلمية .

وكان رجل من أولاد القداح قد نفذ الى الطالقان يبث الدعاة ، ونزل بقرمط وهو بسواد الكوفة عند عبوره الى الطالقان ، وكانت الدعاة يكاتبونه ، فلما انقطعت المكاتبة عن جميع أولاد القداح قطعت عن هذا الذي بالطالقان ، فطال انتظاره ، فشخص عن الطالقان ليقصد قرمط ، وكان قرمط قد سار الى كلواذي ، فلما وصل الى كلواذي سأل عن قرمط ، فعرف أنه انتقل فلا يدرى أين مضى وما عرف لقرمط بعد ذلك خبر ، ولا علمت وفاته ولا ما اتفق له ، فقصد ابن القداح سواد الكوفة ، فنزل على عبدان ، فعتب عليه وعلى جميع الدعاة في انقطاع كتبهم عنه ، فعرفه عبدان أنهم قطعوا الدعوة وأنهم لا يعودون فيها ، وأن أباه كان قد غرهم وادعى نسبه من عقيل بن أبي طالب كذبا ، ودعا الى المهدي ، فكنا نعمل على ذلك ، فلما تبينا أنه لا أصل لذلك ، وعرفنا أن أباك من ولد ميمون بن ديصان وأنه صاحب الامر تبنا الى الله تعالى مما تحملناه ، وحسبنا ما كفرنا أبوك فتريد أن تردنا كفارا ؟! انصرف عنا الى موضعك •

قال : وكان عبدان قد تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فلما أيس منه صار الى زكرويه بن مهرويه ، فعرفه خبر عبدان وما رد عليه ، فلقيه زكرويه بكل ما يحب ، وقدر أنه ينصبه داعيا مقام أبيه ، فيستقيم له أخذ الاموال وجمع الرجال ، وواطأه على ذلك ، وقال له : إن هذا الامر لا يتم مع عبدان ، لأنه داعي البلد كله ، والدعاة من قبله والناس من تحت يده ، وأنه لا يجيبه الا أهل دعوته خاصة • وشرعا في اعمال الحيلة على قتل عبدان ، واتفقا على ذلك ، ثم وجه زكرويه الى رجل من بني تميم بن كليب وأخ له كانا من أهل دعوته ، وأحضر جماعة من قراباته وثقاته فأظهرهم على ابن اللعين ، وعرفهم أنه ابن الحجة ، وأن الحجة توفي وأن ابنه هذا يقوم مقامه، فأجلوه وأعظموه وقالوا له : مرنا بأمرك ، فأمرهم بقتل عبدان ، وعرفهم أنه نافق وعصى وخرج عن الملة ، فساروا اليه من ليلتهم وبيتوه فقتلوه ، وكان زكرويه هذا من تحت يد عبدان ، وعبدان هو الذي أقامه داعية فلما شاع في الناس أن زكرويه قتل عبدان طلبه الدعاة والقرامطة ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم بأسرهم الا أهل دعوته ، وخاف على نفسه ، ولم يتم له أمره الذي دبره ، فقال لابن اللعين : قد ترى ما حدث ، ولا آمن عليك وعلى نفسي ، فارجع الى بلدك ودعني ، فاني أرجو أن يتغير الامر ، فأتمكن من الناس وأدعوهم اليك ، فاذا تمكنت من ذلك أرسلت اليك

لتصير الي ، فانصرف الى الطالقان واستتر زكرويه وتنقل في القرى ، وذلك في سنة ست وثمانين ومائتين ، والقرامطة تطلبه وأصحاب عبدان يرصدونه ، وكان قد اتخذ مطمورة تحت الارض على بابها صخرة ، فاذا دخل قوم الى القرية في طلبه قامت امرأة في الدار التي هو فيها الى تنور ينقل ، فوضعته بقرب الصخرة ثم أشعلت النار، وأرت أنها تريد أن تخبز ، فيخفى أمره على من يطلبه ، فمكث كذلك سنة ست وسنة سبع وثمانين ومائتين[١] . فلما رأى انحراف أهل السواد عنه الا أهل دعوته وطال أمره ، أنفذ ابنه الحسن في سنة ثمان وثمانين ومائتين الى الشام ، وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى بعد ذكرنا لأخبار أبي سعيد الجنابي .

ذكر أخبار ابي سعيد الجنابي وظهوره بالبحرين

هو أبو سعيد بن بهرام من أهل جنابة ، وأصله من الفرس وكان يعمل القراء وسبب دخوله في هذه الدعوة وظهوره ، أنه سافر الى سواد الكوفة ، فذكر أنه تزوج بقرية من سواد الكوفة ، الى قوم يقال لهم بنو القصار، وكانوا أصولا في هذه الدعوة الخبيثة فأخذها عنهم ، وقيل بل أخذ الدعوة عن نفسه ، وقد قيل انه تلقاها عن حمدان قرمط ، وسار داعية من قبله فنزل القطيف ، وهي حينئذ مدينة عظيمة ، فجلس بها يبيع الدقيق ولزم الوفاء والصدق ، ودعا الناس ، فكان أول من أجابه الحسين وعلي وحمدان بنو سنبر،وقوم ضعفاء مابين قصاب[٢] وحمال وأمثال هؤلاء.

قال الشريف أبو الحسين : فلما دعا بتلك الناحية وقويت يده واستجاب له الناس وجد بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا الطمامي[٣] كان عبدان الداعي أنفذه قبل أبي سعيد الى القطيف وما والاه ، فلما تبين أمره أبو سعيد الجنابي عظم عليه أن

---

(١) يلاحظ ان الروايات الاخرى اوردت ان الاختفاء بعد اخفاق قرامطة الشام وفرارا من السلطات .

(٢) سنلاحظ ان عددا كبيرا من زعماء القرامطة كانوا حرفيين مما دفع الى الافتراض ان القرامطة قاموا ليس فقط بالانتشار بين الصناع والحرفيين بل اسسوا نظام النقابات والاصناف .

(٣) لعله من اصل يماني من طمام ، وكان سوقا شهيرا في منطقة لاعة ، صفة الجزيرة: ١١١ ، ٢٤٨ .

يكون داع غيره ، فقبض عليه وحبسه في بيت حتى مات هزلا ، قال : وقد ذكر أن هذا الداعي أخذ على بني سنبر قبل أبي سعيد ، وكان في أنفسهم حقد عليه لقتله أبا زكريا .

وحكى ابن الاثير الجزري في تاريخه الكامل ابتداء أمر القرامطة بناحية البحرين[١] .

أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد القطيف، ونزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان ، وكان متغاليا في التشيع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي، وذلك في سنة احدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنه خرج الى شيعته يدعوهم لأمره ، وأن خروجه قد قرب ، فجمع علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف ، وأوقفهم على الكتاب الذي أحضره يحيى بن المهدي من المهدي اليهم ، فأجابوه : انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ، وأجابه سائر قرى البحرين بمثل ذلك ، فكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي ، ثم غاب يحيى بن المهدي مدة ، ورجع بكتاب يزعم أنه من المهدي الى شيعته ، فيه : قد عرفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم الى أمري ، فليدفع اليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثي دينار ، ففعلوا ذلك ثم غاب وعاد بكتاب ، فيه ادفعوا الى يحيى خمس أموالكم ، فدفعوا اليه الخمس .

قال : وحكى أن يحيى بن المهدي جاء الى منزل أبي سعيد الجنابي فأكل طعاما ، وخرج أبو سعيد من البيت وأمر امرأته أن تدخل الى يحيى ، وأن لا تمنعه اذا أرادها ، فانتهى الخبر الى الوالي فضرب يحيى وحلق رأسه ولحيته ، وهرب أبو سعيد الى جنابة ، وصار يحيى الى بني كلاب وعقيل والحريش ، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد فعظم أمر أبي سعيد ، واشتدت وطأته وظهر أمره ، قال : وكان ظهوره بالبحرين في سنة ست وثمانين ومائتين .

ذكر استيلاء ابي سعيد الجنابي على هجر
وما كان من خلال ذلك من حروبه ووقائعه

قال الشريف أبو الحسين : كان من الاتفاق لأبي سعيد أن البلد الذي قصده بلد واسع كثير الناس ، ولهم عادة بالحروب ، ورجال شداد جهال غفل القلوب ،

---

(١) الكامل : ٩٢/٦ — ٩٣ .

بعيدون من علم شريعة الاسلام ومعرفة نبوة أو حلال أو حرام،فظفر بدعوته في تلك الناحية ، ولم يناوئه مناوىء ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه حتى اشتدت شوكته جدا، وكان لا يظفر بقرية الا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس وأجابه كثير منهم طلبا للسلم، ورحل من البلد خلق كثير الى نواحي مختلفة وبلدان شتى ، خوفا من شره ، ولم يمتنع عليه الا هجر ، وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها والتجار والوجوه ، فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، فلما طال عليه أمرها وكل بها جل أصحابه من أهل النجدة ، ثم ارتفع فنزل الاحساء وبينها وبين هجر ميلان ، فابتنى بها دارا وجعلها منزلا ، وتقدم في زراعة الارض وعمارتها ، وكان يركب في الايام الى هجر هو ومن يحاصرها ، ويعقب من أصحابه في كل أيام قوما ، ثم دعا العرب فأجابه أول الناس ، بنو الاضبط من كلاب ، لان عشيرتهم كانوا أصابوا فيهم دما ، فساروا اليه بحرمهم وأموالهم فنزلوا الاحساء ، وأطمعوه في بني كلاب وسائر من يقرب منه من العرب، وطلبوا منه أن يضم اليهم رجالا ففعل ذلك ، فلقوا بهم عشيرتهم فاقتتلوا فهزمتهم القرامطة فأكثروا فيهم القتل ، وأقبلوا بالحريم والاموال والامتعة نحو الاحساء ، فاضطر المغلوبين الى أن دخلوا في طاعته وصاروا تحت أمره ، ثم وجه أبو سعيد بجيش آخر الى بني عقيل فظفر بهم ، فقصدوه ودخلوا في طاعته ، فملك تلك الفلاة ، وتجنب قتاله كل أحد الا بني ضبة ، فانها ناصبته الحرب ، فلما اجتمع اليه من اجتمع من العرب وغيرهم خوفهم ومناهم ملك الارض كلها ، فاستجاب بعضهم الى دعوته فرد اليهم ما أخذ منهم من أهل وولد ، وأجاب آخرون رغبة في دعوته ، ولم يرد على أحد ابلا ولا عبدا ولا أمة وأنزل الجميع معه الاحساء ، وأبى قوم دعوته فرد عليهم حرمهم ومن لم يبلغ من أولادهم أربع سنين وشيئا من الابل يحملون عليه ، وحبس ما سوى ذلك كله ، وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قواما ، وأجرى عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسم جميعهم على الخدود لئلا يختلطوا بغيرهم ، وعرف عليهم عرفاء ، وعلم من صلح لركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غيره ، وصارت دعوته طبعا لهم، وقبض كل مال في البلد والثمار والحنطة والشعير ، وأنفذ الرعاة في الابل والغنم ، وقوما للنزول معها لحفظها والتنقل معها على نوب معروفة ، وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل أحد الى غير ما يطعمه ، وهو لا يغفل مع ذلك عن هجر ، فلما

أضجروه وطال أمرهم وقد كان بلغ منهم الحصار كل غاية،وأكلوا السنانير والكلاب وكان حصارهم يزيد على عشرين شهرا، ثم جمع أصحابه وحشد لهم وعمل الدبابات، ومشى بها الرجال الى السور ، فاقتتلوا أشد قتال لم يقتتلوا مثله قبل ذلك ، ودام القتال عامة النهار ، وكل منتصف من الآخر ، وكثرت بينهم القتلى ، ثم رجع الى الاحساء . ثم باكرهم فناوشوه فانصرف ، فلما قرب من الاحساء أمر الرجالة ومن جرح أن ينصرف ، وعاود في خيل فدار حول هجر ، وفكر فيما يكيدهم به ، واذا لهجر عين يجتمع ماؤها في نهر ويستقيم حتى يمر بجانب هجر ملاصقا ، ثم ينزل الى النخيل فيسقيها ، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم ، فلما تبين له أمر العين انصرف الى الاحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة عسكرا ، ثم رجع الى الاحساء وجمع الناس كلهم وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف ، وأمر قوما بجمع الحجارة وآخرين ينفذون بها الى العين ، وأعد الرمل والحصى والتراب ، فلما اجتمع أمر أن يطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وأن يطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة ففعل، فقذفته العين ولم يغن ما فعلوه شيئا ، فانصرف الى الاحساء هو ومن معه ، وغدا في خيل فضرب في البر ، وسأل عن منتهى العين فقيل له انها تتصل بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه وانحدر على النهر نحوا من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك ، ثم أقبل هو وجمعه يأتون في كل يوم ، والعمال يعملون حتى حفرة الى السباخ ، ومضى الماء كله عنهم فصب في البحر ، فلما تم له ذلك نزل على هجر وقد انقطع الماء عمن بها ، فأيقنوا بالهلاك فهرب بعضهم نحو البحر ، فركبوه الى جزيرة أوالي وسيراف وغيرهما ، ودخل قوم منهم في دعوته ، وخرجوا اليه فنقلهم الى الاحساء ، وبقيت طائفة لم يقدروا على الهرب ولم يدخلوا في دعوته ، فقتلهم وأخذ ما في المدينة ثم أخربها ، وصارت الاحساء مدينة البحرين .

ذكر الحرب بين القرامطة اصحاب ابي سعيد واهل عمان

قال : ولما استولى على هجر وخربها أنفذ سرية من أصحابه ستمائة فارس الى عمان ، فوردت على غفلة فقتلوا ونهبوا وأسروا في عمل عمان وأنفذ أهل عمان سرية اليهم في ستمائة رجل من أهل النجدة فأدركوهم فجعلت القرامطة ما غنموه وراء

ظهورهم ، وأقبلوا نحو أهل عمان فاقتتلوا ، حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وتعانقوا ، وتكادموا وتراضخوا بالحجارة ، فلم تغرب الشمس حتى تفانوا ، فبقي من أهل عمان خمسة نفر لا حراك بهم ، ومن القرامطة ستة نفر مجرحين الا أنهم أحسن حالا من العمانية،فركب القرامطة ست رواحل وعادوا الى أبي سعيد الجنابي، فأخبروه الخبر واعتذروا اليه ، فلم يقبل عذرهم وأمر بهم فقتلوا ، وقال : هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا ، فأنزلت بهم ما كانوا له أهلا ، وتطير بهلاك السرية وأمسك عن أهل عمان[1] .

ذكر الحرب بين القرامطة وعسكر المعتضد بالله وانتصار القرامطة

قال : ولما كان من أمر أبي سعيد الجنابي ما كان، اتصلت أخباره بالمعتضد بالله، وكتب اليه أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي ـ وهو اذ ذاك يتولى البصرة ـ يعلمه خبر أبي سعيد ، وأنه اتصل به أنه يريد الهجوم على البصرة ، فأمره المعتضد بالله أن يعمل على البصرة سورا فعمله ، فكان مبلغ ما صرف عليه أربعة عشر ألف دينار ، ثم كتب الواثقي الى المعتضد يسأله المدد ، فسير اليه ثلاثمائة رجل في سماريات ، وأنفذ المعتضد بالله العباس بن عمرو الغنوي في ألفي رجل ، وأقطعه اليمامة والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة ـ وكان يتولى بلاد فارس ـ فسار الى البصرة فوردها وذلك في سنة سبع[2] وثمانين ومائتين ، وخرج منها نحو هجر ، وبينهما بضع عشرة ليلة في فلاة مقفرة ، وتبعه من مطوعة البصرة نحو من ثلاثمائة رجل من بني ضبة وغيرهم ، وعرف أبو سعيد خبرهم فسار نحوهم وقدم أمامه مقدمة ، فلما عاينهم العباس بن

---

(١) أورد الاصطخري ص ٩٠ (ط. ١٩٦١ القاهرة) ... ومنهم الحسن الجنابي ويكنى بأبي سعيد من أهل جنابه ، كان دقاقا أظهر مذهب القرامطة فنفي عن جنابه ، فخرج منها الى البحرين فأقام بها تاجرا ، يستميل العرب بها ويدعوهم الى نحلته حتى استجابوا له ، وملك البحرين وما والاها ، فكان من كسره عساكر السلطان وعينه وعدوانه على أهل عمان وسائر ما يصاب من بلدان العرب ما قد انتشر ذكره ، حتى قتل وكفى الله أمره .

(٢) في كنز الدر للدواداري ص ٥٧ : تسع .

عمرو خلف سواده وسار اليهم فيمن خف من أهل العسكر وأدرك أبو سعيد مقدمته في باقي أصحابه ، فتناوشوا القتال فكانت بينهم حملات ، ثم حجز الليل بينهم فانصرفوا على السواء فلما جاء الليل انصرفت مطوعة البصرة ومن معهم من بني ضبة ، فكسر ذلك الجيش وفت في أعضادهم ، وأصبح العباس بن عمرو فعبأ أصحابه للقتال والتقوا ، فجعل بدرا غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ في نحو مائة من أصحابه على ميمنة أبي سعيد فأوغل فيهم فلم يرجع منهم أحد ، وحمل أبو سعيد على العباس وأصحابه فانهزموا ، وأسر العباس بن عمرو ومعه نحو من سبعمائة رجل من أصحابه، واحتوى القرامطة على عسكره ، وقتل أبو سعيد من غد يومه جميع الاسرى ثم أحرقهم ، وترك العباس بن عمرو ومضى المنهزمون فتاه كثير منهم في البر وتلف كثير منهم عطشا ، وورد قوم منهم البصرة فارتاع الناس لهم ، حتى أخذوا في الانتقال عن البصرة فمنعهم الواثقي •

قال : ولما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد الجنابي العباس بن عمرو ، وقال له : أتحب أن أطلقك ؟ قال : نعم قال : على أن تبلغ عني صاحبك ما أقول ، قال : أفعل ، قال : تقول الذي أنزل بجيشك ما أنزل بغيك ، هذا بلد كان خارجا عن يدك غلبت عليه وأقمت به وكان فيّ من الفضل ما آخذ غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا،ولا نلت أحدا من رعيتك بسوء،فتوجيهك الي الجيوش لأي سبب ؟! اعلم اني لا أبرح عن هذا البلد ولا يوصل اليه وفيّ ، وفي هذه العصابة التي معي روح ، فاكنفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة، ولا تصل الى مرادك منه الا ببلوغ القلوب الحناجر ، وأطلقه وأرسل معه من يرده الى مأمنه ، فأوردوه بعض السواحل فصادف مركبا فركب فيه الى الابلة ، ووصل الى بغداد في شهر رمضان من السنة •

قال : وقد كان الناس يعظمون أمر العباس ويكثرون ذكره ويسمونه قائد الشهداء ، فلما وصل الى المعتضد بالله عاتبه على تركه الاستظهار والتحرز وأنبه ، فاعتذر بهرب بني ضبة ومن كان معهم من المطوعة وهرب أصحابه عنه ، وأنه لو أراد الهرب لأمكنه ، فلم يبرح حتى رضي عنه وزال همه ، ثم سأله عن خبره فعرفه جميعه ، ووصف له أحوال القرامطة وما قاله أبو سعيد بعد أن استأذنه في ذلك فأذن له ، فقال : صدق ما أخذ شيئا كان في أيدينا ، وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه ، فقال :

كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمر لأشخصن بنفسي الى البصرة وجميع غلماني ،ولأوجهن اليه جيشا كثيفا قال هزمه وجهت جيشا ، فان هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي إليه ، حتى يحكم الله بيني وبينه ، وشغله بعد ذلك أمر وصيف غلام ابن أبي الساج وأحفزه[1] ، فخرج في طلبه وهو عليل ، وذلك في شوال من هذه السنة ، فأخذه وعاد الى بغداد فدامت علته واستمر وجعه ومات .

قال القاسم بن عبيد الله : ما زال أمير المؤمنين المعتضد بالله يذكر أمر أبي سعيد في مرضه ويتلهف ، فقلت : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت في نفسي أن أركب ، ثم أخرج الى باب البصرة متوجها نحو البحرين ، ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفي الا ضربت عنقه ، واني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة .

قال : وأقبل أبو سعيد بعد اطلاق العباس على جمع الخيل واعداد السلاح واتخاذ الابل واصلاح الرجال ونسج الدروع والمغافر ونظم الجواشن وضرب السيوف والاسنة ، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب وتعليم الصبيان الفروسية، وطرد الاعراب عن قربه ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال ، واصلاح مثل هذه الامور وتفقدها ، ونصب الامناء على ذلك ، واقامة العرفاء على الرجال ، والاحتياط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده واحتياطه أن الشاة كانت تذبح فيسلم اللحم الى العرفاء ، ليفرقوه على من يرسم لهم ، ويدفع الرأس والاكارع والبطن الى العبيد والاماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ثم يدفع الى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، فاذا خرج من الدباغ سلم الى خرازي القرب والروايا والمزاود ، وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفافا عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله الى خزائن ، فكان ذلك دأبه لا ينفك عنه ، ويوجه في كل مديدة بخيل الى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت فتصير بهم اليه فيستعبدهم ، فزادت بلاده وعظمت هيبته في صدور الناس .

---

(١) انظر خبر ذلك في الكامل لابن الاثير : ٦/٩٤ .

قال الشريف أبو الحسين : وقد كان واقع بني ضبة عند طرده لهم عن قرب بلده ، فأصاب منهم وأصابوا منه ، ولم يتباعدوا عنه بعيدا ، فلما شخص مع العباس ابن عمرو منهم من شخص — في وقت مسيره لقتاله — ازداد بذلك حنقا عليهم ، فواقعهم وقائع مشهورة بالشدة والعظم ، ثم ظفر بهم فأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبسا عظيما وجمعهم فيه وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب فصاحوا وضجوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ثم فتح عليهم ، فوجد الاكثر منهم موتى ، ووجد نفرا يسيرا قد بقوا على حال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم .

ذكر مقتل ابي سعيد الجنابي

كان مقتله في سنة احدى وثلاثمائة بعد أن استولى على سائر بلاد البحرين ، وكان سبب مقتله أنه لما هزم جيش العباس بن عمرو كما تقدم، واستولى على عسكره، أخذ من عسكره خادما له صقلبيا[1] ، فاستخدمه وجعله على طعامه وشرابه ، فمكث كذلك مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا لله عز وجل صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره يوما واحدا ، فأضمر الخادم لذلك قتله ، فدخل معه الحمام يوما — وكان الحمام في داره ، فأخذ الخادم معه خنجرا ماضيا — ولم يكن معه في الحمام غيره ، فلما تمكن منه أضجعه فذبحه ، ثم خرج فقال : السيد يستدعي فلانا لبعض بني سنبر فأحضر فقال : ادخل فدخل ، فبادره فقبض عليه وذبحه ، ولم يزل يستدعي من رؤساء القرامطة واحدا واحدا حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، الى أن استدعى بعضهم فنظر عند دخوله الى باب البيت الاول دما جاريا فاستراب بذلك وخرج مبادرا فلم يدركه الخادم وأعلم الناس ، وعمد الخادم الى الباب فأغلقه وكان وثيقا ، فاجتمع الناس ونقبوا نقوبا الى أن وصلوا اليه ، فأخذه ابنه سعيد فأمر بشده بالحبال ، ثم قرض لحمه بالمقاريض حتى مات رحمه الله تعالى .

---

(١) المثير للانتباه ان الغلمان الصقالبة كانوا غير منتشرين في المشرق ، بل في المغرب والاندلس ، والرقيق الابيض في المشرق كان جله من أصل تركي ، فهل يعني هذا ارسال هذا الغلام من الشمال الافريقي بطريقة ما ، وذلك من قبل الخلافة الناشئة هناك ؟

وخلف أبو سعيد من الاولاد : أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا العباس[1] ابراهيم ، والعباس محمد ، وأبا يعقوب يوسف ، وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته وبني[2] زرقان ، وكان أحدهم زوج ابنته ، وبني سنبر ، وكان متزوجا اليهم ، وهم أخوال أولاده وبهم قامت دولته وقوي أمره، فأوصى اليهم ان حدث به موت أن يكون القيم بأمرهم ابنه سعيدا الى أن يكبر أبو طاهر ، وكان سعيد أكبر من أبي طاهر سنا ، فاذا كبر أبو طاهر كان المدبر لهم ، فلما قتل جرى الامر على ما وصاهم به ، وكان قد أخبرهم أن الفتوح تكون لأبي طاهر ، فجلس سعيد يدبر الامر بعد مقتل أبيه الى سنة خمس وثلاثمائة ، ثم سلم الامر لأخيه أبي طاهر فدبره وعمل أشياء موه بها على عقول أصحابه فقبلوها وعظموا أمره ، وكان من أخباره ما نذكره ان شاء الله تعالى ، وكانت مدة تغلب أبي سعيد على البحرين وما والاها نحوا من ستة عشر سنة .

ذكر اخبار ابي القاسم الصناديقي ببلاد اليمن

وفي سنة ست وثمانين ومائتين استولى أبو القاسم النجار المعروف بالصناديقي على اليمن ، وكان ابن أبي الفوارس داعي عبدان قد أنفذه داعيا الى اليمن ، وكان هذا الصناديقي من موضع يعرف بالنرس ، وكان يعمل فيه الثياب النرسية ، وقيل انه كان يعمل في الكتان ، فلما صار الى اليمن أجابه رجل من الجند يعرف بابن الفضل ، فقوي أمره على اقامة الدعوة الخبيثة ، فدخل فيها خلق كثير ، فخلعهم من الاسلام ، وأظهر العظائم ، وقتل الاطفال وسبى النساء، وتسمى برب العزة وكان يكاتب بذلك، وأظهر شتم النبي ﷺ وسائر الانبياء ، واتخذ دارا سماها دار الصفوة ، وكان يأمر الناس بجمع نسائهم من أزواجهم وبناتهم واخوانهم ، ويأمرهم بالاختلاط بهن ليلا ووطئهن ، ويحتفظ بمن تحبل منهن في تلك الليلة وبمن تلد من بعد ذلك ، ويتخذهم لنفسه خولا ويسميهم أولاد الصفوة . وعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم

---

(١) في اتعاظ الحنفا ص ٢٢١ ، وكنز الدرر ص ٦٢ : أبا اسحاق ابراهيم .
(٢) في كنز الدرر للدواداري ص ٦٢ : بني زبرقان .

الحسني الهادي[1] وقلعه عن عمله بصعدة ، وألجأه الى أن هرّب عياله الى الرس حذرا منه لقوته عليه ، ثم ان الله عز وجل رزقه الظفر به فهزمه ، وكان ذلك بلطف من ألطاف الله تبارك وتعالى ، وهو أن ألقى على عسكره وقد بايته بردا وثلجا ، قتل به أكثر أصحابه في ليلة واحدة ، وقل ما يعرف مثل هذا من البرد والثلج في ذلك البلد ، ولما طغى وبغى قتله الله بالاكلة وأنزل بالبلدان التي غلب عليها بثرا قاتلا ، كان يخرج على كتف الرجل منهم بثرة فيموت في سرعة ، فسمى ذلك البثر حبة القرمطي ، وأخرب الله تعالى أكثر تلك البلاد التي ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع، واعتصم ابنه بعده بالجبال والقلاع،ولم يزل بها مقيما يكاتب أهل ملته ، ويعنون كتبه : من ابن رب العزة ، ثم أهلكه الله عز وجل وبقيت منهم بقية ، فاستأمنوا الى أبي القاسم محمد بن الهادي ، ولم يبق للنجار بقية ولا لمن كان على مذهبه .

ولنرجع الى أخبار زكرويه بن مهرويه وخبر من أرسله الى الشام .

ذكر ظهور القرامطة بالشام
وما كان من امرهم وحروبهم

قد قدمنا من أخبار زكرويه بن مهرويه واختفائه وحرص أصحاب عبدان على قتله، وأنه لما طال عليه الامر أرسل ابنه الحسن الى الشام وذلك في سنة ثمان وثمانين ومائتين .

قال الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني رحمه الله: ولما أرسل زكرويه ابن مهرويه ابنه الى الشام أرسل معه رجلا من القرامطة من أهل نهر ملحانا ، يقال له الحسن بن أحمد ويكنى بأبي الحسين ، وأمره أن يقصد بني كلب ، وينتسب لهم الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ويدعوهم الى الامام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني العليص بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب بن وبرة ومواليهم وانضاف

---

(1) في الاصل : « وقاتل القاسم بن احمد بن يحيى » وهو تصحيف صوابه ما اثبتناه انظر ص ٢٦٦ ـ ٢٧٣ من كتابنا هذا .

اليه طائفة من بني الاصبغ من كلب ، ويسمى هؤلاء بالفاطميين وبايعوه ، وكان الخبيث لما رجع الى الطالقان يكتب الى زكرويه يستأذنه في القدوم عليه ، فيجيب بالتوقف ، فخرج نحو العراق ، فلما وصل الى السواد وجد زكرويه مختفيا ، فلم يزل حتى توصل الى المكان الذي هو فيه ، فلم يظهر له لوما على قدومه وبعث اليه بخبر من استجاب له بالشام ، فقال : أنا أخرج حتى أظهر فيهم هناك ، فوجه اليه : نعم ما رأيت ، فضم اليه ابن أخيه عيسى بن مهرويه ، ويسمى بالمدثر لقبا وبعبد الله اسما ، وغلاما من بني مهرويه فتلقب بالمطوق وكان سيافا[1] ، وأنفذهم الى الشام ، الى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره له بالسمع والطاعة ، فسار حتى نزل في بني كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه وسر به ، وجمع له الجمع وقال : هذا صاحب الامام فامتثلوا أمره ، وسروا به وقالوا له : مرنا بأمرك وبما أحببت ، فقال لهم استعدوا للحرب فقد أظلكم النصر ، ففعلوا ذلك ، واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي مولى المعتضد ، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين فقصدهم فقتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وكانت الوقعة بالرصافة من غربي الفرات ، ودخلوا الرصافة وأحرقوا مسجدها ونهبوها ، وأصعدوا نحو الشام ، واعترضوا الناس بالقتل والتحريق ونهب القرى ، الى أن وردوا أطراف دمشق ، وكان هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون رد أمر دمشق الى طغج بن جف الفرغاني ، فلقيتهم عساكره فانهزمت ، ولم تثبت ، وقتل كثير منهم وأخذوا منهم ما قدروا عليه .

قال : ولما هزم طغج نزل على دمشق وقاتل أهل البلد ، وكان يحضر الحرب على ناقة ويقول لأصحابه : لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا فانه لا ترد لكم راية اذ كانت مأمورة ، فسمي بذلك صاحب الناقة ، وحصر طغج بدمشق سبعة أشهر ، فكتب طغج الى مصر بخبر من قتل من أصحابه ، وأنه محصور وقد فني أكثر الناس وخرب البلد ، فأنفذوا اليه بدراً الكبير غلام ابن طولون — وهو المعروف بالحمامي — فسار حتى قرب من دمشق وخرج اليه طغج واجتمعوا على محاربة القرامطة ، والتقوا واقتتلوا بقرب دمشق ، فأصاب رئيس القرامطة — ابن القداح —

(١) مشير للانتباه أن زعيم قرامطة اليمن كان له مطوقه أيضا .

سهم فقتله، ويقال أصابه الزراقون بزراق فيه نفط فاحترق، وحمي أصحابه فقاتلوا عسكر بدر الحمامي وطغج حتى انحازوا عنهم وانصرفت القرامطة وكان صاحب الناقة هذا المقتول قد ضرب دنانير ودراهم ، وكتب على السكة على أحد الوجهين : « قل جاء الحق وزهق الباطل[1] »، وعلى الوجه الآخر : لا إله إلا الله ، « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى[2] » . قال : فلما انصرفت القرامطة عن دمشق بعد قتل الطاغية بايعوا :

الحسن[3] بن زكرويه بن مهرويه

فسمى نفسه أحمد وتكنى بأبي العباس وهو صاحب الشامة .

قال ابن الاثير : ولما بايعه القرامطة دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادي وغيرهم ، فاشتدت شوكته وأظهر شامة في وجهه ، وزعم أنها آتية[4] .

قال الشريف أبو الحسين وسياقه أتم : ولما بايعوه ثار حتى افتتح عدة مدن من الشام ، وظهر على جند حمص ، وقتل خلقا كثيرا من جند المصريين ، وتسمى بأمير المؤمنين على المنابر وفي كتبه ، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين وبعض سنة تسعين ومائتين ، ثم سار بمن معه الى نحو الرقة ، فخرج اليهم مولى الخليفة المكتفي بالله وكان عليها ، فواقعهم فهزموه ، وقتلوه واستباحوا عسكره ورجعوا يريدون دمشق، وجعلوا ينهبون جميع ما يمرون به من القرى ، ويقتلون ويسبون ويخربون ، فلما قربوا من دمشق أخرج اليهم طغج جيشا كثيفا أمر عليه غلامه بشيرا ، فهزم القرامطة الجيش وقتل بشير في خلق من أصحابه ، فلما اتصل بالمكتفي قتل غلامه الذي كان على الرقة وخبر قتل بشير ندب أبا الأغرّ السلمي، وضم اليه عشرة آلاف من الجند والموالي والاعراب ، وخلع عليه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين وأنفذه ، فسار حتى نزل حلب ثم خرج فنزل وادي بطنان ، فتفرق الناس ودخل قوم منهم الماء يتبردون فيه وذلك في القيظ ، ووافاهم القرامطة يقدمهم

---

(١) سورة الاسراء : ٨١ .

(٢) سورة الشورى : ٢٣ .

(٣) ورد اسمه في مصادر اخرى كالطبري : الحسين .

(٤) الكامل لابن الاثير : ٦/١٠٤ — ١٠٦ .

المطوق ، فكان كل انسان يحذر على نفسه وينجو بها ، وركب أبو الأغـر المرسة وصاح بالناس ، فسار اليه جماعة لقي بها أوائل القوم ، فلم يلبث الا اليسير حتـى انهزم ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون وينهبون حتى حجز الليل بينهم ، وقد أتو على عامة العسكر وسلم منهم قليل ، ولحق أبو الأغر في جُميعيّة معه بحلب ، ثم تلاحق به قوم حتى حصل في نحو ألف رجل ، ووافت القرامطة فنازلوا أهل حلب فحاربهم أبو الأغر ، فلم يقدروا منه على شيء فانصرفوا ، وجمع الحسن بن زكرويه أصحابه ، وكان قد اتصل به خلق كثير من اللصوص ومن بني كلب ، فسار حتى نزل أطراف حمص فخطب له على منابرها ، ثم نهض اليها فأعطاه أهلها الطاعة ، وفتحوا له البلـد فدخلها ، ثم سار الى حمـاة ومعرة النعمان وغيرهما فقتل الرجال والنساء والاطفال ، ثم رجع الى بعلبك فقتل عامة أهلها ، ثم صار الى سلمية فحاربه أهلهـا وامتنعوا منه ، فأعطاهم الامان ففتحوا له ، فبدأ بمن كان فيها من بني هاشم ، وكان بها جماعة كثيرة ، فقتلهم أجمعين ، ثم كر على أهلها فأفناهم أجمعين وخربها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، وكان مع ذلك لا يمر بقرية فيدع فيها أحد ، حتى أخرب البلاد وسبى الذراري وقتل الانفس من المسلمين وغيرهم ، ولم يقم له أحد .

قال الشريف : ووردت كتب التجار وسائر الناس من دمشق وغيرها بصورة الامر وغلظه ، وأن طغج قد فنيت رجاله وبقي في عدة يسيرة ، وأن القرامطة تقصد دمشق في أوقات فلا تقاتلهم الا العامة وقد أشرف الناس على الهلكة وكثر الضجيج بمدينة السلام ، واجتمعت العامة الى يوسف بن يعقوب القاضي وسألوه انهاء أخبار الناس الى الخليفة ، فوعدهم بذلك، ووردت كتب المصريين على المكتفي بالله يعرفونه ما قتل من عسكرهم الذي خرج الى الشام،فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد واخراج المضارب الى باب الشماسية ، وخرج الى مضربه في القواد والجند ، ورحل لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وسلك طريق الموصل ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها وانبثت جيوشه من حلب وحمص ، وقلد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشا كثيفا ، وكان محمد بن سليمان صاحب ديوان العطاء وعارض الجيش ، فسار نحو القرامطة بجيشه .

ذكر الحرب بين محمد بن سليمان وبين القرامطة وانهزام القرامطة والظفر بالحسن بن زكرويه صاحب الشامة واصحابه وقتلهم

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : ولما دخلت سنة احدى وتسعين ومائتين كتب القاسم بن عبيد الله وهو وزير المكتفي بالله الى محمد بن سليمان الكاتب يأمره بمناهضة القرامطة ، فسار اليهم والتقى الجمعان يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم من هذه السنة ، بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجالهم ، وورد كتاب محمد بن سليمان الكاتب الى القاسم بن عبيد الله الوزير ، يخبره بكيفية المصاف والقتال ومن كان في الميمنة والميسرة والقلب والجناحين من قواد عسكره ، وأن القرامطة اجتمعوا ستة كراديس ، وأن ميسرتهم كان فيها ألف وخمسمائة فارس ، وكمنوا خلفها أربعمائة فارس ، وفي القلب ألف فارس وأربعمائة فارس ، وفي ميمنتهم ألف فارس وأربعمائة فارس ، وكمنوا خلفها مائتي فارس ، وذكر كيف كانت حملاتهم وقتالهم، وكيف كانت هزيمتهم ، في كلام مطول تركناه اختصارا لطوله ، الا أن ملخصه أن القرامطة قتلوا قتلا ذريعا ، وذكر أن الكردوس الذي كان في ميسرة القرامطة قصده الحسين بن حمدان ، وكان في جناح ميمنة عسكر الخليفة ، واقتتلوا أشد قتال حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف فصرع من القرامطة ستمائة في أول دفعة ، وأخذ أصحاب الحسين منهم خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضة ، وأن القرامطة ولوا مدبرين فاتبعهم الحسين بن حمدان ، فرجعوا عليه فلم يزل يحمل حملة بعد حملة — وهم في خلال ذلك يصرعون منهم الجماعة بعد الجماعة — حتى أفناهم الله تعالى ، فلم يفلت منهم الا أقل من مائتي رجل ، قال : وحمل الكردوس الذي كان في ميمنتهم على القاسم بن سهل ويمن الخادم ، فاستقبلوهم بالرماح فكسروها في صدورهم وعانق بعضهم بعضا ، فقتلوا من الكفرة جماعة كبيرة قال : وأخذ بنو شيبان منهم ثلاثمائة فرس ومائة طوق فضة ، وأخذ أصحاب خليفة بن المبارك منهم مثل ذلك ، وذكر في كتابه أنه حمل هو عليهم في القلب ، فما زال أصحابه يقتلون القرامطة — فرسانهم ورجالتهم — أكثر من خمسة أميال ، وذكر في كتابه أن الحسن بن زكرويه لم يشهد هذا المصاف وأنه يشخص اليه الى سلمية •

قال الشريف رحمه الله: وكان الحسن بن زكرويه ــ لما أحس بقرب الجيوش ــ عرض أصحابه ، وأخرج الاقوياء منهم عن الضعفة والسواد ، وأنفذ الجيش وتخلف هو في السواد والضعفة ، فلما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ورحل لوقته وسار خوفا من الطلب ، وتلاحق به من أفلت من أصحابه ، فخاطبهم بأنهم أتوا من قبل أنفسهم وذنوبهم وأنهم لم يصدقوا الله ، وحرضهم على المعاودة الى الحرب فلم يجبه منهم أحد الى ذلك ، واعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فلما أيس منهم قال لهم : قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ، ودعاتي بها ينتظرون أمري ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم ابن أحمد صاحبي ، وكتبي ترد عليه بما يعمل به فاسمعوا له وأطيعوا أمره فضمنوا له ذلك ، وشخص معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه[1] المسمى بالمدثر وصاحبه المطوق وغلام له رومي ، وأخذ دليلا يرشدهم الى الطريق وساروا يريدون سواد الكوفة، وسلك البر وتجنب المدن والقرى ، حتى اذا صار قريبا من الدالية نفذ زاده ، فأمر الدليل فمال بهم اليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من كان معه لابتياع ما يصلحه ، فلما دخلها أنكر زيه بعض أهلها وسأله عن أمره فورى وتلجلج. فاستراب به وقبض عليه وأتى به واليها، وكان يعرف بأبي خبزة يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات ، قال : والدالية قرية من عمل الفرات ، قال : فسأله أبو خبزة عن خبره ورهب عليه، فعرفه أن القرمطي، الذي خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله في طلبه ، خلف رابية أشار اليها ، فسار أبو خبزة الى ذلك الموضع ومعه جماعة بالسلاح حتى أشرف عليهم ، فأخذهم وشدهم وثاقا وتوجه بهم الى صاحبه ابن كشمرد ، فسار بهم الى المكتفي وهو يومئذ بالرقة ، فأمر أن يشهروا بها ففعل بهم ذلك ، وألبس الحسن بن زكرويه دراعة ديباج وبرنس من حرير وهو على بختي ، والمدثر والمطوق على جملين عليهما دراعتا ديباج وبرانس حرير ، وهم بين يديه ، وذلك في يوم الاربعاء لأربع بقين من المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين .

قال : وقدم محمد بن سليمان الكاتب الرقة والجيوش معه ، بعد أن تتبعوا ما بقي من القرامطة فأسروا وقتلوا، فخلف المكتفي بالله عساكره مع محمد بن سليمان

---

(١) سبق له في ص ٥٤٩ أن أورد اسمه « عيسى بن مهرويه » .

بالرقة ، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله الى بغداد ، وحمل القرمطي وأصحابه معه ومن أسر في الوقعة ، وذلك في أول يوم من صفر سنة احدى وتسعين ومائتين ، فلما صار الى بغداد عمل له دميانة غلام يا زمار كرسيا سمكه ذراعان ونصف ، وركبه على فيل وأركبه عليه ودخل المكتفي بالله وهو بين يديه مع أصحابه الاسرى ، عليهم دراريع الديباج والبرانس والمطوق في وسط الاسرى على جمل ، وهو غلام حدث قد جعل في فيه خشبة مخروطة قد شدت الى قفاه كاللجام ، وذلك أنهم في وقت دخولهم الرقة أكثر الناس الدعاء عليهم ، فكان هو يشتم الناس الذين يدعون عليهم ويبصق عليهم ، وكان دخولهم كذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول من هذه السنة .

قال : فلما وصل المكتفي الى داره حبسهم ووكل بهم ، ووصل محمد بن سليمان بعد ذلك على طريق الفرات في الجيش ، وقد تلقط بقايا القرامطة من كل وجه ، فنزل بباب الانبار في ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول من السنة ، فأمر المكتفي القواد وأصحاب الشرط بتلقيه والدخول معه ، فدخل محمد بن سليمان في زي حسن ومعه بين يديه نيف وسبعون أسيرا ، وخلع الخليفة على محمد بن سليمان وطوقه بطوق من ذهب ، وسوره بسوار من ذهب ، وخلع على جميع القواد وطوقوا وسوروا ، وحبس الاسرى وكان المكتفي بالله وقت دخوله أمر أن تبنى له دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي ، مربعة ذرعها عشرون ذراعا في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع يصعد اليها بدرج ، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من شهر ربيع الاول أمر المكتفي القواد وجميع الغلمان وصاحب جيشه محمد بن سليمان وصاحب شرطته أن يحضروا هذه الدكة ، فحضروها وصعد الوجوه ووقف الباقون على دوابهم ، وخرج التجار والعامة للنظر وحملوا الاسرى كلهم مع خلق كثير منهم كانوا بالكوفة وحملوا الى بغداد وغيرهم ممن حمل ممن كان على مذهبهم ، فأحضر جميعهم على الجمال وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل ثلاثمائة ونيف وعشرون ؛ وقدم الحسن بن زكرويه وعيسى ابن أخت مهرويه ، وهما زميلان ، على بغل في عمارية ، قد أرسل عليهما أغشية ، فأصعدا الى الدكة وأقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون انسانا من الاسرى من وجوه القرامطة ، ممن عرف بالنكاية والعداوة

للاسلام والكلب على سفك الدماء واستباحة النساء وقتل الاطفال ، وكان كل واحد منهم يبطح على وجهه فتقطع يده اليمنى ويرمى بها الى أسفل ليراها الناس ، ثـم تقطع رجله اليسرى ، ثم يده اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بها الى أسفل ثـم تضرب عنقه ويرمى به الى أسفل ، فلما فرغ منهم قدم المدثر ففعل به مثل ذلك ثم كوي ليعذب ثم ضربت عنقه ، ثم قدم الحسن بن زكرويه فضرب مائتي سوط ثـم قطعت يداه ورجلاه وكوي وضربت عنقه، ورفع رأسه على خشبة ، وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر ، وصلب بدن الحسن فمكث مصلوبا نحوا من سنة ، ثم سقط عليه حائط ودفنت أجساد الاسرى عند الدكة ، وهدمت بعد أيام .

قال الشريف : ومن كتب اللعين الحسن بن زكرويه الى بعض عماله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدي المنصور الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الداعي الى كتاب الله ، الذاب عن حريم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين وامام المسلمين ، ومذل المنافقين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المنتصرين ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة المرسلين ، وولد خير الوصيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم ــ كتاب الى جعفر بن حميد الكردي ، سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد جدي رسول الله ، أما بعد : فقد أنهي الينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعبث والفساد في الارض فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ الى هناك من جيوشنا من ينتقم الله به ، مـن أعدائنا الظالمين الذين يسعون في الارض فسادا فأنفذنا جماعة من المؤمنين الى مدينة حمص ونحن في أثرهم ، وقد أوعزنا اليهم في المصير الى ناحيتك ، لطلب أعداء الله حيث كانوا ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم ، فينبغي أن تقوي[1] قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودنا في كل من مرق من الطاعة وانحرف عن الايمان ، وتبادر الينا بأخبار الناحية وما يحدث فيها ، ولا تخف عنا شيئا من أمرها .

(١) في كنز الدرر ص ٧٨ واتعاظ الحنفا ص ٢٣١ : بأن تشد قلبك .

« سبحانك اللهـم وتحيتهم فيها سلام وآخـر دعواهم أن الحمـد لله رب العالمين »[1] ، وصلى الله على جدي رسوله وعلى أهل بيته وسلم كثيرا • وكـان عماله يكاتبونه بمثل هـذا الصدر •

قال ابن الاثير[2] : وكان قد نجا من أعيان القرامطة رجـل من بني العليص يسمى اسماعيل بن النعمان في جماعة معه ، فكاتبه المكتفي بالله وبذل له الامان ، فحضر في نيف وستين نفسا ، فأحسن الخليفة اليهم وسيرهم الى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيماء ، فأقاموا معه مدة وعزموا على انشاء فتنة بالرحبة ، وكان قـد انضم اليهم جماعة كثيرة ، فشعر بهم القاسم فقتلهم ، فارتدع من كان قد بقي مـن موالي بني العليص ، وذلوا ولزموا السماوة حتى جاءهم كتاب من زكرويه بـن مهرويه ، يذكر لهم أن مما أوحي اليه أن صاحب الشامة وأخاه يقتلان ، وأن امامه ، الذي هو حي ، يظهر بعدهما ويظفر •

ذكر خبر ارسال زكرويه بن مهرويه محمد بن عبد الله الى الشام وما كان من امـره الى ان قتـل

كان الحسن بن زكرويه قد خلف القاسم بن أحمد المكنى بأبي الحسين خليفة على من بسلمية من أصحابه كما قدمنا ، فقدم سواد الكوفة الى زكرويه فأخبره بخبر القوم ، الذين استخلفه عليهم ابنه الحسن أنهم اضطربوا عليه ، وأنه خافهم وتركهم وانصرف ، فلامه زكرويه على قدومه لوما كثيرا ، وقال له : ألا كاتبتني قبل انصرافك الي ، ووجده على ما بـه تحت خوف شديد من طلب السلطان من وجـه ، وطلب أصحاب عبدان الذي كان قد تسبب في قتله من وجه آخر ،ثم ان زكرويه أعرض عن القاسم وأنفذ رجلا من أصحابه ، كان يعلم الصبيان بالزابوقة يقال له محمد بـن عبد الله بن سعيد المكنى أبا غانم في سنة ثلاث وتسعين ومائتين فتسمى نصرا ، وأمره أن يتوجه الى أحياء كلب ويدعوهم ، فدار أحياء كلب ودعاهم فلـم يقبله الا رجل من بني زياد يعرف بمقدام بن الكيال ، ثم استجاب له طوائف من الاصبعيين الذين

(١) سورة يونس : ١٠

(٢) الكامل : ١٠٩/٦ .

يعرفون بالفواطم ، وقوم من بني العليص وصعاليك من بني كلب ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفي بالله يومئذ على دمشق والاردن أحمد بن كيغلغ ، وهم بنواحي مصر على حرب ابراهيم الخليجي ، وكان قد خالف كما قدمنا ذكر ذلك ، فاغتنم محمد بن عبد الله بن سعيد غيبته فصار الى مدينتي بصرى وأذرعات فحارب أهلها ثم أمنهم فلما استسلموا قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وسار نحو دمشق فخرج اليه صالح بن الفضل خليفة ابن كيغلغ فيمن معه ، فأثخنوا فيهم وظفروا عليهم ثم غروهم ببذل الامان ، فقتلوا صالحا وعسكره وقصدوا دخول دمشق فدفعهم عنها أهلها فانصرفوا الى طبرية ، ولحق بهم جماعة من الجند ممن سلم بدمشق ، فواقعهم يوسف بن ابراهيم ، عامل ابن كيغلغ على الاردن ، فهزموه ، وبذلوا له الامان ثم غدروا به فقتلوه ونهبوا طبرية وقتلوا وسبوا النساء ، فأنفذ المكتفي الحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فلما علموا بذلك عطفوا نحو السماوة ، وأتبعهم الحسين بن حمدان في البرية ، فأقبلوا ينتقلون من ماء الى ماء يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فلم يزالوا على ذلك حتى وردوا المائين المعروفين بالدمعانة والحالة ، فانقطع عنهم لعدم الماء فمال نحو رحبة مالك بن طوق ، وأسرى عدو الله حتى وافى هيت وهم غازون وذلك لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، طلوع الشمس ، فنهب ربض هيت والسفن التي في الفرات ، وقتل نحو مائتي انسان ، وأقام هناك يومين والقوم متحصنون ، ثم رحل بما أخذه وبمائتي كر حنطة الى نحو المائتين وبقية أصحابه هناك ، فلما اتصل الخبر بالمكتفي أرسل الى هيت محمد بن اسحاق بن كنداجيق ومعه جماعة من القواد في جيش كثيف ، ثم أتبعه بمؤنس الخادم ، فنهض محمد بن اسحاق نحوهم فوجدهم قد غوروا المياه ، فأنفذ اليه من بغداد بالروايا والقرب والمزاد ، وكتب الى الحسين بن حمدان بالنفوذ اليهم من الرحبة ، فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم نصر ، فوثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله ، وشخص الى بغداد متقربا بذلك ومستأمنا ، فأسنيت له الجائزة وكف عن قومه بقتل محمد هذا ، فمكث أياما ببغداد وهرب ، ثم ان طلائع محمد بن كنداجيق ظفرت برأس محمد المقتول هذا ، فحمل الى بغداد .

قال : ثم ان قوما من بني كلاب أنكروا ما فعله الذئب من قتل محمد ، ورضيه آخرون فتحزبوا أحزابا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم ثم افترقوا ، فصارت الفرقة التي رضيت قتله الى ناحية عين التمر ، وتخلف من كره قتله على الماء الذي كانوا ينزلون عليه ، واتصل الخبر بزكرويه بن مهرويه فرد القاسم اليهم •

ذكر ارسال زكرويه بن مهرويه القاسم بن احمد ودخوله الكوفة وما كان من امره

قال : ولما اتصل الخبر بزكرويه كان القاسم بن أحمد عنده ، فرده اليهم لمعرفتهم به ، فلما ورد عليهم جمعهم ووعظهم ، وقال : أنا رسول وليكم وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وأنكم قد ارتددتم عن الدين ، فاعتذروا وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وذكروا ما جرى بينهم وبين أهلهم من الخلف والقتل والبعد بهذا السبب ، فقال لهم : قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، وليكم يقول لكم : قد حضر أمركم وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم الذي ذكره الله ، يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[1]،فأجمعوا أمركم وسيرو الى الكوفة،فانه لا دافع لكم عنها ، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي •

فسروا بذلك سرورا كثيرا وارتحلوا نحو الكوفة ، فلما وردوا الى القطقطانة، وهي قرية خراب في البر ، بينها وبين الكوفة ستة وثلاثون ميلا ، وذلك يوم الاربعاء قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، خلفوا بها الخدم والاموال ثم أمرهم أن يلحقوا به في عين الرحبة على ستة أميال منا لقادسية •

ثم شاور الوجوه من أصحابه في أي وقت يأتي الكوفة ؟ فقال قائل ليلا فلا يتحرك أحد الا قتلناه ، ويخرج الينا واليها في قلة فنأخذه ونقتله ، وقال آخر : نمهل الى أن ندخلها عشاء في يوم العيد ، والجند سكارى والبلد خال ، فنقصد باب اسحاق وهو غافل فنأخذه ونقف على بابه ، فلا يأتينا أحد الا قتلناه ، فانهم لا يأتونا الا نفر بعد نفر ، وكانت شحنة الكوفة يومئذ سبعة آلاف رجل ، الا أن المقيم

---

(١) سورة طه : ٥٩ .

بالكوفة يومئذ أربعة آلاف من الدمانية والمصريين وغيرهم ، والناس فيها أحيـــاء ، والبلد على غاية الاجتماع والحسن وكثرة الناس ، وقال آخرون : نسير ليلتنا ثم نكمن في النجف في شعابه فنريح الخيل والابل وننام ، ونركب عمود الصبح فنشنها غارة على أهل المصلى ، وقد نزل الجند للصلاة وركب غلمانهم الدواب ، ونضـــع السيف وجل أهل البلد هناك ، فقال اللعين : هذا هو الرأي ، فركبوا وساروا حتى حصلوا في بعض المواضع فناموا ، فلم يوقظهم الا مس الشمس يوم العيد ، لطفا من الله تعالى بالناس ، قال : وقد كان أحد ما شغلهم أنهم اجتازوا بقوم من اليهود يدفنون ميتا لهم بالنخيلة ، فشغلهم قتلهم فلم يصلوا الى الكوفة الا وقد صلـــى اسحاق بن عمران بالناس العيد ، وانصرف والناس متبددون في ظاهر الكوفة ومنهم من قد انصرف ، ولاسحاق بن عمران طلائع تتفقد ، وكان ذلك لأمور قد أرجف الناس بها في البلد ، من فتن تحدث من غير جهة القرامطة ، وقيل كانت عدتهـــم ثمانمائة فارس ، وأربعمائة راجل : وهم يقاتلون على طمع وشبهة ، فأقبلوا يقدمهم هذا المكنى بأبي الحسين •

قال : وكان أحد الالطاف أن اسحاق بن عمران قد أحدث مصلى بالقرب من طرف البلد فصلى فيه ، وكان الرجوع منه الى البلد سهلا ، فقصدت القرامطة المصلى العتيق ، على ما كانوا يقدرون من اجتماع الناس فيه ، فلم يصادفوا فيه أحـــدا ، فأقبلت خيل منهم من تلك الجهة ، فدخلوا الكوفة من يمينها ، فوضعوا السيف حتى وصلوا الى حبسها ففتحوه ، وقتلوا كثيرا من الناس وأخرجوا خلقا ، فارتجت الكوفة وخرج الناس بالسلاح ، وتكاثر الناس على من دخل الكوفة من القرامطة ، فقذفوهم بالحجارة فقتل منهم جماعة ، وأقبل جل القوم نحو الخندق فقتلوا ناسا ، وناوشهم طوائف من الجند تخلفوا بالصحراء وبعض ما كان أنفذ اسحاق بن عمران طليعة ، فقتلوا بعضهم وأفلت بعضهم الى البلد ، وكان اسحاق بن عمران قـــد انصرف في أحسن زي وأجمله ، فلما صار قرب داره تفرق الجيش عنه الا خواصا ، كان قد عمل لهم سماطا في داره ، فلما سار في بعض الطريق لحقه فارس من بني أسد على فرس له بلقاء ،قد طعنت في عنقها ودمها سائل على كتفها الى الحافر ، فشق الجند وزاحم غلمانه وجاوز اسحاق بن عمران ، ثم قلب رأس فرسه اليه فوقف له ، فقال : جاءتنا أيها الامير خيل من الاعراب ، فقتلت وسلبت وخرجت الى الصحراء ، فلمـــا

رددناهم طعنت فرسي ، فقاب اسحاق بن عمران فرسه راجعا ، وأمر باخراج الجند نحو الخندق ، وبين يدي اسحاق بن عمران نحو من ستين راجلا ، ومعه غلمانه ونفر يسير من الجند ، حتى اذا صار قصر عيسى بن موسى ومعه أبو عيسى صالح بن علي بن يحيى الهاشمي يسايره فالتفت اليه ، وقال : خذ هؤلاء الرجالة وامض الى قنطرة بني عبد الوهاب ــ وهي احدى قناطر الخندق ــ فاكشفها ، فأخذهم ومضى، وتقدم الى عبد الله الحسين بن عمر العلوي أن يدور في البلد ويسكن الناس ، فدار وعليه السواد فسكن الناس ، وخرج كثير من الناس بالسلاح ، وتفرق من دخل الكوفة من القرامطة لما رماهم أهلها ، وقتل بعض القصابين رجلا منهم بشاطور ، وكان فيمن تفرق منهم رجل من كلب يعرف بالمقلقل ، وهو أحد رجالهم وشجعانهم في جمع معه ، فأفضى به الطريق الى دار عيسى بن علي ، فلقيهم أحد الفرسان من الجند يعرف بالورداني ، قد ركب لما سمع الصيحة ، فلم يشك أنهم من الجند لما رأى من كثرة الجواشن عليهم والدروع ، فقال لهم : سيروا با أصحابنا ، فأمسكوا عنه حتى توسطهم ثم عطفوا عليه بالسيوف فقتلوه ، وأخذوا دابته وساروا نحو الخندق للقاء أصحابهم ، فلما صاروا بالصحراء من الكوفة نظر اليهم أبو عيسى ، فلم يشك أنهم من أصحاب السلطان ، ثم نظر اليهم وقد لقوا جماعة من العامة ، فأقبلوا يسلبونهم،فتبين أمرهم فحمل عليهم فعدلوا عن سلب أولئك، وحمل فارسهم المقلقل ــ وكان رجلا عظيما جسيما ــ وفي يده سيف عريض ، فالتقى هو وأبوعيسى فطعنه أبو عيسى تحت ثندوته[1] فصرعه ، فحذفه المقلقل بالسيف فأصاب جحفلة[2] فرسه فعقره ، وأمر أبو عيسى بعض الرجالة فاحتز رأسه ووجه به الى اسحاق بن عمران ، وقد رفع رأسه ، فكان ذلك أحد ما كسرهم .

قال:واجتمعت الخيل والرجالة فقاتلهم اسحاق بمن معه ــ وليسوا بالكثيرين ــ قتالا شديدا ، في يوم صائف شديد الحر طويل الى الزوال ، وخرج الناس من العامة فانصرف القرامطة مكدودين فنزلوا الغدير على ميلين من الكوفة وارتحلوا عشيا نحو

---

(١) في لسان العرب قال ثعلب : الثندوة بفتح اوله غير مهموز مثال الترقوة والعرقوة على فعلوة وهي مغرز الثدي .

(٢) الجحفلة بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير (القاموس المحيط) .

سوادهم ، واجتازوا بالقادسية ، وقد وصل اليهم رسول اسحاق بن عمران، فحذرهم أمرهم ، يعني حذر أهل القادسية ، وعرف يومئـــذ صبر اسحاق بن عمران علـــى حملاتهم وتشجيعه لأصحابه •

قال : وأخرج اسحاق بن عمران مضاربه بظاهر الكوفة ، وخرج اليه أصحابه فعسكر ، وبات الناس بالكوفة على غاية الجزع والتحارس ونصب الحجارة علـــى الأسطحة ، قال : ولما وصلت القرامطة الى عين الرحبة ، وكانوا قد خلفوا سوادهم هناك ، فرحلوا وساروا بهم فنزلوا عينا بسرة العذيب تعرف بعين عبد الله ، ثم رحلوا فنزلوا قرية تعرف بالصوان على نهر هد من سواد الكوفة ، ثم مضى أبو الحسين الى قرية تعرف بالدرنه[1] على نهر زياد من سواد الكوفة ، فخرج اليه بها زكرويه وكان من أمره ما نذكره •

ذكـــر ظهور زكرويـــه بن مهرويـــه وقتالـــه عساكر الخليفـــة واخـــذه الحـــاج وما كان مـــن امره الى ان قتـــل

كان ظهور زكرويه بن مهرويه في سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وذلك أنه لمـــا وصل القاسم بن أحمد الى الدرنة خرج زكرويه اليه منها ، وكان بها مستترا كمـــا ذكرنا فيما تقدم ، فقال القاسم للعسكر : هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الـــذي تنتظرونه ، فترجلوا بأجمعهم وألصقوا خدودهم بالارض ، وضرب لزكرويه مضرب عظيم وطافوا به وسروا سرورا عظيما ، واجتمع اليه أهل دعوته من أهـــل السواد فعظم جيشه جدا •

وكان اسحاق بن عمران قد كتب الى العباس بن الحسن ــ وزير المكتفي ــ يخبره خبر القرامطة ومهاجمتهم على الكوفة وما كان من خبرهم ، وأثنى على من عنده من الجند وذكر حسن بلائهم ، فلما وصل اليه الكتاب قلق له ، وشاور بعض أصحابه في لقاء الخليفة المكتفي بالله بذلك ، فأشار عليه بتعجيله بذلك ، فقال الوزير: كيف ألقاه بهذا مع ما يحتاج اليه من الاموال ولعهدي به ، وقد ناظرني منذ يومين في دينار واحد ، ذكر أنه فضل بقية نفقة رفعت اليه فقال له صاحبه : أيها الوزيـــر

---

(١) درنه : قيل كانت بابا من أبواب فارس دون الحيرة بمراحل . معجم البلدان .

ان أسعفك والا ففي أموال خدمك وأسبابك فضل فوظفها علينا ، وتنفق فيها، فقال: فرّجت ، والله ـــ عني ، ثم لبس ثيابه وأتى الى المكتفي بالله فدخل عليه في غير وقت الدخول فعرفه الخبر ، فقال له المكتفي : كأنك يا عباس قد قلت : كيف أخبر أمير المؤمنين بمثل هذا وقد ناظرني في دينار فضل نفقة ! فقال : قد كان ذاك يا أمير المؤمنين ، قال : انما جرى ذلك لمثل هذا، فلا تبخل بمال في مثل هذا، وأباحه الاموال والانفاق في الرجال ليلا ونهارا ، فأنفذ الوزير جني الصفواني ومباركا القمي ونحرير العمري ورائقا وطائفة من الغلمان الحجرية وجماعة من القواد في جيش عظيم، فوصل أوائلهم في اليوم السادس من يوم النحر ، فركب اليهم اسحاق بن عمران وذكر لهم قوة من لقي من القرامطة ، وأنه قد مارسهم ، وحذرهم أن يغتروا بهم ، وقال لهم : سيروا الى القادسية فان بينكم وبينها مرحلة ، واذا صرتم بها فأريحوا واستريحوا وتجمعوا ، ثم سيروا اليهم وطاولوهم ونازلوهم فان الظفر يرجى بذلك فيهم عندي، ولا ترموا بأنفسكم عليهم فانهم صبر غير أنكال ، فقال له بشر الافشيني : ان رأيناهم كفيناك القول يا أبا يعقوب ، انما نخشى أن يهربوا ، فدعا لهم بالنصر ورحلوا نحو القادسية ، فباتوا بها ليلة في آخرها الى الصوان ، وبين الموضعين نحو العشرة أميال، ورحلوا بالاثقال والفهود والبزاة ، وهم على غير تعبئة مستخفين بهم ، فأسرعوا ووصلوا وقد تعب ظهرهم وفل نشاطهم وقد عمد القرامطة فضربوا بيوتهم الى جانب جرف عظيم لنهر هناك وأثقالهم مما يلي البيوت ، والرجالة في أيديهم السيوف ، وقتالهم من وجه واحد صفا واحدا قدام البيوت بقدر نصف غلوة، والفرسان جلوس خلف الرجالة ، فلما تراءى الفريقان ركب الفرسان وافترقوا فصاروا جناحين للرجالة، وحملوا على الناس فصدقوهم الحملة فانكفأوا راجعين، وتلاقى الرجالة من الفريقين، فأتت رجالة العسكر على رجالة القرامطة وألجأوهم الى البيوت ، وأقبلت الفرسان فنظروا الى الرجالة ينهبون بيوتهم ، فترجلوا وحملوا خيلهم الامتعة ، وكانت القرامطة في مجنبات الناس لما رأوا من صدق القتال ، فلما رأوا الناس قد حملوا الدواب والجمازات وتشاغلوا حملوا على الجمازات والبغال بالرماح، فأقبلت لا يردها شيء عن الناس تخبطهم ، فانهزم الناس ووضع السيف فيهم ، وقتل الاكثر وتبع الاقل نحو القادسية وفيهم مبارك القمي ، فأقاموا ثلاثا يجمعون السلب والاسرى ،

وجمع زكرويه الآلــة والمتاع والاثاث والجمازات ، فقيل انه أخذ ثلاثمائة جمــل وخمسمائة بغل مما كان للسلطان سوى ما أخذ للقواد ، وقيل انه قتل ألفا وخمسمائة رجل ، فقوي أصحابه جدا ، ودخل الكوفة فلول الجيش عراة .

ورحل زكرويه يريد الحاج وبعث دعاته الى السواد ، فلم يلحق به فيما قيل الا النساء والصبيان ، قال : ولما وقف الخليفة على صورة الامر عظم عليه وعلى الناس ، وخافوا على الحجاج ، فأنفذ المكتفي بالله محمد بن اسحاق بن كنداج لحفظ الحاج وطلب زكرويه ، وضم اليه خلقا عظيما وجماعة من القواد ونحو ألفي رجل من بني شيبان واليمن وغيرهم ، وكان زكرويه قد نزل على عين[1] الهبير ، ثم نزل على أربعة أميال من واقصة ، فوافت القافلة لست أوسبع خلت من المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين ، فأنذرهم أهل المنزل بالقرامطة فلم ينزلوا وطووا ، فنجاهم الله عز وجل ، وكان معهم من أصحاب السلطان الحسن بن موسى وسيماء الابراهيمي ، فلما وافى زكرويه واقصة تعرف الخبر فعرف أنهم قد حذروهم ، فقتل جماعة من أهل المنزل ونهب وأحرق الحشيش وتحصن الباقون منه ، ورحل فلقيته الخراسانية من الحجاج على الارض البسيطة التي تخرج منها حجارة النار ، يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم ، وليس معهم أحد من أصحاب السلطان ، فرشقوا القرامطة بالنشاب وقد أحاطوا بهم فانحازوا عنهم ، ثم تقدم الى الحاج جماعة منهم فسألوهم : هــل فيكم سلطان ، فانا لا نريدكم ؟ فقالوا لهم : لا ، انما نحن قوم حجاج ، فقال لهــم زكرويه : امضوا فرحلوا وأمهلهم حتى ساروا ثم قصدهم ، يبعج الجمال بالرماح حتى كسر بعضها بعضا واختلطت ، ووضع السيف فقتل خلقا عظيما واستولى على الاموال .

وقدم محمد بن اسحاق بن كنداج الكوفة ثم رحل الى القادسية فلما وقف على خبر مسيرهم نحو واقصة أنفذ علان بن كشمرد في خيل جريدة ، حتى لقي فل الخراسانية فأشاروا عليه أن يلحق الحاج فان القافلة الثانية تنزل العقبة الليلة أو من غد ، فحث حتى تسبق اليها فتجتمع أنت ومن فيها على قتال الكفرة ، الله الله في الناس أدركهم ، فرحل راجعا نحو القادسية وقال : لا أغرر برجال السلطان للقتل ، فلقي

(١) من منازل طريق الحاج بين العراق والحجاز . معجم البلدان .

بعد ذلك من المكتفي شرا ، وورد زكرويه العقبة[1] يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم وفي القافلة مبارك القمي وأحمد بن نصر الديلمي وأحمد بن علي الهمذاني ، وقد كانت كتب المكتفي اتصلت الى أمراء القافلة الثانية مع رسله ،يأمرهم أن يتجنبوا الطريق ويرجعوا الى المدينة ، ويأخذوا على طريق البصرة أو غيرها فلم يفعلوا ذلك ، ولما التقوا اقتتلوا قتالا شديدا فكانت الغلبة لأصحاب السلطان حتى لم يشكوا في ذلك ، ثم خرج اللعين زكرويه الى آخر القافلة وقد رأى خللا هناك ، فعمل في الجمال كما عمل في جمال الخراسانية ، وقتل سائر الناس الا يسيرا استعبدهم أو شريدا ، ثم أنفذ خيلا فاحقت من أفلت من أوائل القوم حتى ردوهم اليه ، فقتلهم وأخذ النساء وجميع ما في القافلة، وقتل مباركا القمي ومظفرا ابنه وأسر أبا العشائر[2] ، فقطع يديه ورجليه وضرب عنقه ، وأطلق من النساء ما لا حاجة له فيها ، ووقع بعض الجرحى بين القتلى حتى تخلصوا ليلا ، ومات كثير من الناس جوعا وعطشا ، وورد من قدم من الناس يخبرون أن نساء القرامطة كن يطفن بين القتلى فيقلن : عزيز علينا، من يرد ماء نسقيه، فان كلمهن جريح مطروح أجهزن عليه •

قال : ويقال أن جميع القتلى كانوا نحوا من عشرين ألفا ، وأخذ من الاموال ما لا يحصى كثرة •

قال : ولما اتصل خبر القافلتين بمدينة السلام جاء الناس من ذلك ما شغلهم ، وتقدم السلطان باخراج المال وإزاحة العلل ، وأخرج العباس بن الحسن ومحمد بن داود الجراح الكاتب المتولي دواوين الخراج والضياع بالمسير الى الكوفة لانفاذ الجيش منها ، وحمل معه أموالا عظيمة ، وقال : كلما قرب نفاذ ما معك كاتبني لأمدك بالاموال ، وخرج اليها يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم، وقدم خزانة سلاح جعلها بالكوفة فما زالت بقاياها هناك الى أن أخذها الهجري •

قال : ثم رحل زكرويه يريد القافلة الثالثة فلم يدع ماء في طريقه الا طرح فيه جيف الموتى ، ونزل زبالة فقتل من بها من التجار ، ونهب الحصن وبث الطلائع من لحوق عسكر السلطان به ، فلما أبطأت القافلة عليه فنزل الشقوق ثم نزل في رمل

---

(1) عقبة فيد على منتصف طريق الحاج من الكوفة الى مكة . معجم البلدان .
(2) الحمداني .

يقال له الهبير والطليح ، وأقام ينتظر القافلة وفيها من القواد نفيس المولدي ، وعلى ماقتها صالح الاسود ومعه الشمسة[1] ، وكان المعتضد جعل فيها جوهرا نفيسا ومعه الخزانة ، وكان في القافلة من الوجوه ابراهيم بن أبي الاشعث ، ومعه كاتبه المنذر بن ابراهيم وميمون بن ابراهيم الكاتب وكان إليه ديوان الخراج ، والفرات بن أحمد بن محمد بن الفرات ، والحسن بن اسماعيل قرابة العباس بن الحسن ، وعلي بن العباس النهيكي وغيرهم من الرؤساء ، وخلق من مياسير التجار وفيها من المتاجر والرقيق ما يخرج عن الوصف ، وفيها جماعة من الاشراف منهم أبو عبد الله أحمد بن موسى ابن جعفر وجماعة من أهله ، فأصاب بعضهم جراحات وأسر بقيتهم ، فعرفهم بعض المولدين من وجوه عسكره فأخبره بهم ، فخلى لأبي عبد الله أحمد بن موسى وأهله الطريق ، ومكنهم من جمال تحملوا عليها، وكان أحمد بن موسى أحد من دخل بغداد وخبر السلطان بأمرهم وجلالة حالهم .

وأقاموا بفيد وقد اتصل بهم أنهم ينتظرون مددا من السلطان ففعل ابن كشمرد ما فعل من رجوعه الى القادسية ولم ينجدهم ، فلما طال مقامهم نفذ ما في المنزل وغلا السعر جدا ، وجلوا عن الاجفر والخزيمة ثم الثعلبية ثم الهبير ، فلم يستتم نزولهم حتى ناهضهم زكرويه فقاتلهم يومهم كله ، ثم باتوا على السواء ، ثم باكرهم فقاتلهم فبينما هم كذلك اذ أقبلت قافلة العمرة ، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج اذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة واحدة وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس وقاتلوهم يومهم ، ونفذ الماء وعطشوا ولا ماء لهم هناك ، وباتوا وزكرويه مستظهر عليهم ، ثم عاودوهم القتال حتى ملك القافلة ، فقتل الناس وأخذ ما فيها من حريم ومال وغير ذلك ، وأفلت ناس قليل قتل أكثرهم العطش ، ثم سار مصعدا نحو فيد فتحصن منه أهلها ، فطاولهم فصبروا عليه ونزل منهم ثمانية عشر رجلا بالحبال من رأس الحصن، فقاتلوا رجالتهم قتالا شديدا وقد أسندوا ظهورهم بسور الحصن، ورمى أهل الحصن بالحجارة .

قال : سمعت داود بن عتاب الفيدي ــ وكان نبيلا صدوقا ــ قال : نزلنا اليهم نحو أربعين رجلا متزرين بالسراويلات ، وقد كان لحقهم ــ لا أدري ــ عطش قال

---

(١) كانت توضع فوق الحجر الاسود فوق باب الكعبة .

أو جوع ، قال : فطردناهم فمالوا الى حصن يقرب منا، قد كان بيننا وبين أهله عداوة قديمة ، فأخذوا منهم الامان ونزلوا ليفتحوا لهم ، فقال بعضنا لبعض : ان ظفروا به أخذوا منه ما يحتاجون اليه ، وعادوا اليكم ، قال : فطرحنا أنفسنا عليهم وأحس بذلك أهل الحصن فقويت قلوبهم ، وخرجوا فكشفناهم ، وتبعهم جماعة منا فسلبوا منهم جمالا ، وكان ذلك سبب صلاحنا مع أصحاب الحصن •

قال الشريف : ولم يبق دار بالكوفة وبغداد والعراق الا وفيها مصيبة وعبرة سائلة وضجيج وعويل ، حتى قيل ان المكتفي اعتزل النساء هما وغما •

قال : وخفي أمر زكرويه ، لا يعلم أين توجه ، وقد كان أخذ ناحية مطلع الشمس ، فتقدم المكتفي يتتبع أحواله وإشحان البلدان ــ التي يخاف مصيره اليها ــ بالرجال ، وأنفذ وصيف بن صوار تكين ولجيم بن الهيصم والقاسم بن سيماء في جيش عظيم بالميرة والزاد والمال والجمال ، لاستقبال الناس وازاحة عللهم ، وتقدم يطلب زكرويه حيث كان، الى أن وردت كتب أهل فيد بخبره، فكوتب عند ذلك [محمد بن] اسحاق بن كنداج بأن يلزم القادسية ونواحي الكوفة بجيشه ، وكوتب لجيم بالمسير الى خَفّان ومعارضة زكرويه حيث كان،وأن ينفذ الطلائع والاعراب ويرغبوا في تتبع حاله حتى يعوف ، فجاءت الاخبار بما غلب على ظنهم ، أنه لم يخط ناحية البصرة وأنه يقصد الاجتماع مع أبي سعيد الجنابي وهو المقدم ذكره ، فاجتمع القواد وتشاوروا واستقبلوا طريقا يقال له الطريق الشامي ، ويقال له طريق الطف وهو بين الكوفة والبصرة ، وعملوا على المقام هناك ليكونوا بين الكوفة وواسط والبصرة ، فساروا مستدبري القبلة مستقبلي البصرة يرتحلون من ماء الى آخر ، حتى نزلوا يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائتين ركيا فيه ماء بقرية خراب يقال لها صماخ ، كان يسكنها على قديم الدهر قوم من ربيعة يقال لهم بنو عنزة ، وبين هــذا الموضع وبين البصرة ثلاثة أيام ، فلقيهم قوم مــن الاعراب فخبروهم أن القرامطة بالثني ، وهو موضع من ذي قار الذي كانت فيه وقعة العرب مع العجم في أيام كسرى ، وهو واد كثير الماء العذب وبينه وبين صماخ عشرة أميال ، فبات الجيش بصماخ وتراءت الطلائع في عشي يومئذ ، ورحل زكرويه من غد وهو طامع بالظفر ، فالتقوا بقرية خراب يقال لها ارم ، بينها وبين الثني ثلاثة أميال ، وذلك

يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الاول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان جميعا ، ثم انهزم زكرويه فقتل الجيش أكثر من معه ، وأسر خلق كثير منهم وأفلت صعاليك من العرب على الخيل مجردين ، ووصل الى زكرويه ــ وهو في القبة ــ في أوائل السواد ، فظنوا أنه في الخيل التي انهزمت ، فقذف رجل بنار فوقعت في قبته فخرج من ظهرها فألقى نفسه من مؤخرها ولحقه بعض الرجالة ــ وهو لايعرفه ــ فضربه على رأسه ضربة أثخنته ، فسقط الى الارض فأدركه صاحب للجيم كان يعرفه فأخذه وصار به اليه ، فأخذه لجيم وأركب الذي جاءه به نجيبا فارها ، وقال له : طر ــ أن أمكنك ــ حتى تأتي بغداد ، وعرف العباس بن الحسن الوزير أنك رسولي اليه ، واشرح له ماشاهدت وسلم اليه الخاتم، فسار حتى دخل بغداد وأعلمه بالخبر .

قال : ومضى لجيم الى وصيف والقاسم بن سيماء فعرفهما خبر زكرويه ، واجتمعوا جميعا وكتبوا كتاب الفتح ، ونهب الجيش عسكر القرامطة وأخذت زوج زكرويه واسمها مؤمنة وأخذ خليفته وجماعة من خاصته وأقربائه وكاتبه ، وانصرف العسكر نحو الكوفة فمات زكرويه بخفان من جراحات أصابته ، فصبر وكفن وحمل على جمل الى بغداد ، وأدخلت جثته وزوجته وحرم أصحابه وأولادهم والاسرى ورؤوس من قتل بين يديه وخلفه ونساؤه في الجوالقات[1] .

قال ابن الاثير[2] : وانهزم جماعة من أصحابه الى الشام ، فأوقع بهم أصحاب الحسين بن حمدان فقتلوا عن آخرهم ، وأخذ الاعراب رجلين من أصحاب زكرويه يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم وهو أخو امرأة زكرويه ، كانا قد توجها اليهم يدعوانهم الى الخروج الى صاحبهم ، فسيروهما الى بغداد ، وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق فقتل بعضهم وحبس بعضهم ، وبادت هذه الطائفة منهم بالعراق مدة .

ذكر اخبار من ظهر من القرامطة بعد مقتل زكرويه بن مهرويه

قال الشريف أبو الحسين : ولما قتل زكرويه سكن أمر القرامطة وانقطعت حركاتهم وذكر دعوتهم ، فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من

(١) أي الاوعية ــ القاموس .
(٢) الكامل : ١١٣/٦ .

السواد من الزط يعرف بأبي حاتم ، فقصد أصحاب البوراني خاصة ، وكان هـذا البوراني داعياً وأصحابه يعرفون بالبورانية ، فلما ظهر أبو حاتم حـرم عليهم الثوم والكراث والفجل ، وحرم عليهم اراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم بأشياء لا يقبلها الا الاحمق السخيف من ترك الشرائع ، وهذه الطائفة من القرامطة تعرف بالبقليـة .

وأقام أبو حاتم هذا نحو سنة ثم زال ، ثم اختلفوا بعده وكانوا أهل قرى بسواد الكوفة ، فقالت طائفة منهم زكرويه بن مهرويه حي ، وانما شبه على الناس به، وقالت فرقة منهم الحجة لله محمد بن اسماعيل .

ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له :

محمـد بن قطبـة

فاجتمع له نحو من مائة رجل ، فمضى بهم الى نحو الجامدة من واسط ، فنهب وأفسد فخرج اليهم أمير الناحية فقتلهم وأسرهم .

ذكـر اخبـار
ابي طاهر سليمان بن ابي سعيد الحسن بن بهـرام الجنابـي

قد قدمنا أخبار أبيه أبي سعيد وحروبه وما استولى عليه ، وذكرنا خبر مقتله وولاية ابنه سعيد ، وأنه سلم الامر الى أخيه أبي طاهر سليمان ، هذا في سنة خمس وثلاثمائة ، وقد قيل بل عجز سعيد عن الامر فغلبه عليه أخوه أبو طاهر سليمان . قال : وكان شهما شجاعا ، وكان الخليفة المقتدر بالله قد كتب الى أبي سعيد كتابا لينا في معنى من عنده من أسرى المسلمين ، وناظره وأقام الدليل على فساد مذهبه ، فلما وصلت الرسل الى البصرة بلغهم موته ، فكتبوا بذلك الى الخليفة فأمرهم بالمسير الى ابنه ، فأتوا أبا طاهر بالكتاب فأكرم الرسل وأطلق الاسرى وأجاب عن الكتاب، ثم تحرك أبو طاهر بعد ذلك في سنة عشر وثلاثمائة ، وعمل على أخذ البصرة فعمل

---

(١) الزرفين حلقة الباب ، وفي الحديث : كانت درع رسول الله ﷺ ذات زرافين ، اذا علقت بزرافينها سترت . اللسان .

سلاليم عراضا ، يصعد على كل مرقاة اثنان بزارفين ــ اذا احتيج الى نصبها وتخلع اذا أريد حملها ، ورحل بهذه السلالم المزرئنة يريد البصرة • فلما قرب منها أمهل الى أن جن الليل ، وأمر باخراج الاسنة وقد كانت وضعت في رمل كيلا تصدأ فركبت على الرماح ، وفرق الجنن[1] على أصحابه ، وحشيت الغرائر بالرمل وحملت على الجمال وحملت أشياء من حديد قد أعدت لما يحتاج اليه، ثم سار بأصحابه الى السور قبل الفجر ، فوضعوا السلالم وصعد عليها قوم من جلداء أصحابه ، وتقدم اليهم بقتل من يتكلم من الموكلين بالابواب ، ودفع للآخرين ما أعده لكسر الاقفال ، وقد كان التواني وقع في أرزاق الموكلين على الابواب ، فتفرقوا للمعاش الا بقية من المشايخ القدماء فان أرزاقهم كانت جارية عليهم ، فصادفوا بعضهم هناك تلك الليلة فتسوروا ونزلوا ووضعوا السيف عليهم ، وجاء الآخرون فكسروا الاقفال ودخل القرامطة ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول معهم في الابواب نحو ذراع ، ليمنعوا غلقها الا بتعب ، وساروا ونذر بهم قوم فبادروا سبكا المفلحي وهو يومئذ الامير فأعلموه ، فركب وقد طلع الفجر ومعه بعض غلمانه فتلقوه وقتلوه ، وفزع الناس وركبت الخيل فقتل من تسرع منهم، وكانت العامة قد منعها السلطان أن تحمل سلاحا ، فاجتمعوا بغير سلاح ومعهم الآجر ، وحضر سبك واجتمعت الجند ووقعت الحرب ، فأصابت القرامطة جراحات والقتل في العامة كثير ، واستمر ذلك الى آخر النهار واختلاط الظلام ، ثم خرج القرامطة وقد قتلوا من الناس مقتلة عظيمة الى خارج البلد فباتوا خارج الدرب ، وخرج الناس بعيالاتهم فركبوا السفن ، وباكر أبو طاهر البلد فنزل دار عبد السلام الهاشمي ، وتفرق أصحابه في البلد يقتلون من وجدوا وينهبون ما يجدون في المنازل ، ويحمل ذلك الى موضع قد أمر بجمعه فيه •

وحكى ابن الاثير في تاريخه الكامل[2] : أن دخولهم البصرة كان في شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وأنه وصل اليها في ألف وسبعمائة رجل ، وأقام بها سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من الاموال والامتعة والنساء والصبيان ، وعاد الى بلده •

---

(١) الجنان والجنانة بالضم : الترس (اقرب الموارد) .

(٢) الكامل : ١٧٥/٦ .

قال الشريف : وتراجع الناس فاشتغلوا بدفن من قتل ، ولم يرد كثير منهم حريمه خوفا من عود القرامطة ، قال : ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالسلطان أنفذ ابن نفَيْس[1] في عدة وعُدة فسكن الناس ، وولى البلد فشحن السور بالرجالة ، وتحرز الناس وأعدوا السلاح .

قال : وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قلد أعمال الكوفة وقصر ابن هبيرة والسواد وطريق مكة ، فجرى بينه وبين البوراني وقائع عظيمة حتى ردهم عن عمله بشجاعته واقدامه ، فعمرت البلاد وأمن الناس وصلحت الطرق واستقام عز السلطان ، فوقف القرمطي من ذلك على ما هاله ، وكانت جواسيس أبي طاهر لا تنقطع عن العراق في صور مختلفة ، واتصل به أن أبا الهيجاء يهون أمره ويتمنى أن ينتدب لحربه ، فخاف ذلك ولم يأمنه .

ذكر اخذ ابي طاهر الحاج وأسره ابن حمدان وما كان من امره في اطلاقه

كانت هذه الحادثة في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة ،وذلك أن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي القرمطي أنفذ رجلا من جواسيسه الى مكة في سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقد خرجت قوافل الحاج مع أبي الهيجاء بن حمدان في تلك السنة ، فكان الجاسوس يقوم على المحجة فيقول : يا معشر الناس ادعوا على القرمطي عدو الله وعدو الاسلام، ويسأل عن أمير الحاج وفي كم هو وكم أرزاقهم ، ويسأل عمن خرج من التجار وما معهم من الاموال ، فكان ذلك دأبه حتى قضى الحج ، ثم خرج في أول النفر فأسرع الى سواد باهلة ، ثم الى اليمامة وصار الى الاحساء في أيام يسيرة ، فأخبر سليمان القرمطي بصورة الامر ، فوجه سليمان من يثل[2] الآبار بينه وبين لُبْنَه[3] وبعض آبار لبنه ويسوي حياضها ، وورد بعض الاعراب الى أبي الهيجاء ــ وهو بعيد ينتظر رجوع الحاج وذلك في آخر ذي الحجة من السنة ــ فأخبره أن آبار لبنه

---

(١) هو بني بن نفيس .

(٢) ثل البئر : اخرج ترابها (اقرب الموارد) .

(٣) واد لعمر بن كلاب كثير النخل وليس لبني كلاب بشيء من بلادها نخل غيره . معجم البلدان .

قد ثلث فاستراب بذلك ، وجاء بعض الاعراب بجِلّة[1] فيها قطعة من تمر هجر فتيقن أمر القرامطة ، فشغل ذلك قلبه ، وجاءه ما لم يقدره ولا ظنه ، فاضطرب من ذلك اضطرابا شديدا ، وورد حاتم الخراساني بقافلة الحاج من مكة ثاني ذلك اليوم ، ومعه قافلة عظيمة ، فزاد ذلك في شغل قلب أبي الهيجاء لخوفه عليه ، ولم يظهر ذلك لحاتم ولا لغيره ثم ارتحل فلم يعترض عليه ، فلما صار حاتم بالثعلبية أنهى اليه شيء من أخبار القرامطة وأنهم بلبنه .

وكان القرمطي رحل من بلده في ستمائة فارس وألف راجل، وسار حاتم فاجتاز بالهبير ليلا فلم ينزله ، وسار حتى نزل الشقوق ، وأغذ السير وسلمه الله ومن معه ، ونزلت بفيد قافلة أخرى من غد رحيل حاتم من الخراسانية ، ثم ساروا عنها حتى اذا كانوا بالهبير ظهر لهم أبو طاهر سليمان القرمطي ، فقتل بعضهم وأفلت البعض حتى وردوا الكوفة ، فاشتد خوف الناس بالكوفة على الحاج واضطربوا ، الا أن نفوسهم قوية بمقام أبي الهيجاء بفيد ، وكان أبو الهيجاء قد أنفذ رجلا طائيا يعرف له أخبار القرامطة ، يقال له مسبع بن العيدروس من بني سِنْبس — وكان خبيراً بالبر ،وتقدم اليه أن يسرع اليه بالخبر ويعدل عن الطريق ، ومعه جماعة قد أزاح عللهم في الرزق والمحمل ، فساروا حتى قربوا من لبنه فنزل اليهم فارسان ، فركبوا خيولهم وتلقوهما فتطاردوا ، وقصرا في الركض وهبطا واديا خلفهما وخرجا منه ، ولحقتهم الخيل فساروا على أرض جدب ، فدفع عليهم نحو من سبعين فارسا ، فلم ينثه حتى طعنت فيهم وضربت ، فرجع القوم على خيل مطرودة وخيول القرامطة مستريحة ، فبالغوا في دفعهم بكل جهد فلم تك الا ساعة حتى قتلوا جميعا ، وأسروا مسبعا دليل القوم فحملوه الى لبنه، فسأله القرمطي وقال : ان صدقتني أطلقتك، فلما أخبره أمر بحفظه، قال : ولم يمض لأبي الهيجاء يومان بعد ارسال الطليعة حتى وردت قوافل الحاج وأصحاب السلطان معها ، وفيها من الوجوه أحمد بن بدر ، عم السيدة أم المقتدر بالله ، وشفيع الخادم ، وفلفل الاسود صاحب خزانة السلطان ، واسحاق بن عبدالملك الهاشمي صاحب الموسم وغيرهم ، فأعلمهم أبو الهيجاء الخبر فأجالوا الرأي ، فقال لهم : قد أنفذت رجالا أثق بهم طليعة ، وأخذت عليهم ألا يرجعوا حتى يشربوا من

---

(١) الجلة بالضم قفة كبيرة للتمر (أقرب الموارد) .

لبنه والصواب التوقف عن الرحيل لننظر ما يأتون به ، فعملوا على ذلك وأقاموا بفيد ستة أيام ، وتزلت القافلة الوسطى فيد وكثر الناس وغلت الاسعار ، ولم يقدروا على حشيش للعلف ولا خبز ، فضج الناس وأجمعوا على الرحيل فرحلوا عن فيد يوم الاحد ، وخلف أبو الهيجاء ابن أخيه علي بن الحسين بن حمدان بفيد ، في خيل ينتظرون الحاج الذي مع قافلة الشمسة ، قال : وكان الحاج قبل ذلك يسيرون قافلة بعد قافلة لكثرتهم ، ومن أراد أن يسير بعد الحاج سار ، ومن أراد أن يتخلف ليعتمر في الحرم تخلف،وكان الامر يحملهم على ذلك فيسيرون قافلة بعد قافلة،قال: ثم وردت قافلة الشمسة فيد، فجاءهم بعض التجار بخبر ما اتصل بأبي الهيجاء، وكان في القافلة أبو عيسى صالح بن علي الهاشمي ، وجماعة من العباسيين ، وأبو محمد بن الحسن ابن الحسين العلوي وعمر بن يحيى العلوي وغيرهما من الطالبيين وتجار الكوفة ، فتجلت حقيقة الاخبار من أمر القرامطة ، فاجتمعوا في مضرب أبو عيسى وتشاوروا ، فاجتمع رأيهم على المقام بفيد الى أن ترتحل القافلة ، ثم ينظروا لانفسهم في عرب يخرجون معهم الى الكوفة ، فأقام الناس بفيد يومهم ثم رحلوا بكرة ، فلما جاوزوا المنزل افتقد علي بن الحسين بن حمدان من تخلف من القافلة ، فسأل عنهم فأخبر بتخلفهم فرجع الى فيد ومعه بعض أصحابه فاجتمع بهم ، وسألهم عن تخلفهم فقالوا بأجمعهم لا نحب سلوك هذه الطرق ، ودافعوا عن الاخبار بسبب تخلفهم ، وقالوا له : أنت وعمك بريان منا ، قال : اكتبوا إلي خطوطكم بذلك ، ففعلوا ، وانصرف فسار بالناس فلما وصل الى عمه أبي الهيجاء عرفه ذلك ، فلامه عليه وقال : وددت أن جميع من ترى كان معهم ، قال : ولما سارت القافلة مع علي بن الحسين بن حمدان أحضر هؤلاء الذين تخلفوا بفيد ابن نزار وابن توبة تاجرين من أهلها ، فعرفوهم حاجتهم الى من يسلك بهم الى الكوفة على غير طريق الحاج ، فجمعوا لهم جماعة من سنبس وتوصلوا بهم الى بني زبيد من الطائيين ، ثم أخذوا ينزلون على العرب يقاتلون من قاتلهم ، ويصلون من استرفدهم ويبرون ويخلعون ، فسلمهم الله حتى وردوا الكوفة ، وذلك بعد شدائد عظيمة وقتال في مواضع ، ولم يسلم من الحاج غيرهم والقافلة الاولى التي كانت مع حاتم .

قال : ولما وصل علي بن الحسين بن حمدان الى عمه أبي الهيجاء اجتمعت القوافل ، وكثر الناس ، وتجلى لهم خبر القرامطة وصح ، فسار أبو الهيجاء بالناس

الى الخزيمية ثم الى الثعلبية ، ثم ساروا يريدون البطان[1] ، واجتمع الناس من أصحاب السلطان والرؤساء فتشاوروا، فلم يدع الامير أبو الهيجاء الاستغاثة بالقوم يقول : ارجعوا ودعوني ألقى القرامطة في أصحابي ، فان أصبت فمعكم من تسيرون معه ، والا فامضوا الى وادي القرى والمدينة أو غير ذلك ، وان ظفرت وجهت اليكم فعدتم وقد زال المحذور ، ولم يزل يردد عليهم هذا القول من الاجفر الى الثعلبية ، فمنهم من أجاب ومنهم من أبى ذلك وقال : لا نفترق ، وكان أحمد بن بدر عم السيدة أبى ذلك وصمم على الملازمة،فعمل ابن حمدان بما أرادوه دون رأيه، وبات الناس على أميال بقيت من البطان والاحمال على ظهور الجمال ، وذلك ليلة الاحد لايام خلت من صفر ، فلما أضاء لهم الفجر ارتحلوا ، وقدم أبو الهيجاء ستمائة راجل من الاولياء ، كان السلطان أبعدهم لكثرة شغبهم ببغداد فكانوا بين يدي القوافل ، وقارب بين القطر ودخل بعض الناس في بعض ، وتقدم نزار بن محمد الضبي فكان في أول القافلة في أصحابه خلف الرجالة ، وسار أبو الهيجاء في التغالبة والعجم في ميمنة القافلة ، وألزم الساقة وميسرة القافلة جماعة من الاولياء مع بعض الامراء ، واحتاط بكل ما أمكن .

سار فلما أضحى النهار أقبلت عليهم خيل القرامطة ، والقافلة في نهاية العظم جدا ، فكان أول من لقيهم رجالة أبي الهيجاء ، فحملت القرامطة عليهم فخالطوهم فقتلوا جميعا الا نحوا من عشرين رجلا ، وحمل نزار في جيشه فضارب بعض خيل القرامطة بالسيوف ساعة ، فلحقته ضربة فهوى الى الارض واعتنق فرسه ، ومضى نحو المشرق وتبعه بقية أصحابه ، فاستقاموا حتى وصلوا الى زبالة وساروا الى الكوفة ، فلما سمع الامير أبو الهيجاء الصوت وعرف الخبر وكان في آخر القافلة أسرع في خيله نحو أول القافلة ، فوجد الامر قد فاته بقتل من كان أمامها ، وقويت القرامطة على حربه ووجد الحاج قد أخذوا يمنة ويسرة ، فحمل على القرامطة فاستقبلوه فقتل جماعة من أهل بيته صبروا معه ، وانهزم وضرب على رأسه ضربة لم تضره الا أنه قد نزف منها ، وأخذ أسيرا ونزل أبو طاهر القرمطي على غلوتين من القافلة ، ورجالته نحو من ستمائة على المطي فأنفذهم وفرسانا من فرسانه فأحاطوا

(1) منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية ــ معجم البلدان .

بالقافلة ، ومنعوا الناس من الهرب ، وكان قد هرب خلق منهم في وقت القتال ، فتلف كثير منهم في الطريق عطشا وأخذ بعضهم الاعراب فسلبوهم ، وسلم قوم منهم الى زبالة وساروا الى الكوفة ، وأتي بأبي الهيجاء الى سليمان فلما نظر اليه تضاحك ، وقال : قد جئناك جيد الله ولم تكلفك قصدنا ، فتلطف له أبو الهيجاء بفضل عقله ودهائه وسعة حيلته وقوة نفسه ، وألان له القول حتى أنس به ، فاستأمنه على نفسه فأمنه فخلص بذلك ناسا كثيرا ، وعمل في سلامة كثير من الحاج عملا كثيرا .

ثم أمر القرمطي بتمييز الحاج واخراجهم من القوافل ، وعزل الجمالين والصناع ناحية فظنوا أنه انما أخرجهم للقتل فارتاعوا لذلك ، وكانوا قد عطشوا عطشا شديدا ، فلما جنهم الليل ضجر الموكلون منهم ، فأخذوا ما معهم وخلوهم ، فورد من ورد منهم الكوفة بشر حال متورمي الاقدام في صور الموتى ، ورحل أبو طاهر من الغد بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحوا من عشرين ألف دينار من الاموال التي لا تحصى كثرة ، وقدم كثير من الناس بخبر أبي الهيجاء ، وأنه راكب مع القرامطة يدور معهم ويسأل في خلاص أسرى كانوا معه ، منهم أحمد بن بدر عم السيدة وفلفل الاسود وأحمد بن كشمرد ونحرير الخادم صاحب الشمسة وبدر الطائي وأخوه وغيرهم .

قال : وزادت غلبة أبي طاهر لاصحابه فتنة ، وعظموا أمره وسلب عقولهم حتى قالوا فيه أقوالا مختلفة بحسب جهلهم .

قال : ولما مضى لأبي الهيجاء شهور وهو عندهم أخذ يحتال في الخلاص ، فمرة يعرض به ومرة يفصح به حتى أنس القرمطي بذلك وأجابه اليه، فسأله في ابن كشمرد وقال : هو ضعيف لكبره وعلته ، وهذا الخادم الاسود ممن لا يضر السلطان فقده ولا ينفعه اطلاقه ، وكلمه في أحمد بن بدر فامتنع عليه ، فضمن له عشرين ألف دينار وبزاة وفهودا وعبدانا وثيابا ، فاستحلفه وضمنه ، وتخلص منه ناس كثير من الحاج ، وأطلقه ، وصار الى بغداد فتباشر الناس بذلك وابتهجوا به .

ذكر دخول ابي طاهر القرمطي الكوفة ورجوعه

كان أبو طاهر قد كتب الى الخليفة المقتدر بالله ــ بعد اطلاق أبي الهيجاء بن حمدان ــ يطلب منه البصرة والاهواز ، فلم يجبه الى ذلك ، فسار من هجر في سنة

اثنتي عشرة وثلاثمائة يريد الحاج عند توجههم الى الحجاز ، وكان جعفر بن ورقاء الشيباني يتقلد أعمال الكوفة وطريق مكة،فسار مع الحاج خوفا عليهم من أبي طاهر، ومعه ألف رجل من بني شيبان ، وسار مع الحجاج من أصحاب السلطان ثمل صاحب البحر وغيره في ستة آلاف رجل ، فلقي أبو طاهر الجيش فانهزموا منــه ، وردّت القافلة الاولى هم وعسكر الخليفة بعد أن انحدروا من العقبة ، وتبعهم أبو طاهــر الى باب الكوفة وبها يومئذ جنى الصفواني ، كان الخليفة قد أنفذه في جيش عظيم الى الكوفة ، وبها أيضا ثمل في جيش عظيم .

وأقبل أبو طاهر حتى نزل بظاهر الكوفة في يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة ، وأقبل جني الى خندق الكوفة في عشية هذا اليوم ، وأهل البلد والعامة منتشرون على الخندق ، وجعفر بن ورقاء في بني شيبان نازل على القنطرة التي على الخندق مما يلي دور بني العباس ، وثمل على القنطرة التي تليها ، وجني مما يلي ذلك من ناحية يمنة الكوفة ، فناوشه الناس ، وخرج أبو محمد الحسن بن يحيى بن عمر العلوي فطارد بعض فرسانه ، وانكفأ أبو طاهر راجعا ، وبات الناس على تلك الحال وقد قوي الطمع فيه ، فلما كان الليل ورد كتاب السلطان يخاطب أبا محمد بن ورقاء في تدبير الجيش ، فعمل على لقاء جني الخادم ليعرفه ذلك ، فأشير عليه ألا يفعل فأبى ذلك ، ثم ركب يعرف جنيا ما كتب به اليه ، فأنف جني أن يكون تابعا وأسر ذلك في نفسه ، وباكرهم القرمطي بالقتال بعد أن أضحى النهار، فدخلت الرجالة وراء الفرسان بجيش خرس عن الكلام صمت وحركات خفيــة ، والبارقة فيهم ظاهرة في ضوء الشمس ، وهم يزفون عسكرهم زفا ، حتى اذا وصلوا الى عسكر السلطان مالوا على جيش ابن ورقاء وهو في مسيرة الناس ، فما تمهل بنو شيبان حتى انهزموا راجعين ، فعبروا القنطرة التي على الخندق الى جانب الكوفة وتبعوهم ، فصاروا من وراء جني وثمل فوضعوا السيف في الناس ، وجني جالس قبل ذلك على كرسي حديد يبين أنه لا يقاتل وكأنه يريد قتاله بعد الناس فأسروه ، وقاتله ثمل وقاومه وهو منهزم على محامله ومدافعة ، الى أن تخلص وسلم جعفر بن ورقاء وكثير من أصحابه، وقتل كثير من العامة وغيرهم في الطرقات، ووصل أبوطاهر الى البلد فرفع السيف ونهب منازل الناس ، وأقام بالكوفة ستة أيام بظاهرها يدخل

البلد نهارا ويقيم بجامعها الى الليل ، ثم يخرج فيبيت بعسكره ، وحمل منها ما قدر على حمله ، ودخل المنهزمون بغداد ولم يحجوا في هذه السنة ، وخاف أهل بغداد وانتقل الناس الى الجانب الشرقي •

قال : ورحل أبو طاهر عن الكوفة في يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة ، وقتل يوم دخوله أبو موسى العباسي صاحب صلاة الكوفة ورحل مؤنس المظفر من بغداد بجيش السلطان عند اتصال الاخبار ببغداد ، فسار منها حتى دخل الكوفة ، فكان وصوله اليها بعد رحيل القرامطة عنها ، فأقام بها ثلاثة أيام ثم رحل عنها ، ثم عاد القرمطي في سنة خمس عشرة •

ذكر دخول أبي طاهر القرمطي الى العراق وقتل يوسف بن أبي الساج

قال : وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة سار أبو طاهر من هجر الى الكوفة ، وكان المقتدر بالله قد استعمل يوسف بن أبي الساج على حرب القرامطة ، فاستصعب ابن أبي الساج المسير الى بلد القرامطة ، وثقل مسيره في أرض قفر لكثرة من معه من العساكر ، فاحتال على أبي طاهر وكتب اليه واطمعه في بغداد ، وأظهر له المواطأة والتزم بمعاضدته فغره بذلك ، حتى رحل بعيال وحشم واتباع وصبية ، وجيشه على أقوى عدة تمكنه ، وأقبل يريد الكوفة وعميت أخباره عن أهلها ، انما هي أراجيف ، ورحل يوسف بن أبي الساج بجيشه من واسط يريد الكوفة ، فسبقه أبو طاهر اليها ودخلها في يوم الخميس لسبع خلون من شوال من هذه السنة ، وأخذ ما يحتاج اليه ونزل عسكره خارج الكوفة ما بين الحيرة الى ناحية الخورنق، وأقبلت جيوش ابن أبي الساج تسيل من كل وجه على غير تعبئة ، وأقبل هو في جيشه ورجاله حتى نزل في غربي الفرات ، وعقد عليه جسرا محاذيا لأبي طاهر ، وعبر اليه مستهينا بأمره مستحقرا له لا يرى أنه يقوم به ، وذلك في يوم الجمعة ، فأرسل الى أبي طاهر يدعوه الى طاعة الخليفة المقتدر بالله أو الحرب في يوم الاحد ، فقال : لا طاعة الا لله والحرب غدا ، فلما كان يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة خمس عشرة التقوا واقتتلوا قتالا شديدا عامة النهار ، وكثير من عسكر ابن أبي الساج لم يستتم نزوله، وهو جيش يضيق عنه موضعه ولا يملك تدبيره ،وقد تفرق عنه عسكره تفرقاً منتشراً

في فراسخ كثيرة ، وركبوا من نهب القرى وأذى الناس واظهار الفجور ما تمنى كثير من الناس هلاكهم •

قال الشريف أبو الحسين : ولما لقيه بظهر الكوفة ما بـين الحيرة والخورنق والنهرين من الفرات اتفق له تلول وأنهار وموضع يضيق عن جيشه ولا يتمكن معه الاشراف عليه ، فقدم بين يديه رجالة بالرماح والتراس مع قائد يعرف بابن الزرنجي، فأقبل القرمطي نحوه في أربعة آلاف فقاومته الرجالة طويلا ، ثم دخلتها الخيـل وتعطفت عليها واضطرب الناس ، فوضع فيهم السيف •

قال الشريف : وأخبرني بعض الجند قال : كنت والله قبل الهزيمة أريد أن أضرب دابتي بالسوط فلا يمكنني ذلك لضيق الموضع ، ووصل كثير من عسكر القرمطي الى ابن أبي الساج في مصافه على أتم عدة ، فلما التقوا اقتتلوا كأعظم قتال شوهد ، وكثرت القتلى والجراح في القرامطة جدا ، وقتل رجالة ابن أبي الساج ، وخلص اليـه فانهزم الناس وقتلوا قتلا ذريعاً ، حتى صاروا في بساط واحد نحـو فرسخين أو أرجح ، فلما كان عند غروب الشمس انهزم أصحاب ابن الساج بعد صبر عظيم ، وأسر هو وجماعة كثيرة من أصحابه ، وذلك في وقت المغرب من يوم السبت، فوكل به أبو طاهر طبيبا يعالج جراحه،واحتوى القرامطة على عسكر ابن أبي الساج، ولم تكن فيهم قوة على جمع ما فيه لضعفهم وقتل من قتل منهم ، فمكث أهل السواد من الاكرة وغيرهم ينهبون القتلى نحو أربعين يوما ، ووصل المنهزمون الى بغداد بأسوأ حال ، فخاف الخاص والعام ببغداد من القرامطة •

وكان أبو طاهر القرمطي يظن أن مؤنسا المظفر لا يتأخر عن حربه ، وكان على وجل منه ، فلما لم يخرج اليه اشتد طمعه وظن أنه لا يلقاه أحد ولا يقاومه ، وأن ما كان قد خدع به — من أن ببغداد من يظاهره على أمره ، وينتظر وصوله اليه من الرؤساء — حق ، فخرج يريد بغداد ،فلما قرب من نواحي الانبار وقصر ابن هبيرة ونزل بسواده وكل بهم جندا ليست بالكثير ، وركب في جيشه فوافى الانبار واحتال الى أن عبر الفرات وصار من الجانب الغربي ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد مدينة السلام ، وعرف الناس ذلك فكثر اضطرابهم وجزعهم ، فبرز مؤنس المظفر الخادم من بغداد للمسير الى الكوفة ، فبلغه أن القرامطة قد ساروا الى عين التمر ، فأرسل

من بغداد خمسمائة سمارية فيها المقاتلة لتمنع من عبور الفرات ، وسير جماعة من الجيش لحفظ الانبار ، وقصد القرامطة الانبار فقطع أهلها الجسور ، فنزلوا غرب الفرات وأنفذ أبو طاهر أصحابه الى الحديثة ، فأتوه بسفن فعبر فيها ثلاثمائة من القرامطة ، فقاتلوا عسكر الخليفة وقتلوا منهم جماعة واستولوا على الانبار •

قال : ولما ورد الخبر بذلك الى بغداد خرج نصر الحاجب في عسكر جرار ، ولحق بمؤنس المظفر فاجتمعا في نيف وأربعين ألفا سوى الغلمان ومن يريد النهب ، وكان في العسكر أبو الهيجاء بن حمدان واخوته وأصحابهم ، فلما أشرف القرامطة على عسكر الخليفة هرب منه خلق كثير الى بغداد من غير قتال •

قال ابن الاثير[1] : كان عسكر القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل ، منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل ، قال : وقيل كانوا ألفين وسبعمائة فارس •

قال الشريف : وسار مؤنس المظفر حتى نازل القرامطة على قنطرة نهر زبارا ، على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وشحن الموضع بالجيش ، وأشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة خوفا من عبور القرمطي ، وان اتفق أدنى جولة مع امتلاء صدور الجيش من القرامطة فلا يملك البلد لشدة اضطرابه وكثرة أهله، ففعل مؤنس ذلك وقطعها وقاتل عليها نفر من القرامطة قتالا شديدا ، لا يمنعهم كثرة النشاب ولا غيره ، وشحن مؤنس الفرات ما بين بغداد الى الانبار بسماريات ، فيها رماة ناشبة تمنع أحدا من القرامطة من شرب الماء إلاّ بجهد ، فضلا عن تمكن من العبور ، وكان أحد من نصب لذلك اسحاق بن ابراهيم بن ورقاء ، وكان شيخا ذا دين وبصيرة ونية في الخير ، فأقام على حصاره لأبي طاهر وكان لا يقدر على مذهب لا الى وجهه ولا الى جوانبه ، ومتى دنا من الماء أخذته السهام •

قال الشريف : فحدثني من حضر يومئذ وقد ورد كتاب المقتدر بالله ، يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ويذكر ما لزم من الاموال الى وقت وصوله ، فكتب مؤنس كتابا ظاهرا ــ جواب كتاب الخليفة ــ يمليه على كاتبه والناس يسمعون ، يقول :

---

(١) في الاصل « الف فارس وسبعمائة فارس وثمانمائة راجل » وهو وهم بالنقل صوابه ما اثبتناه عن المصدر نفسه ــ الكامل : ١٨٨/٦ .

ان في مقامنا ، أطال الله بقاء مولانا نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن اخترنا نفقة المال على نفقة الرجال ٠

قال : ثم أنفذ المظفر مؤنس رسولا الى القرمطي يقول : ويلك ! تظن أنني كمن لقيك، أبرز لك رجالي والله مايسرني أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي، ولكنني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذا بيدي ان شاء الله ٠

قال : وأنفذ المظفر حاجبه يلبق في ستة آلاف مقاتل الى القرامطة ، الذين بقصر ابن هبيرة مع سواده ، ليوقعوا بهم ويخلصوا يوسف بن أبي الساج ، فعلم أبو طاهر بذلك فاضطرب واجتهد في عبور الفرات فعجز ٠ ثم انفق له طوق حطب فعبر عليه في نفر يسير ، وصار الى سواده الذي خلفه ، وجاءه يلبق فواقعه أبو طاهر في نفر يسير ، فكر يلبق راجعا منهزما وسلّم السواد وذلك بعد قتال شديد ٠

ونظر أبو طاهر الى ابن أبي الساج ــ وقد خرج من الخيمة ، ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه : أبشر بالفرج ، فلما تمت الهزيمة أحضره أبو طاهر وقتله وقتل من معه من الاسرى ٠

وقصد القرامطة مدينة هيت وكان المقتدر قد سير اليها سعيد بن حمدان وهارون بن غريب ، فسبقوا القرامطة اليها وقاتلوهم عند السور ، فقتل من القرامطة جماعة فعادوا عنها ، فرجع مؤنس الى بغداد وسار أبو طاهر الى الدالية من طريق الفرات ، فقتل من أهلها جماعة ، ثم سار الى الرحبة فدخلها في ثامن عشر المحرم سنة ست عشرة وثلاثمائة ، بعد أن حاربه أهلها فظفر بهم ووضع السيف فيهم ، فراسله أهل قرقيسيا يطلبون الامان فأمنهم على ألا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوا الى ذلك ، وخافه الاعراب وهربوا من بين يديه ، فقرر عليهم أتاوة عن كل رأس دينار يحملونه الى هجر ، ثم صعد من الرحبة الى الرقة فدخل أصحابه الى نصيبين، وقتلوا بها ثلاثين رجلا وقتل من القرامطة جماعة ، وقاتلوا ثلاثة أيام ثم انصرفوا في آخر ربيع الاول ، وساروا الى سنجار ونهبوا فطلب أهل سنجار الامان فأمنهم ، ثم عاد الى الرحبة ، ووصل مؤنس الى الرقة بعد انصراف القرامطة عنها ، فاحتال مؤنس في ارسال زواريق فيها فاكهة قد جعل فيها سموما قاتلة ، فكانت القرامطة يلقونها فيأخذونها ، فمات كثير منهم وضعفت أبدان بعضهم ، وجهدوا وكثر فيهم الذرب

فكروا راجعين وهم قليلو الظهر مرضى، فلما بلغوا هيت قاتلهم أهلها من وراء السور فقتلوا منهم رئيسا كبيرا وانصرفوا عنهم مفلولين .

ثم رحل أبو طاهر فدخل قصر ابن هبيرة فنهب وقتل ، ثم دخل الكوفة على حال ضعف وعلل وجراحات ، وأصحابه على ظهور حُمُر أهل السواد ، وكان دخوله إليها يوم الجمعة لثلاث ليال خلت من شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، فأقام بها الى مستهل ذي الحجة من السنة ، ولم يقتل في البلد ولا نهب ، وساس أهل الكوفة أمرهم مع القرامطة ، ورحل أبو طاهر عن الكوفة في ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة .

ذكر اخبار من ظهر من القرامطة بسواد العراق في اثناء وقائع ابي طاهر الجنابي

قال ابن الاثير(1) والشريف أبو الحسين ــ وقد لخصت من روايتيهما ما أورده، ودخل خبر بعضهم في خبر بعض ــ ولما كان من أمر أبي طاهر في سنة ست عشرة وثلاثمائة ما قدمناه ، اجتمع بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة وكان يكتمه خوفا فظهروا واجتمع منهم بسواد واسط أكثر من عشرة آلاف ، وولوا عليهم رجلا يسمى حريث بن مسعود ، فخرج اليه الامير بواسط فنام عسكره في بعض المواضع، فكبسه القرامطة فقتلوا منهم خلقا ، واستولوا على سائر ما حواه العسكر من السلاح وغيره فقوي أمرهم .

واجتمعت طائفة أخرى بعين التمر في جمع كثير،فولوا عليهم رجلا يسمى عيسى ابن موسى(2) ، وكانوا يدعون الى المهدي، فسار عيسى بن موسى الى الكوفة ونزل بظاهرها ، وجنى الخراج وصرف العمال عن السواد وكان والي الكوفة قد هرب منها قبل دخولهم ، ووجهوا الى جميع السواد من يطالبهم بالرحيل اليهم ، فخرج اليهم من بين راغب وراهب ، ففرقوا العمال في الطساسيج ، وولوا المعاون لقوم من

---

(1) الكامل : ٦/١٩١ ــ ١٩٢ .
(2) في صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد ص ١٣٧ (ط. اوروبا) أنه : ابن أخت عبدان القرمطي .

وجوه عشائرهم ، وولوا ابن أبي البوادي الكوفي خراج الكوفة ، ونصبوا بعض بني ربيعة واليا لحربها ، وأقاموا في البلد أياما وراحوا الى الجمعة بأجمعهم، وأقاموا أبا الغيث بن عبدة خطيباً ، وأحدثوا في الأذان ما لم يكن فيه ، فركب اليهم أبو علي عمر بن يحيى العلوي وعيسى بن موسى نازل على شط الفرات في بعض الايام ، فأظهروا الاستطالة على أبي علي بن يحيى وأنقصوا رتبته ، وأقيم وحجب أوقاتاً طويلة ، فخرج أبو علي الى السلطان وذكر له صورة أمر القوم ، وقرر في نفسه أخذهم ، فأنفذ السلطان معه صافي النصري في جيش وضمن أبو علي معاونته ، وكان هؤلاء قد خرجوا من الكوفة وخلفوا واليهم عليها وصاحب خراجهم ، وقصدوا موضعا يعرف بالجامع وما يليه فنهبوا واستباحوا ، ووثب أهل الكوفة بعد خروجهم على من خلفوه عندهم ، فقتلوا منهم جماعة وأخرجوا من بقي ، واتصل الخبر بالقرامطة فانكفأوا راجعين يريدون الكوفة ليقاتلوا أهلها ، فاجتمع الناس وحملوا السلاح وحفظوا البلد وطافوا به ليلا ونهارا مدة أيام ، وجاءت القرامطة فنزلوا على الكوفة ولم يكن لهم فيها مطمع فساروا الى مسورا ، وقدم أبو علي العلوي وصافي النصري من بغداد ، فواقعهم على نهر بقرب اجهاباذ يعرف بنهر المجوس ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى هزمهم الله تعالى ، فقتل منهم ما لا يحصى وغرق منهم قوم وهرب الباقون ، وتفرقوا وأسر عيسى بن موسى وخلق كثير معه وأعمى كان من دعاتهم كان يقول الشعر يعرف بأبي الحسن الخصيبي ، ودار أبو علي في السواد فتلقط منهم قوما ، فسكن البلد وتفرق ذلك الجمع ولم يبق لهم بقية قائمة ، وحملت الاسرى والرؤوس الى بغداد فقتل الاسرى بباب الكناسة وصلبوا هناك ، وحبس عيسى بن موسى ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث ما حدث من اضطراب الجيش وكثرة الفتن في آخر أيام المقتدر ، وأقام ببغداد يدعو ويتوصل الى ناس استغرهم ، ويعمل كتبا يجمع فيها ما يأخذه من كتب يشتريها من الوراقين ، يمخرق فيها بذكر أمور ينسخها ويوهم أن له بذلك علما ، ورتب كتبا ينسبها الى عبدان الداعي، ليوهم أن عبدان كان أحد العلماء بكل فلسفة وغيرها ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، ومخرق بجهده على جهال فصاروا له أتباعا ، وأفسد فسادا عظيما ، قال الشريف : وادعى خلافته من مخرق بعده الى الآن .

وحكى ابن الاثير في تاريخه الكامل[1] : أن الخليفة المقتدر بالله أرسل الى حريث بن مسعود ، هارون بن غريب والى عيسى بن موسى صافي النصري ، فأوقعوا بهم وانهزمت القرامطة وقتل أكثرهم وأسروا وأخذت أعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)[2] فدخلت بغداد منكوسة ، واضمحل أمر القرامطة بالسواد .

نعود الى أخبار أبي طاهر

ذكر مسير ابي طاهر الى مكة شرفها الله ونهبها واخذ الحجر الاسود واعادته وما كان من اخباره في خلال ذلك

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة حج بالناس منصور الديلمي ، وسلموا في مسيرهم حتى أتوا مكة ، فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، وهو يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة ، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام والبيت ، وقلعوا الحجر الاسود وأنفذوه الى هجر ، وأخذوا كسوة الكعبة وباب البيت ، وطلع رجل منهم ليقلع الميزاب فسقط فمات ، وخرج أمير مكة ابن محلب في جماعة من الاشراف الى أبي طاهر ، وسألوه في أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم جميعا وطرح القتلى في بئر زمزم ، ودفن الناس في المسجد الحرام حيث قتلوا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة على أحد منهم ، ونهب دور أهل مكة .

قال الشريف أبو الحسين : ولما نهب القرامطة مكة ورجع أبو طاهر الى بلده لحقه كد شديد عند خروجه من مكة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة الى أن عدل به دليل من الطريق المعروف الى غيره ، فوصل الى بلده بعد ذلك في المحرم سنة ثماني عشرة وثلاثمائة ، فأقام به ثم سار الى الكوفة فدخلها في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، فاشتروا منها أمتعة وأسروا خلقا من السواد ، وعاثوا ورجعوا بعد خمسين يوما الى بلدهم ، فأقاموا به .

---

(١) الكامل : ١٨٦/٦ — ١٩٢ .

(٢) سورة القصص : ٥ .

وأنفذ أبو طاهر سرية الى جنّابة وسينيز ومهرُوبان في البحر فيها وجوه أصحابه في نحو أربعين مركبا ، فوافت ساحل سينيز فصعدوا من المراكب ، فحملوا على أهلها حملة واحدة فانكشف الناس عنهم ، فوضعوا فيهم السيف فمالقوا أحدا الا قتلوه من رجل وامرأة ، فما نجا الا من لحق بالجبال وسبوا النساء ، فترك الناس الديار وخرجوا يريدون الهرب ، فنادى أبو بكر الطرازي في الناس : لا يهرب أحد، فانا نقاتل من ورد الينا ، وضرب بالبوق ووجه من حبس الناس عن سلوك الطرقات وردهم الى البلد ، وجمع الناس بالمسجد الجامع ورغبهم في الجهاد وأسعفهم بماله ، ورغبت المتطوعة في الاجتماع فقويت قلوب الناس ، وأنفذ أبو بكر سرية من وقته من خاصة غلمانه في نحو ثلاثمائة رجل في البحر ، ووجه سرية أخرى في البر ، وأنفذ الى مهروبان يخبر أنه على لقاء العدو ، وسألهم الإنجاد في المراكب لمعاونة أهل جنابه على قتال القرامطة ، فساروا والتقى الفريقان في البر والبحر من أهل جنابة وسينيز ، ووافت قوارب مهروبان فأشعلوا النيران في القوارب ، فأحرقوا بعضها وتخلص منهم نحو عشرين قاربا ، واتشبت الحرب فقتل الله منهم خلقا كثيرا ، وأسر جماعة ولحق بعضهم بالجبال ، وورد على أبي بكر الطرازي من أخبره بذلك ، فجمع الناس وغدا نحو الجبال ، وأرسل فارسا الى من بسينيز من أصحابه أن يلحقوا به ، وأنفذ الى جنابة ألا يتخلف عنه من فيه حراك،لتكون الوقعة بهم من كل وجه ، فوافوا المتهزمين من القرامطة في بعض كهوف الجبال ، وذلك في يوم الاربعاء فلما رأوا الناس قد أقبلوا نحوهم كسروا جفون سيوفهم ، وحملوا عليهم فثبتوا لهم ، ولم تزل الحرب قائمة بينهم يوم الاربعاء والخميس الى نصف النهار ، ثم نادى أبو بكر الطرازي : من جاء برأس فله خمسون درهما ، فتنادى الناس بالشهادة وجدوا ونشطوا ، وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا جميع من بقي أسرى، وحملوا مشهَّرين والناس يكثرون حمد الله عز وجل والثناء عليه ، ولم يفلت منهم أحد .

وكتب الناس محضرا أنفذوه الى بغداد ، وحملت الاسرى والرؤوس معه .

قال الشريف : ونسخة المحضر :

بسم الله الرحمن الرحيم ــ حضر من وقع بخطه وشهادته آخر هذا الكتاب المحضر ، وقد حضر عندهم ثلاثة من القرامطة ــ لعنهم الله ــ ذكر أحدهم أنه يقال له ــ سيار بن عمر بن سيار ، والاخر ذكر أنه يقال له ــ علي بن محمد بن عمر ،

والاخر ذكر أنه يعرف بأحمد بن غالب بن جعفر الاحساوي ، فذكروا أنهم متى نفذ رسولهم الى صاحبهم سليمان بن الحسن القرمطـي رد الحجر والشمسة وكسوة البيت وأطلق الاسارى الذين في قبضته، وهادن السلطان وارتدع عن السعي بالفساد والقطع على الحاج ، ولم يحفزهم ولم يعترض عليهم ، ويقول هؤلاء النفر من جملة الاسرى الذين في يد محمد بن علي الطرازي ــ وهم الذين ظفر الله بهم ــ فمتى ما وفى سليمان بن الحسن القرمطي بما بذلوه عنه أفرج السلطان عنهم وردهم اليه ، وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الاخرة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة، وأسفل ذلك خطوط أهل البلد بالشهادة .

وأحضر سيار بن عمر بن سيار وعلي بن محمد بن عمر المعروف بأبي الهذيل بن المهلب وأحمد العيار ، وهم من جملة الاسرى في الوقعتين بسينيز وجنابه ، فعرض عليهم رؤوس أصحابهم ممن قتل من القرامطة ، ليعرفوا بأسمائهم وأنسابهم فذكروا نحو المائة رأس ، ومن الاسرى نحوهم ، وحملوا الى بغداد فحبسوا وأجري عليهم، ويقال انه قد كان فيهم من اخوة سليمان بن الحسين من كتم أمره .

وحدثني ابن حمدان أنهم كانوا بعد خلاصهم ومصيرهم الى أبي طاهر يتحدثون: أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون اليهم ما يتقربون به الى قلوبهم ، وذكروا أنهم كانوا يكثرون الخشوع وذكر النبي ﷺ وتعظيمه واقامــة الصلاة ، قــال : ويضحكون من فعلهم هذا وخديعتهم الناس ، قال : ويضحك أبو طاهر واخوته مما يتحدثون بــه .

قال : وكان سبب تخلص هؤلاء الاسرى أن أبا بكر بن ياقوت كتب في المهادنة، وجرى بينهم خطوب في المراسلة الى أن وافقهم أن يردوا الحجر الاسود ويخلوا الاسرى ولا يعرضوا للحاج ، فجرى الامر على ذلك .

قال الشريف : وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة دخل القرمطي الكوفــة ، واستقبل لؤلؤا الامير خارجا بالحاج في ذي القعدة ، فرجع بهم لؤلؤ الى الكوفــة وتفرقوا فيها ، بعد أن واقعته الخراسانية فلم يقدر على مقاومتهم وامتنعوا منه ، الا أن الناس تسربوا وافترقوا ، فظفر بمن ظفر منهم فلم يكثر القتل وأخذ ما وجد ، وأشار بعض أهل الكوفة على بعض أصحابه في هذه السنة ــ عند نزولهم بالكوفة ــ

أن يسار في الحاج بغير ما يجري فيهم ، فقال الرجل : الذي من أصحاب القرمطي : والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر ، من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الارض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء، وما يفوز بأكثر أموالهم الا الاعراب والشراد من الناس ، قال الكوفي : فلو أنه حين يظفر بهم دعاهم أن يؤدي كل رجل دينارا وأطلقهم وأمنهم لم يكره أحد منهم ذلك وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد لأنهم ظماء الى ذلك جدا ، ولم يبق ملك الا كاتبه وهاداه واحتاج اليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، فجبى في كل سنة ما لا يصير الى سلطان مثله من الخراج ، واستولى على الارض وانقاد له الناس ، وان منع من ذلك السلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج ، فاستصوب رأيه وفرج عنه ، لأن أصحاب أبي طاهر كان قد ظهر منهم اضطراب عليه وقلت طاعتهم له ، قال : حتى لقد سمعت بعضهم وقد لحقه فارس من العرفاء يركض ويدور في الكوفة ويقول : ارجع الى العسكر فان السيد يأمرك بذلك،فذكر أمه بقبيح من الشتيمة بعد أن كانوا يعبدونه .

قال : ولما سمع رئيس القرامطة كلام الكوفي وما أشار به من أمر الحاج وما جرى من الكلام في ذلك دخل الى أبي طاهر فعرفه ما جرى ، فبادر من وقته ونادى في الناس بالامان ، وأحضر الخراسانية وقرر معهم أنهم يحجون ويؤدون اليه المال في كل سنة ، ويكونون آمنين على أنفسهم وأموالهم فلم يأمنوا له ، فسلم سياسة أمرهم الى أبي علي عمر بن يحيى العلوي ، واستقر للقرامطة ضريبة ورسم على سفر الحاج .

قال الشريف: ولما كان في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة كبس أبو طاهر الكوفة عشية ، وفيها شفيع اللؤلؤي أمير ، فهرب من مجلسه والناس عنده ، ورمى بنفسه من سطحه واستتر عند امرأة ضعيفة ، وظهر الجند من الطرقات فقاوموا من لحقهم من جيشه،وامتنع أكثرهم منه وخرجوا سالمين الا نفرا منهم أصيبوا ، ووجه أبوطاهر الى شفيع اللؤلؤي فأمنه وأحضره ، فحضر اليه وقدم اليه طعاما يأكله ، وطلبت مائدة يأكل عليها ، فقيل ما يحضر الا مائدة نهبت من داره ، فقال أبو طاهر : قبيح أن يراها فافرشوها بالرقاق لكي لا يعرفها ، ففعلوا ذلك وقدمت اليه ، وكان يحمل الى أبي طاهر صفحة صفحة مما يقدم اليه ، فينظر اليها أولا وينفذها اليه وكان ذلك لدنائته ومهانته ، وتفرق أصحابه عنه وقلت طاعتهم له فاحتاج الى المداراة ، فوجه

الى شفيع من يخاطبه في أن يمضي الى السلطان ، ويعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال ، وأنه ان أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه شيئا وخدموه فيما يلتمسه ، وان أبى ذلك لم يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيافهم وسيره أبو طاهر ووصله ، وخرج شفيع الى السلطان فقدم الى القرمطي أبو بكر بن مقاتل من قبل السلطان يناظره ، ففت في عضده وملأ صدره من السلطان وأتباعه،فزاده ذلك انكسارا وذلة وسار عن الكوفة.

وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة فسدت رجال القرامطة وقتل بعضهم بعضا ، وسبب ذلك أنه كان منهم رجل يقال له ابن سنبر،وهو من خواص أبي سعيد الجنابي المطلعين على سره ، وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك ، فعمد ابن سنبر الى رجل من أصفهان ، وقال له : اذا ملكتك أمر القرامطة تقتل عدوي ، فأجابه الى ذلك وعاهده عليه،فأطلعه على أسرار أبي سعيد وعلامات كان يذكرها في صاحبهم الذي يدعو اليه ، فحضر اليه أولاد أبي سعيد فذكر لهم العلامات ، فقال أبو طاهر : هذا هو الذي ندعو اليه ، فأطاعوه ودانوا له حتى كان يأمر الرجل منهم بقتل أخيه فيقتله ، وكان اذا كره رجل منهم يقول انه مريض ـــ يعني قد شك في دينه ويأمر بقتله ، وبلغ أبو طاهر أن الاصفهاني يريد قتله لينفرد بالامر ، فقال لاخوته : قد أخطأنا في هذا الرجل وسأكشف حاله ، فقال له : ان لنا مريضا فانظر اليه ليبرأ ، وأضجعوا والدتهم وغطوها بازار ، فلما رآها قال : ان هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه ، فقالوا : كذبت ، هذه والدتنا ثم قتلوه ، وذلك بعد أن أفنى أكثر أكابرهم بالقتل .

ذكر وفاة ابي طاهر بن ابي سعيد الجنابي واخيه وقيام اخويهما بعده

قال : وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة هلك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد وأخوه أبو منصور بجدري أصابهما ، وملك التدبير بعده أخواه أبو القاسم وهو أكبرهم ، وأبو العباس ، وكانا يتفقان معه على تدبير الامر ، وكان لهم أخ آخر لا يختلط بهم لاشتغاله بالشرب واللهو ، قال : وشركهما في تدبير الامر ابن سنبر .

ذكـر إعـادة القرامطة الحجر الاسود الى الكعبـة شرفهـا الله تعالـى

قال : وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أراد القرامطة أن يستميلوا أهل الاسلام، فحملوا الحجر الاسود وأتوا به الكوفة ، فنصبوه في المسجد الجامع على الاسطوانة السابعة في القبلة مما يلي صحن المسجد حتى يراه الناس ، ثم حملوه الى مكة شرفها الله تعالى ، وقالوا : أخذناه بأمر ورددناه بأمر .

قال ابن الاثير وكان بجكم الرائقي قد بذل لهم فيه خمسين ألف دينار ، فلم يردوه وردوه الآن بغير شيء ، وذلك في ذي القعدة من السنة ، فكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة الا أياما .

وحكى ابن الاثير في سبب رده : أن عبد الله المنعوت بالمهدي القائم ببـلاد المغرب والمستولي عليها كتب الى القرمطي ينكر فعله ويلومه ويلعنه ، ويقول أخفقت علينا سعينا وأشهرت دولتنا بالكفر والالحاد بما فعلت ، ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذته وتعيد الحجر الاسود الى مكانه وتعيد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة ، فلما وصل هذا الكتاب أعيد الحجر الى مكة شرفها الله تعالى[1] .

ذكـر ملك القرامطـة دمشق وسيرهـم الى الديار المصرية ومحاصرة من بها ورجوعهم عنهـا

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : وفي سنة ستين وثلاثمائـة سار الحسن بن أحمد بن سعيد الجنابي ، وهو الذي انتهى اليه أمر القرامطة ، من بلده الى الكوفة ، وعزم على قصد الشام وسبب ذلك أنه كان قد تقرر للقرامطة في الدولة الاخشيدية من مال دمشق في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ملك المعز لدين الله العبيدي الديار المصرية ، واستولى جعفر بن فلاح على الشام ، علموا أن ذلـك يفوتهم ، فسار الحسن بن أحمد الى الكوفة ، وراسل بختيار الديلمي أحد ملوك الدولة البويهية ، في طلب السلاح والمساعدة ، فأنفذ اليـه خزانة سلاح من بغداد وسبب له على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم ، فرحل

---

(١) الكامل : ٦/٢٠٤ .

الحسن من الكوفة حتى أتى الرحبة وعليها أبو تغلب بن حمدان ، فحمل اليه المال المسبب له به عليه وحمل إليه العلوفة ، وأرسل اليه يقول : هذا شيء كنت أردت أن أسير أنا فيه بنفسي ، وأنت تقوم مقامي فيه ، وأنا مقيم في هذا الموضع الى أن يرد علي خبرك ، فان احتجت الي مسيري سرت اليك ، ونادى في عسكره: من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض عليه ، فقد أذنا له في المسير والعسكران واحد ، فخرج الى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب ، وكان فيه كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ، صاروا اليه لما انهزموا من المغاربة عند ملكهم الديار المصرية بعد الدولة الاخشيدية .

قال : وسبب مظاهرة ابن حمدان للقرمطي أنه كان قد وقع بينه وبين جعفر بن فلاح مراسلات ، أغاظ جعفر فيها على أبي تغلب وتهدده بالمسير اليه ، فلما أرسل أبو تغلب الى الحسن بن أحمد هذه الرسالة ومكن الجند من المسير معه سره ذلك وزاد قوة ، وسار عن الرحبة وقرب من أرض دمشق ووصل الى ضياع المرج ، فظفرت خيله برجل مغربي يقال له علي بن مولاه ، فقتلوه وقتلوا معه جماعة من المغاربة فوقعت الذلة على المغاربة ، وكان ظالم بن موهوب العقيلي على مقدمة القرامطة في جمع من بني عقيل وبني كلب،فلقي المغاربة في صحراء المزة وأقبل شبل بن معروف العقيلي معينا لظالم ، ولم يزل القتال بينهم الى أن أقبل الحسن بن أحمد القرمطي فقوي العقيليون ، وتشمرت المغاربة ولم يزل القتال الى العصر ، ثم حمل ظالم ومن معه فانهزمت المغاربة وأخذهم السيف وتفرقوا ، وقتل جعفر بن فلاح ولم يعرف ، واشتغلت العرب بنهب العسكر ، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

فلما كان بعد الوقعة عثر بجعفر بن فلاح من عرفه وهو مقتول مطروح على الطريق ، فاشتهر خبره في الناس ، ثم نزل الحسن بن أحمد بعد الوقعة على ظاهر المزة فجبى مالا من البلد وسار يريد الرملة ، وكان جوهر القائد قد أنفذ من مصر رجلا من المغاربة يقال له سعادة بن حيان ذكر أنه في أحد عشر ألفا ، فلما بلغ ابن حيان أن ابن فلاح قد قتل ، وجاءه بعد ذلك قوم من المنهزمين فأخبروه بخبر الواقعة، تحير وتقطعت به الاسباب ، فلم تكن له جهة غير الدخول الى يافا ، ولم يكن له بها عدة ولا دار ، فلما دخل اليها جاءه الحسن بن أحمد فنزل عليها ، واجتمعت اليه عرب

الشام فنازلها وناصبها بالقتال ، حتى اشتد الحصار وقلّ ما بها جدا ، وكان يدخل اليها شيء سرا فجعل عليها حرسا ، فمن وجد معه شيء من الطعام يريد الدخول بـه الى يافا ضربت عنقه •

فلما طال بهم الامر أكلوا دوابهم وجميع ما عندهم من الحيوان ، ثم هلـك أكثرهم من الجوع ، وكان الحسن بن أحمد قد سار عن يافا نحو مصر ، وخلف على حصارها أبا المُنجّا وظالما العقيلي ونزل على مصر يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الاول سنة احدى وستين وثلاثمائة ، فقاتل المغاربة على الخندق الذي لمدينتهم ، وقتل كثيرا منهم خارج الخندق وحاصرهم شهورا ، ثم رحل عنها الى الاحساء ولم يعلم الناس ما كان السبب في ذلك •

فلما تيقنت المغاربة أنه قد رحل الى بلده أنفذ جوهر القائد ابن أخته نحو يافا ، وبلغ من عليها يحاصرها أن الحسن بن أحمد رحل عن مصر ، وأن ابراهيم ابن أخت جوهر خارج يريد يافا ، فسار القوم عنها وتوجهوا نحو دمشق ، فنزلوا بعسكرهم على ظاهرها ، فجرى بين ظالم وأبي المنجا كلام وخلاف ذكر أنه بسبب أخذ الخراج، وكان كل واحد منهما يريد أخذه للنفقة في رجالـه ، وكان أبو المنجا كبيرا عنـد القرمطي يستخلفه على تدبير أحواله •

قال : ولما رحل القوم عن يافا الى دمشق جاءها ابراهيم ابن أخت جوهر القائد، فأخرج من كان بها وسار بهم الى مصر ، ورجع الحسن بن أحمد فنزل الرملة ، ولقيه أبو المنجا وظالم فذكر أبو المنجا للحسن بن أحمد ما جرى من ظالم وما تكلم به ، فقبض عليه ولم يزل محبوسا حتى ضمنه شبل بن معروف فخلى سبيله ، فهرب الى شط الفرات الى حصن كان له في منزل بني زياد •

ثم ان الحسن بن أحمد طرح مراكب في البحر وجعل فيها رجالا مقاتلة ، وجمع كل من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير الى مصر ، وكان جوهر يكتب الى المعز لدين الله الى القيروان بما جرى على عسكره ، من القتل والحصار ، وأن الحسن بن أحمد يقاتلهم على خندق عسكرهم ، وقـد أشرف على أخذ مصر فقلق من ذلك قلقا شديدا ، وجمع من يقدر عليه وسار الى مصر ، وهو يظن أنها تؤخـذ قبل أن يصل اليها ، فدخلها في يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان سنـة

اثنتين وستين وثلاثمائة وكان شديد الخوف من الحسن بن أحمد ، فلما نزل مصر عزم على أن يكتب الى الحسن بن أحمد كتابا يعرفه فيه أن المذهب واحد ، وأنهم منهم استمدوا ، وأنهم ساداتهم في هذا الامر ، وبهم وصلوا الى هذه المرتبة وترهّب عليه ، وكان غرض المعز لدين الله العبيدي في ذلك أن يعلم من جواب القرمطي ما في نفسه ، وهل خافه لما وافى مصر أم لا ؟ قال : والحسن بن أحمد يعرف أن المذهب واحد ، لأنه يعلم الظاهر من مذهبهم والباطن ، لأن الجميع اتفقوا على تعطيل الخالق واباحة الأنفس والأموال وبطلان النبوة ، فهم متفقون على المذهب ، وإذا تمكن بعضهم من بعض يرى قتله ولا يبقي عليه .

قال الشريف : وكان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن اسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ونجل علي أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد ، ونسخة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم :

رسوم النطقاء ومذاهب الائمة والانبياء ومسالك الرسل والاوصياء ، السالف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار وسالف الازمان والاعصار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، بالابتداء بالاعذار والانتهاء بالانذار ، قبل انفاذ الاقدار في أهل الشقاق والاصرار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من بان وغوى ، حسبما قال الله جل وعز (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[1](وان من أمة الا خلا فيها نذير)[2] وقوله سبحانه (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)[3] (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق)[4] .

---

(١) سورة الاسراء : ١٥ .
(٢) سورة فاطر : ٢٤ .
(٣) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٤) سورة البقرة : ١٣٧ .

أما بعد أيها الناس : فانا نحمد الله بجميع محامده ونمجده بأحسن مماجدة ، حمدا دائما أبدا ، ومجدا عاليا سرمدا ، على سبوغ نعمائه وحسن بلائه ، ونبتغي اليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة ، على طاعته والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى، ونستزيد منه اتمام الصلوات وافاضة البركات وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذين قضوا « بالحق وكانوا به يعدلون »[1] .

أيها الناس (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)[2] ليتذكر من تذكر وينذر من أبصر واعتبر ، أيها الناس : ان الله جل وعز اذا أراد أمرا قضاه ، واذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا ، وأبرز أرواحنا بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسري ، ولا كوكب يجري ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ولا جناح يخفق ، ولا ليل ، ولا نهار، ولا فلك دوار، ولا كوكب سيار ، فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل بقدر ومقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعندما تكامل الامر وصح العزم ، أنشأ الله جل وعز المنشآت فأبدأ الامهات من هيولانا ، فطبعنا أنوارا وظلمة وحركة ، وسكونا ، فكان من حكمه السابق في عمله ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات ، وما في الاقطار[3] من الآثار ، وما في النفوس من الاجناس والصور والانواع ، من كثيف ولطيف ، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ، ودان وشاسع ، وهابط وطالع كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا واشارة الينا ، يهدي الله من كان له لب سجيح ، ورأي صحيح ، قد سبقت له

---

(١) سورة الاعراف : ١٨١ .

(٢) سورة الانعام : ١٠٤ .

(٣) أصاب النص سقط ، وعلى العموم يلاحظ ان رواية القريزي المقبلة لنص هذه الرسالة أكمل .

منا الحسنى[1] ، فدان بالمعنى ، ثم انه جل وعلا أبرز من مكنون العلـم ومخزون الحكم آدم وحواء أبوين ذكرا وأنثى ، سببا لانشاء البشرية ، ودلالة لاظهار القدرة القوية الكونية ، وزوج بينهما فتوالد الاولاد ، وتكاثرت الاعداد ، ونحن ننتقل في الاصلاب الزكية والارحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم وهلم جرا الى آخر الجد الاول والاب الافضل سيد المرسلين وامام النبيين أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه وبان غناؤه ، وأبـاد المشركين وقصم الظالمين ، وأظهر الحـق واستعمل الصدق ، وبان بالاحدية ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الاصنام وانعقد الاسلام ، وظهر الايمان وبطل السحر والقربان ، وارتفع الكفر والطغيان ، وخمدت بيوت النيران وهربت عبدة الاوثان ، وأتى بالقرآن شاهدا بالحق والبرهان فيه خير ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم ، مبنيا عن كتب تقدمت في صحف قد نزلت ، تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة ونورا « وسراجا منيرا »[2] .

وكل ذلك دلالات لنا ومقدمات بين أيدينا ، وأسباب لاظهار آمرنا ، هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قـدسيات الهيات أوليات كائنات ، منشآت مبديات معيدات ، وما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر الا قد أشار الينا ، ولوح بنا ودل علينا في كتابه وخطابه ، ومنار أعلامه ومرموز كلامه ، ما هو موجود غـير معدوم وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع النداء أو شاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسي أو ضل أو غوى فلينظر في الكتب الاولى والصحف المنزلة ، وليتأمل آي القرآن وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر ان كان لا يعلم ، فقد أمر الله عز وجل (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[3] .

قال : وهذا الكتاب طويل جدا لا طائل فيه ، فقطعناه ههنا وسنذكر جملة من هذا الكتاب في أخبار المعز لدين الله غـير ما في هذا الموضع ، على ما نقف عليـه ان شاء الله تعالى في موضعه .

---

(١) انظر الآيـة ١٠١ من سورة الانبياء .
(٢) سورة الاحزاب : ٤٦ .
(٣) سورة النحل : ٤٣ .

قال[1] : والجواب من الحسن بن أحمد القرمطي الاعصم :

وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ، ونحن سائرون على أثره والسلام .

وسار الحسن بن أحمد بعد ذلك الى مصر ، فنزل بعسكره عين شمس، وناشب المغاربة القتال ، وانبثت سراياه في أرض مصر وبعث عمالا الى الصعيد تجبي الاموال وضيق على المغاربة وداومهم القتال على خندق مدينتهم — يعني الشريف بمدينتهم — القاهرة المعزية .

قال : فذكر أنه هزمهم حتى عبر الخندق فامتنعوا منه بالسور ، وعظم ذلك على المعز لدين الله وتحير في أمره ، ولم يجسر أن يخرج بعسكره خارج الخندق .

قال : وكان ابن الجراح الطائي في جمع عظيم مع الحسن بن أحمد القرمطي ، وكان قوة لعسكره ومنعة ومقدمة ، فنظر القوم فاذا ليس لهم بالحسن بن أحمد طاقة ، ففكروا في أمره فلم يجدوا لهم حيلة غير فلّ عسكره، وعلموا أنه لا يقدر على فله الا بابن الجراح ، وأن ذلك لا يتم الا ببذل ما يطلبه من المال ، فراسلوا ابن الجراح وبذلوا له مائة ألف دينار، على أن يفل لهم عسكر القرمطي فأجابهم الى ذلك، ثم انهم فكروا في أمر المال فاستعظموه ، فعملوا دنانير من النحاس وطلوها بالذهب وجعلوها في أكياس ، وجعلوا على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب تغطي ما تحتها وشدوها وحملت لابن الجراح بعد أن استوثقوا منه ، وعاهدوه ألا يغدر بهم اذا وصل اليه المال ، فلما وصل اليه المال عمل على فل عسكره ، وتقدم الى كبراء أصحابه بأن يتبعوه اذا تواقف العسكران ، وقامت الحرب ، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما ، واتبعه أصحابه في جمع كثير ، فلما نظر اليه القرمطي قد انهزم بعد الاستظهار تحير ولزمه أن يقاتل هو ومن معه ، فاجتهد في القتال حتى تخلص ، ولم تكن له بهم طاقة وكانوا قد بادروه من كل جانب ، فخشي على نفسه وانهزم واتبعوه قومه ، ودخل المغاربة معسكره ، فظفروا باتباع وباعه[2] نحو من ألف

(١) كتب الى جانبها بالاصل بحرف أصغر مغاير « الشريف » .

(٢) في كنز الدرر للدواداري ص ١٦٠ : وانهزم وتبّعوه قومه ، ودخل المغاربة عسكره فظفروا بتبع وباعة ...

وخمسمائة رجل ، فأخذوهم أسرى وانتهبوا العسكر وضربوا أعناقهم ، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

ثم جردوا خلف الحسن بن أحمد ، أبا محمود ابراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل من المغاربة ، فسار خلفه وتباطأ في السير خوفا من أن يعطف عليه، وسار الحسن فنزل أذرعات وأنفذ أبا المنجا في طائفة كثيرة من الجند الى دمشق ، وكان ابنه قبل ذلك واليا عليها ، ثم سار القرمطي في البرية الى بلده وفي نيته العود .

وكانت المغاربة ، لما سمعوا بقصة ظالم ، وقبض القرمطي عليه لما جرى بينه وبين أبي المنجا ما ذكرناه ، وهربه الى حصنه ، راسلوه ليأتي القرمطي من خلفه ، فسار يريد بعلبك فلقيه الخبر بهزيمة القرمطي ونزول أبي المنجا على دمشق ، فسار ظالم نحو دمشق ونزل أبو محمود أذرعات ، وذكر أنه كان بينه وبين ظالم مراسلة واتفقا على أبي المنجا ، وبلغ أبي المنجا مسير ظالم اليه وكان في شرذمة يسيرة ، وأبو المنجا بدمشق في نحو ألفي رجل ، وكان قد ورد اليه الخبر في أن ظالما يصبح من غد في عقبة دُمّر،وكان الجند قبل ذلك قد طلبوا منه الرزق، فقال : ما معي مال ، فلما ورد اليه خبرظالم أعطى الجند على السرج دينارين لكل رجل ، ثم ان ظالما أصبح من غد ذلك اليوم في عقبة دمر ، فخرج أبو المنجا وابنه بمن معهما الى الميدان للقتال ، فذكر أن ظالما أنفذ الى أبي المنجا رسولا يقول له : انما جئت مستأمنا اليكم ، وقد كان الجند حقدوا على أبي المنجا من جهة الرزق ، فلما صار ظالم في عقبة دمر مشرفا على دمشق ذهب قوم من الجند نحو العقبة ، فاستأمنوا الى ظالم وتبعهم قوم بعد قوم ، فقوي طمع ظالم بهم فانحدر من العقبة ، ثم سار بمن معه حتى قرب من أبي المنجا فأحاط به فلم يقدر على الهرب فأخذ هو وابنه من بعد أن وقعت فيه ضربة ، وانقلب عسكره الى ظالم ، وملك ظالم البلد ، وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

فلما تمكن ظالم ونزل البلد أوثق أبا المنجا وابنه ثم حبسهما ، وقبض على جماعة من أصحابه فأخذ أموالهم ، ثم قدم أبو محمود بعد ذلك دمشق في يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان ، فلقيه ظالم وتقرب اليه بأبي المنجا وابنه ، فعمل لكل

واحد منهما قفصا من خشب وحملهما الى مصر فحبسا ، وكان بعد ذلك بين ظالــم وأبي محمود وأخبار دمشق ما ليس ذكره في هذا الموضع من غرضنا ، فلنرجع الى أخبار القرامطة .

ذكر عود القرامطة الى الشام ووفــاة الحسن بن احمد

قال : وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة كاتب ألبتكين التركي وهــو بالشام القرامطة ، وقد جرى بينه وبين المغاربة حروب ووقائع واستنصر بهم ، فكاتبوه بأنهم سائرون الى الشام ، فوافوا دمشق في هذه السنة ، وكان الذي وافى منهم اسحاق وكسرى وجعفر ، فنزلوا ظاهر دمشق نحو الشماسية ، ووافى معهم كثير من العجم ممن كان من أصحاب ألبتكين ، فلقي ألبتكين القرامطة وحمل معهم الاموال وأكرمهم وفرح بهم وأمن ، فأقاموا على دمشق أياما ثم رحلوا متوجهين الى الرملة ، وكان بها أبو محمود ابراهيم بن جعفر فتحصن منهم بيافا ، ونزلت القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا ، حتى كلّ الفريقان من القتال وصار بعضهم يحدث بعضا ، وأقامت القرامطة بالرملة يجبون المال ، فندب العزيز بالله بن المعز لدين الله ـ وكان قد ولى الامر بعد وفاة أبيه ـ جوهر القائد الى الخروج الى الشام في سنة خمس وستين ، وحمل اليه خزائن السلاح والاموال ، فسار يريد الشام في عساكر لم تخرج المغاربة من مصر بمثلها ، وتواترت الاخبار الى ألبتكين بمسيره ، وهو على عكا وكان قد ملك صيدا ، فنزل عكا وسار فنزل طبرية ، وفارق القرامطة الرملة ونزلها جوهر ، وسار اسحاق وكسرى القرمطيان الى الاحساء ، وبقي جعفر لم يسر معهم وانضم الى ألبتكين بطبرية ، وسار جوهر في طلبهما فسارا الى دمشق وتبعهم جوهر حتى نزل بالشماسية بظاهر دمشق ، والمناوشة تقع بينهم تارة والموادعة أخرى ، فلم يزل الامر كذلك الى جمادى الاولى سنة ست وستين وثلاثمائة ، فوردت الاخبار وقويت بقرب الحسن بن أحمد القرمطي من دمشق ، وجاء من بشر ابن عمه جعفر بذلك ، فسار اليه وصح ذلك عند جوهر ، فنزل دمشق وسار نحو طبرية وجد في السير ، وكان قد هلك من عسكره خلق كثير ، فخاف أن يدركه الحسن بن أحمد القرمطي

فأسرع المسير من طبرية ، وخرج الحسن بن أحمد من البرية يريد طبرية فوجده قد سار عنها ، فأنفذ خلفه سرية فلحقته فرجع عليها أصحاب جوهر ، فقتلوا جماعة من العرب وسار جوهر حتى نزل ظاهر الرملة ، وأتاه الخبر عن الحسن فدخل جوهر زيتون الرملة وتحصن به ، وسار ألبتكين من دمشق في أثر الحسن بن أحمد فلحقه ، وتوفي الحسن بن أحمد بالرملة ، وتولى أمر القرامطة بعده ابن عمه جعفر ، واجتمع هو وألبتكين على قتال جوهر الى بلده ، وكان بين ألبتكين وجوهر من الحصار ما نذكره ان شاء الله تعالى في أخبار ملوك مصر •

ذكر استيلاء القرامطة على الكوفة وخروجهم عنها

قال ابن الاثير[1] رحمه الله تعالى : وفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد اسحاق وجعفر الهجريان ــ وهما من القرامطة الذين تلقبوا بالسادة ــ فملكا الكوفة •

قال : وكان للقرامطة من الهيبة ما ان عضد الدولة وبختيار أقطعاهم الكثير من الاقطاعات ، وكان نائبهم ببغداد وهو أبو بكر بن شاهويه يحكم حكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن بويه ، فلما جاء القرامطة الى الكوفة كتب صمصام الدولة الى اسحاق وجعفر بالملاطفة ويسألهما عن سبب حركتهما ، فذكرا أن السبب في ذلك ما وقع منه من القبض على صاحبهما ، وبثا أصحابهما في جباية الاموال ، ووصل الحسن بن المنذر ــ وهو من أكابر القرامطة ــ الى الجامعين ، فأرسل صمصام الدولة العساكر والعرب فقاتلوه وأسروه وجماعة من القواد وانهزم من معه، ثم جهز القرامطة جيشا آخر في عدد كثير فهزمته عساكر صمصام الدولة ، وقتل مقدم القرامطة ، وكانت هذه الوقعة بالجامعين ، فلما بلغ المنهزمون الكوفة رحل القرامطة عنها، وتبعتهم العساكر الى القادسية وأخذ أمر القرامطة في الانتقاض ، ولم يكن لهم بعد ذلك بالعراق والشام وقعة بلغنا خبرها •

---

(١) الكامل : ١٢٦/٧ .

ذكـر ظفـر الاصفر بالقرامطـة

قال[1] ابن الاثير : وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع انسان يعرف بالاصفر من بني المنتفق جمعا كثيرا ، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة ، قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم أصحابه وقتل منه ، فعدل الى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأثقالهم ومواشيهم ، وسار بذلك الى البصرة وانتقض أمر القرامطة وضعفوا ، وكان مدة ظهور مذهبهم الى هذا التاريخ مائة سنة ، ومنذ ظهر أمرهم واستولوا على البلاد ونجهزت العساكر لقتالهم خمساً وتسعين سنة ، وكانت فتنتهم قد عمت أكثر البلاد والعباد ، ولم أقف لهم بعد واقعة الاصفر على واقعة أخرى فأذكرها .



(٢) الكامل : ١٣٩/٧ .

ذكـر اخبـار الدولـة العبيديـة

التي اتسب ملوكها الى الشرف، وألحقوا نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما .

هذه الدولة من الدول التي امتدت أيامها ، واتسعت ممالكها ، واستولت ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقا وغربا ، ببلاد المغرب والديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والثغور والعواصم وغير ذلك ، وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد الغرب ، وانما أوردناها في أخبار ملوك الديار المصرية ، وألحقنا ملوكها بملوك هذا الوادي ، لان الديار المصرية قاعدة ملكهم ، وبها قام أكثر ملوكهم .

ولنبدأ بذكر أخبار ملوك هذه الدولة ، وابتداء أمرهم ، وما قيل في نسبهم والى من ينسبون ، وكيف تنقلت بهم الحال الى أن ملكوا البلاد واستولوا على الاقاليم . ولهذه الدولة أسباب ولوازم وشيعة هم الذين مهدوا لهم البلاد ، ووطئوا الممالك ، وهزموا الجيوش وفتحوا الاقاليم ، وأبادوا الابطال حتى استقر الملك لملوك هذه الدولة وتسلموه عفوا صفوا .

لا بد لنا أن نبتدىء بذكر أخبارهم ، وما فتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهدي الذي هو أول ملوك هذه الدولة ، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة ، واحدا بعد واحد الى أن انقرضت دولتهم ، وبادت أيامهم فنقول وبالله التوفيق : أول من ملك منهم عبيد الله المنعوت بالمهدي، ونسب نفسه أنه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1]،وأهل العلم بالانساب من المحققين ينكرون ذلك ، وينفوه عن الشرف ، ويقولون اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح بن أبي شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، صاحب

---

(١) كذا ، وهو غير مسلم به ، وهناك خلاف كبير حول شجرة النسب ، خاصة في فترة الستر ، وقد سبق لنا ان نبهنا على ذلك .

كتاب الميدان في نصر الزندقة ، وهو من أهل رامهرمز ، كورة من كور الاهواز ، وكان من خرمية المجوس •

ومن المؤرخين من زعم أن الحسين بن أحمد زوج أم سعيد ، وأن أبا سعيد يهودي •

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب[1] في كتابه المسمى بكشف الاسرار وهتك الاستار : أن سعيد هذا كان قد رباه عمه محمد بن أحمد ، المكنى بأبي الشلعلع[2]
[٢١] وكانوا دعاة لمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، يأكلون البلاد باسمة ، ويدعون أنه حي يرزق الى زمانهم وفيه عمل ابن المنجم[3] قصيدته التي يقول فيها :

فانك في دعواك أنك منهم   كمن يدعي أن النحاس من الذهب
متى كان مولى الباهليين ملحقا   بآل رسول الله يوما اذا انتسب

ولما ملك بهاء الدولة[4] ، أبو نصر بن عضد الدولة فناخسرو بن بويه ، بعد أن جمع الطالبيين من آفاق العراق ، وسألهم عنهم فكلهم أنكرهم ، وتبرأ منهم ، فأخذ خطوطهم بذلك، وكان ممن شهد الشريفان الرضي والمرتضى، وأبو حامد الاسفرائيني وأبو الحسين القدوري وغيرهم ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة[5] بأمر القادر بالله العباسي •

---

(١) ابو بكر الباقلاني ــ ٣٣٨ هـ/٩٥٠ ــ ٤٠٣/١٠١٣ ، أعظم رجال علم الكلام في عصره ، انتهت اليه رئاسة مذهب الاشاعرة ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد حيث طارت شهرته ، له عدة كتب بعضها في حكم المفقود ، منها كشف اسرار الباطنية المشار اليه في المتن .

(٢) انظر عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب . ط. بيروت : ١٩١ .

(٣) لعله علي بن هارون « ٢٧٦ هـ/٨٨٩ ــ ٣٥٢ هغ/٩٦٣ م » كان راوية للشعر من ندماء الخلفاء ، ولد ومات في بغداد .

(٤) هو بهاء الدولة فيروز « ٣٧٨ هـ/٩٨٩ م ــ ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م » .

(٥) كذا في الاصل ، والمشهور أن ذلك كان سنة ٤٠٢ هـ . انظر المنتظم : ٢٥٥/٧ ــ ٢٥٦ . أصول الاسماعيلية : ١٤٣ .

هذا مع ما ينسب الى بني بويه من التشيع[1] . فلنذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم .

ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم

قال أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الامير تميم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان[2] : أول من قام منهم أبو شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، وكان ممن صحب أبا الخطاب محمد بن أبي زينب[3] موالى بني أسد ، فألقوا الى كل من اختصوا به أن لكل شيء من العبادات باطنا ، وان الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولا زكاة ، ولا صوما ولا حجا ، ولا حرم عليهم شيئامن المحرمات ، وأباح لهم نكاح البنات والاخوات ، وانما هذه العبادات عذاب على الامة ، وأهل الظاهر ، وهي ساقطة عن الخاصة ، يقولون ذلك لمن يثقون بـه ويسكنون اليه ، ويقولون في آدم وجميع الانبياء كذابون محتالون طلاب للرئاسة .

فاشتدت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية ، وتفرقوا في البلاد شرقا وغربا ، يظهرون التقشف والزهد والتصوف وكثرة الصلاة والصيام يعرفون الناس بذلك ، وهم على خلافه ، ويذكرون أبا الخطاب الى أن قامت البينة بالكوفة أن أبا الخطاب ، أسقط العبادات وأحل المحارم فأخذه عيسى بن موسى الهاشمي مع سبعين من أصحابه ، فضرب أعناقهم فتفرق بقية أصحابه في البلاد ، فصار قوم مما كان على مذهبه الى نواحي خراسان ، وقوم الى الهند

وصار أبو شاكر ميمون بن سعيد الى بيت المقدس مع جماعة من أصحابه وأخذوا في تعلم الشعبذة والنارنجيات والحيل ، ومعرفة الرزق من صنعة النجوم والكيمياء ، ويحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم ، وعلى العامة باظهار الزهد

---

(١) كانوا شيعة لكن حسب المذهب الزيدي .

(٢) عثر على قطعة منه وقد طبعت في الجزائر سنة ١٣٤٦ هـ ، لكن ليس فيها هذه النصوص .

(٣) يقال في اسمه غير هذا ، وربما قتل سنة ١٣٨ هـ/٧٥٥ م ، خير ما كتب عنه ما اورده برنارد لويس في اطروحته أصول الاسماعيلية : ٩٨ – ١٠٦ .

والورع،ونشأ لابن شاكر ابن يقال له عبدالله القداح ، علمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة ، فتحذق وتقدم ، وكانوا يظهرون التشيع ، والبكاء على أهل البيت ، ويزبدون أكاذيبا اخترعوها ، يخدعون بها ضعفاء العقول ، وكان من كبار الشيعة رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهار بختيار ، الملقب دندان[1] ، وهو بنواحي الكرخ والاصفهان له حال واسعة ، وضياع عظيمة ، وهو المتولي على تلك المواضع، وكان يبغض العرب ويذمهم ، ويجمع معايبهم ، وكان كل من طمع في نواله تقرب اليه بذم العرب ، فسمع به عبد الله بن ميمون القداح ، وما ينتحله من بغض العرب، وصنعة النجوم ، فسار اليه وكان عبد الله يتعاطى الطب وعلاج العين ، ويقدح الماء النازل فيها ، ويظهر أنه انما يفعل ذلك حسبة وتقربا الى الله عز وجل ، فطار له بهذا الاسم بنواحي أصفهان والجبل ، فأحضره دندان ، وفاتحه الحديث ، فوجده كما يحب ويهوى ، وأظهر له عبد الله من مساوىء العرب والطعن عليهم أكثر مما عنده ، فاشتد إعجابه به،وقال له:مثلك لاينبغي أن يطب، وان قدرك يرتفع ويجل عن ذلك ، فقال : انما جعلت هذا ذريعة لما وراءه مما ألقيه الى الناس ، والى من أسكن اليه على رفق ومهل من الطعن على الاسلام ، وأنا أشير عليك أن لا تظهر ما في نفسك الى العرب ، ومن يتعصب لهذا الدين ، فان هذا الدين قد غلب على الاديان كلها فما يطيقه ملوك الروم ولا الترك والفرس ، والهند مع بأسهم ونجدتهم ، وقد علمت شدة بابك صاحب الخرمية وكثرة عساكره ، وأنه لما أظهر ما في نفسه من بغض الاسلام ، وترك السير بالتشيع والبكاء [٢٢] كما تقول أولا ، قلع أصله ، فالله الله أن تظهر ما في نفسك ، والزم التشيع والبكاء على أهل البيت ، فانك تجد من يساعدك على ذلك من المسلمين، ويقول : هذا هو الاسلام، وادع عليهما عداوة الرسول، وتغيير القرآن وتبديل الاحكام فانك اذا سببتهما سببت صاحبهما،فاذا استوى لك الطعن عليهما،فقد اشتفيت من محمد ، ثم تعمل الحيلة بعد ذلك في استئصال دينه ومن ساعدك على هذا فقد خرج من الاسلام من حيث لا يشعر ، ويتم لك كما تريد .

فقال دندان : هذا هو الرأي، ثم قال له عبد الله القداح: ان لي أصحاب وأتباع أبثهم في البلاد ، فيظهرون التقشف والتصوف ، والتشيع ويدعون الى ما نريده بعد

---

(١) الخلاف بين الروايات حوله شديد ، انظر ما كتبه لويس في اصول الاسماعيلية : ١٣٣ ــ ١٤١.

احكام الامر ، فاستصوب دندان ذلك وسر به وبذل لعبد الله القداح ألفي ألف دينار، فقبل المال وفرقه في كور الاهواز والبصرة وسواد الكوفة ، وبطالقان خراسان ، وسلمية من أرض حمص ، ثم مات دندان فخرج عبد الله القداح الى البصرة ، وسواد الكوفة وبث الدعاة وتقوى بالمال ودبر الامر .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأخي محسن[١] في كتابه : أن عبد الله بن ميمون هذا كان قد نزل عسكر مكرم[٢]،فسكن بساباط[٣] أبي نوح وكان يتستر بالتشيع والعلم ، فلما ظهر عنه ما كان يضمره ويسره من التعطيل والاباحة ، والمكر والخديعة ، ثار الناس عليه ، فأول من جاءه الشيعة ، ثم المعتزلة ، وسائر الناس ، وكبسوا داره فهرب الى البصرة ، ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الاهوازي ، فنزل بباهله على موال لآل عقيل بن أبي طالب ، وقال لهم أنا من ولد عقيل داع الى محمد بن اسماعيل بن جعفر فلما انتشر خبره ، طلبه العسكريون ، فهرب وأخذ طريق الشام ومعه الحسين الاهوازي . فلما توسطا الشام عدلا الى سلمية ليخفى أمرهما ، فأقام بها عبد الله وخفى أمره .

نرجع الى قول ابن شداد ، قال : ثم مات عبد الله ، وكان له جماعة من الولد ، فخلفه منهم ابنه أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدته ، وبث الدعاة واستدعى رجلا من أهل الكوفة يقال له أبو القاسم الحسن بن فرح[٤] بن حوشب بن زاذان النجار ، وكان هذا الرجل من الامامية الذين يقولون بامامة موسى[٥] بن جعفر ، فنقله الى القول بإمامة اسماعيل بن جعفر ، وكانوا يرصدون من يرد من المشاهد ، وينظرون اليهم ، فمن كان فيه مطمع وجهاله استدعوه ، ولا يستدعون الا الجهال

(١) سبق التعريف به وانه توفي سنة ٣٩٨ هـ .
(٢) بلد مشهور في نواحي خوزستان ـ معجم البلدان .
(٣) الساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ ، ولم يذكر ياقوت وغيره من الجغرافيين ساباط أبي نوح هذا، ويبدو انه كان قرية من قرى خوزستان .
(٤) في الاصل أبو الحسن رستم بن الكرخيين بن حوشب ، وهو خطا صوابه ما أبتناه وقد مر ذكره فيما سلف من نصوص كما سيرد مجددا خاصة عند الخزرجي ، وهو الذي سيعرف باسم « منصور اليمن » انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٣٢ .
(٥) اي الكاظم الامام السابع عند الامامية الاثنا عشرية ، انظر الائمة الاثنا عشر لابن طولون . ط. بيروت : ٨٩ ـ ٩٣ .

ومن له بأس وجلد وعشيرة ومال وعز ، ويتجنبون الفقهاء والعلماء والادباء والعقلاء وكانوا يطلبون أطراف البلاد .

فقال لهم بعض من ورد عليهم : ان بجيشان والمذيخرة والجند من أرض اليمن رجلا جلد كثير المال والعشيرة يتشيع ، وبهذه الناحية شاعر يقال له ابن خيران يسب في شعره أبا بكر وعمر ، والمهاجرين ، والانصار على مثل سبيل الحميري الشاعر[1]، فورد ذلك الرجل المذكور وهو أبو الحي علي بن الفضل[2] من أهل جيشان من اليمن ، ودخل الى الحيرة فرأوه يبكي على الحسين بن علي ، فلما فرغ من زيارته أخذ الداعي يده وقال له : اني رأيت ما كان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر فلو أدركته ما كنت تصنع ؟ قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل خدي أرضا يطأ عليها ، وأبذل مالي ودمي دونه ، فقال له : أتظن أنه ما بقي لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : أي والله . فسكت عنه الداعي ، فقال له علي بن الفضل ما قلت لي هذا القول الا وأنت عارف به ، فسكت الداعي فقوي ظن ابن الفضل ان هذا الرجل يعرف الامام والحجة ، فألح عليه ، وقال : اللهالله في أمري اجمع بيني وبينه ، فاني خرجت الى الحج ، وجئت الى هذه الزيارة أريد الله تعالى ، فسكت الداعي وازدادت رغبة ابن الفضل ، فصار يتضرع اليه ويسأله ويقبل يده ، فقال له الداعي : اصبر ولا تعجل وأقم فهذا الامر لا يتم بسرعة ولا بد له من صبر ومهلة ، فقال ابن الفضل لاصحابه ، وكان معه من جيشان : انصرفوا فلي بالكوفة شغل ، فانصرفوا وأقام هو واجتمع بالداعي ، فقال له : ما عملت في حاجتي ؟ فقال انتظرني حتى أعود اليك ، فانصرف عنه ومضى الى أحمد بن القداح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة ، وامام الزمان ، وبقي الداعي يرمقه ويراه لا يكاد يبرح من المسجد ، من غير أن يعلم ابن الفضل به .

---

(١) ابن خيران لم اجده في المتوفر لدي من المصادر ، والحميري هو السيد الحميري « ١٠٥ – ١٧٣ هـ/٧٢٣ – ٧٨٩ م » اسمه اسماعيل بن محمد ، شاعر شيعي له شهرة كبيرة . الاعلام للزركلي .

(٢) في الاصل « محمد بن الفضل » وهو خطأ صوابه ما اثبتنا ، وقد سلف ذكره كما سيأتي خاصة عند الخزرجي .

فلما كان بعد أربعين يوما أتاه الى المسجد ، وهو جالس ، فقال له : أنت بعد ههنا ؟ فقال : نعم ولولا تجيء لأقمت في هذا المسجد الى أن أموت فعلم الداعي أنه قد قصده ، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله بن ميمون [٢٣] .

وحكي الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني في كتابه الذيصرح فيه نفي هؤلاء[١] عن النسب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، واستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها . أن أحمد بن عبد الله بن ميمون لما قام الامر بعد أبيه عبد الله بعث الحسين الاهوازي من سلمية داعية الى العراق ، فلما انتهى الى سواد الكوفة لقي حمدان بن الاشعث ، وهو قرمط الذي اليه ينسب القرامطة فصحبه ، واتبعه قرمط ، وتابعه كثير من الناس ، فلما مات الاهوازي أسند الامر من بعده الى حمدان ابن الاشعث قرمط . وقد ذكرنا هذه القصة في أخبار[٢] القرامطة .

نرجع الى قول ابن شداد ، قال : وكان أحمد يقول للحسن بن حوشب الكوفي النجار : يا أبا القاسم هل لك في غربه في الله ؟ فيقول الامر اليك يامولاي، فلما اجتمع بابن الفضل ، قال له : قد جاء ما كنت تريد أبا القاسم ، هذا رجل من أهل اليمن ، وهو عظيم الشأن ، كثير المال ، ومن الشيعة قد أمكنك ما تريد . وثم خلق من

---

(١) ينقل صاحب عمدة الطالب : ١٩٠ ـ ١٩٣ نصوصا اعتبرها قاطعة في تصحيح نسب الفاطميين الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، ومما قاله في ذلك « قلت : وقد كثر الحديث في نسب الخلفاء الذين استولوا على المغرب ومصر ، ونفاهم العباسيون ، وكتبوا بذلك محضرا شهد فيه جل الاشراف ببغداد ، فانضم الى ذلك ما ينسب اليهم من الاحاديث ، وسوء الاعتقاد ، وقد تأملت بعض ما حكي من الطعن فيهم فوجدته لا يتمشى لكونه بناء على ان المهدي اولهم منسوب الى ابيه محمد بن اسماعيل بن الصادق لصلبه ، وزمانه لا يحتمل ذلك ، والشريف الرضي الموسوي مع جلالة قدره صحح في شعره نسبهم حيث يقول :

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وأنف حمي
احمل الضيم في بلاد الاعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من ابوه ابي ومن جده جدي ... اذا ضامني البعيد القصي

(٢) في جزء آخر من الكتاب ، هو الذي سبق هذا النص .
على مخطوطة باريس رقم « ١٥٧٦ » .

الشيعة ، فاخرج وعرفهم أنك رسول المهدي ، وأنه في هذا الزمان يظهر في اليمن ، واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وان ورد عليك شيء لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره .

وجمع بينه وبين ابن الفضل ، وخرجا جميعا الى أرض اليمن، ونزل ابن حوشب بعدن ، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى ، وخبرهم عند ابن ميمون ، فنزل ابن حوشب بالقرب منهم ، وأخذ في بيع ما معه من القماش ، ولزم الزهد والتقشف . فقصده بنو موسى ، وقالوا له : فيما جئت ؟ قال : للتجارة ، قالوا : لست بتاجر ، وانما أنت رسول المهدي ، وقد بلغنا خبرك ، وعرفوه بأنفسهم ، فأظهر أمره عليهم ، وسار الى عدن لاعة ، وسار ابن الفضل الى بلده .

ولما وصل ابن حوشب الى عدن لاعة قوى عزائمهم وقرب أمر المهدي عليهم ، وأنه من عندهم يخرج ، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح ، ولم يزل أمر ابن حوشب يقوى وأخباره ترد على من بالكوفة من الامامية، وطبقات الشيعة، فيبادرون اليه ، ويقول بعضهم لبعض : دار الهجرة ، فكبر عددهم واشتد بأسهم ، وأغار على من جاوره ، ونهب وسبى ، وجبى الاموال وأنفذ الى من بالكوفة من ولد عبد الله القداح أموالا عظيمة ، وهدايا وطرفا ، وكذلك لابن الفضل .

وكانوا أنفذوا الى المغرب رجلان أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان[1] ، وتقدموا اليهما بالوصول الى أقاصي المغرب ، والبعد عن المدن والمنابر ، وقالوا لهما : ينزل كل واحد منكما بعيداً من الآخر ، وقولا لكل شيء باطن ، ونحن فقد قيل لنا : اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يأتي صاحب البذر[1]، فنزل أحدهما بأرض كتامة بمدينة مرمجنة[2] ، والآخر سوف جمار[3]، فمالت قلوب أهل تلك النواحي اليهما ، وصارا يحملان التحف التي تحمل اليهما الى ابن القداح ، ثم ماتا على قرب بينهما ، بعد أن أقاما سنين كثيرة فقال ابن حوشب لأبي عبد الله

---

(١) انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٤ ــ ٥٨ .
(٢) اي أبو عبد الله الداعي . انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٨ .
(٣) من مدن تونس ، على ثلاث مراحل من القيروان ــ معجم البلدان .
(٤) في الجزائر معروفة على مقربة من الحدود الجزائرية التونسية .

الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي ـ وكان قد هاجر اليه ـ : يا أبا عبد الله أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبي سفيان وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، وبادر اليها فانها موطأة ممهدة لك، فخرج أبو عبد الله وأخرج ابن حوشب معه عبد الله بن أبي الملاحف ، وأمده بمال ، وأوصاه بما يعمل وكيف يحتال ، وكان أبي عبد الله قد شاهد أفعال ابن حوشب ، وعرف تدبيره . فسار الى مكة وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى .

وأما أحمد بن عبد الله بن ميمون ، فانه لما قوي أمره ، وكثرت أمواله ادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترون أمرهم ، ويخفون أشخاصهم، ويغيرون أسماءهم ، وأسماء دعامتهم ، ويتنقلون في الاماكن ، ثم مات أحمد فخلفه محمد ، وكان لمحمد ولدان : أحمد والحسين ، فمات أحمد ، وصار الحسين الى سلمية ، وله بها أموال من ودائع جده عبد الله القداح ، ووكلاء وأتباع وغلمان وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع ، وهو محمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان ، وهو مؤدب بآداب الملوك ، وكان الذي بسلمية يدعي أنه الوصي وصاحب الامر دون بني القداح ، ويكاتب الدعاة ويراسلونه من اليمن والمغرب والكوفة ، واتفق أنه جرى بحضرته بسلمية حديث النساء فوصفوا امرأة رجل يهودي حداد ، مات عنها زوجها ، وأنها في غاية الجمال ، فقال لبعض وكلائه : زوجني بها ، فقال انها فقيرة ، ولها ولد ، فقال : ما علينا من الفقر زوجني بها ورغبها ، وابذل لها ما شاءت، فتزوجها وأحبها وحسن موقعها عنده ، وكان ابنها يماثلها في الجمال ، فأحبه وأدبه [٢٤] وعلمه ، وأقام له الخدم والاصحاب ، فتعلم الغلام ، وصارت له نفس كبيرة وهمة عظيمة ، فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول ان الامام الذي كان بسلمية من ولد القداح مات ، ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد ، وهو عبيد الله الذي نعت بالمهدي ، وأنه عرفه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأعطاه الاموال وتقدم الى أصحابه ووكلائه بطاعته ، وخدمته ومعونته ، وعرفهم أنه الامام والوصي وزوجه ابنة عمه أبي الشلعلع ، هذا قول ابن القاسم الابيض العلوي .

وغيره من العلماء بهذه الدعوة ، وبعض الناس وهم قليل يقولون : ان عبيد الله هذا المنعوت بالمهدي من ولد القداح ، ومنهم من يقول فيه قول آخر نذكره ان شاء الله عز وجل ، فهذا ما حكي في ابتداء أمرهم فلنذكر أخبار الشيعي ببلاد المغرب ، والله أعلـم ...

ذكـر فتوح الشام [٤١]

قد ذكرنا أن القائد جوهر جهز جعفر بن فلاح الى الشام بالعساكر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فسار جعفر ولقي الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة ، وهــو يومئذ صاحب الشام ، فهزمه جعفر بن فلاح وأسره ، وبعث به الى مصر ، ثم سار الى دمشق فملكها في سنة تسع وخمسين بعد حرب شديد ، فكتب القائد جوهر بالفتح، واستأذنه في المسير الى غزو أنطاكية ، فأذن له القائد ، فسار نحوها في عشرين ألف فارس فأقام مدة وكثرت جموعه وعساكره، وانبسطت يده، ودانت له البلاد ،فحاصر أنطاكية مدة الى أن اتصل به مسير مدد الروم اليها ، فعاد عنها الى دمشق •

ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق

وفي سنة ستين وثلاثمائة ، وصل الحسن الاعصم القرمطي الى دمشق وقيل انه انما قدم بأمر الخليفة المطيع ، فخرج اليه جعفر بن فلاح ، وقاتله وكان عليلا ، فقتل وانهزم أصحابه ، ونصب رأسه على [سور] دمشق ، وملك القرمطي دمشق والشام، وسار الى الرملة فانحاز عنه سعاده بن[١] حيان الى يافا ، وتحصن بها ، فسار اليه وحاربه ؛ ثم سار يريد مصر ، فتأهب القائد جوهر لذلك ، وحفر خندقا وبنى عليه بابا كبيرا ، وركب عليه الباب الحديد الذي كان على الميدان الاخشيدي ، وبنى عليه بابان آخران ، وبنى القنطرة على الخليج ، وجعل ممرا لمن يريد المقس[٢] ، وكاد القرمطي يأخذ القاهرة ، ثم رجع عنها بغير سبب علم ، وكبس الفرما ، ثم قاطع أهلها على مال فحملوه اليه ، وأخذ عاملها عبد الله بن يوسف ، وقيل انه كان معه خمسة عشر ألف بغل تحمل صناديق الاموال،وأواني الذهب والفضة والسلاح سوى ماتحمل من المضارب والخيام والاثقال •

(١) من غلمان المعز ، أي من قادة الفاطميين العسكريين .
(٢) مقس النيل معروف في القاهرة .

وفي سنة ستين وثلاثمائة أيضا بنى جوهر سورا على القصور التي بناها في سنة ثمان وخمسين وجعلها بلدا وسماها المنصورية[1]،ولما استقر المعز بها سماها القاهرة.

وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة، في المحرم ، كبس ياروق[2] ، الفرما ، وأخرج منها ابن العمر القرمطي ، وأرسل الى مصر رؤوسا وأعلاما ، وغير ذلك .

وفي هذا الشهر عصى أهل تنيس وغيروا الدعوة ، ودعوا للمطيع والقرامطة وحاربوا ياروق ، وفي صفر وصل ياروق منهزما من القرامطة وهم في أثره ، وأقبلت عساكر القرامطة حتى بلغوا عين شمس .

واستعد القائد للقائهم ، وأغلق الابواب التي بناها ، وفي مستهل ربيع الاول جاءت مقدمة القرامطة ، ووقعوا على الخندق ، فقاتلهم القائد واشتد القتال ، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة ، وأصبح الناس متكافئين للقتال ، وسار الاعصم القرمطي بجميع عسكره ، ووقع القتال على الخندق والباب مغلق ، وعمل القائد جوهر الحيلة فانهزم عن القرمطي ودام القتال الى الزوال ، ثم فتح القائد الباب وانتصب للقتال ، وخرجت العبيد والمغاربة الى القرامطة واشتد القتال واضطرب الناس في المدينة ، وكثرت القتلى من الفريقين ، وانهزم الاعصم القرمطي ، وأراد المغاربة أتباعه فمنعهم القائد جوهر لدخول الليل ، وخشية من مكيدة ، أو كمين ، ونهبت صناديق القرمطي، ودفاتره .

وفارق القرمطي من كان معه من الاخشيدية والعرب ، قيل : وهذه أول هزيمة كانت للقرامطة .

ثم وصل بعد الكسرة بيومين أبو محمد الحسن بن عمار بمدد معه من جهة المعز ، وهرب القرمطي ، الذي كان بتنيس ، وعادت الدعوة المعزية بها .

وفي شهر ربيع الاخر ، قبض على أربعمائة وأربعين رجلا من الاخشيدية والكافورية ، وقيدهم وحبسهم ، وفي شعبان منها ورد على القائد جوهر رسول ملك الروم برسالته وهديته .

---

(١) يلاحظ ان جوهر بعد فتحه لمصر لم يكن لديه مشروع بناء مدينة جديدة ، بل كل ما فعله بناء عدة قصور ، انما بعدما اجبر على احاطة هذه القصور بسور ظهر الى الوجود مشروع مدينة جديدة هي القاهرة .

(٢) من أمراء الجند الفاطمي .

وفي شهر رمضان لسبع خلون منه ، كمل بناء الجامع بالقاهرة ، وجمعت فيه الجمعة ، وفي شوال منها ابتدأ القائد جوهر بحفر الخندق الذي كان عبد الرحمن بن جحدم[1] خليفة عبد الله بن الزبير حفرة قبلي مصر ، ثم شق الخندق حتى بلغ قبر الامام الشافعي رحمه الله ، فعدل به عنه في شقه مشرقا الى الجبل ، على المقابر ، أراد بذلك أن يحفظ طريق الفج من ناحية القلزم •

وفي ذي القعدة منها خرج أبو محمد الحسن بن عمار الى تنيس ، فسار اليه اسطول القرامطة ، فواقعهم وأسر منهم سبع مراكب وسيرهم الى مصر ومعهم خمسمائة رجل منهم •

ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطي وجواب القرمطي

قال بعض المؤرخين : لما استقر المعز بالقاهرة ، أهمه أمر الاعصم القرمطي ، فرأى أن يكتب اليه كتابا يعلمه فيه أن المذهب واحد ، وأن القرامطة استبدوا وهم سادتهم في هذا الامر ، وبهم وصلوا الى هذه الرتبة ، فكتب اليه المعز كتابا مشحونا بالمواعظ ، وضمنه من أنواع الكفر ما لا يصدر الا عن مارق من الدين[1] •

كان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن اسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلالة خير النبيين ، ونجل أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد •

وأول الكتاب : رسوم النطقاء ومذاهب الائمة والاولياء ، ومسالك الرسل والانبياء السالف منهم والآنف ، صلى الله علينا وعلى آبائنا أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار ، وسالف الازمان والاحضار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله •

---

(1) انظر كتاب الولاة والقضاة للكندي • ط• بيروت ١٩٠٨ ، ٤٠ — ٤١ •

(٢) انظر نصه الكامل فيما يلي في نص اتعاظ الحنفا للمقريزي ، مع التنبه الى أن النويري مصدر اساسي للمقريزي .

الابتداء بالاعذار ، والانتهاء الى الانذار . قبل انفاذ الاقدار ، في أهل الشقاق والاصرار لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسبما قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[1] » « وان من أمة الا خلا فيها نذير »[2]

وقد ذكرنا في أخبار القرامطة جملة من مواعظ هذا الكتاب على ما نقف عليه هناك ومن جملته ، ما لم نذكره هناك : أما علمت أني « نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة[3] » ، أعلم « خائنة الاعين وما تخفي الصدور[4] » ، وحشاه بأنواع من الكفر وحضه على اقتفاء آثار آبائه وعمومته في موالاتهم . فقال : « ان آباءك كانوا أتباع آبائي » ، ثم قال فيه بعد الاطالة : وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ووقت مذكور ، لا نرفع قدما ولا نضع قدما ، الا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم .

ثم قال فيه : وأما أنت أيها الغادر الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، الموقد لنار الفتنة ، الخارج عن الجماعة والسنة ، لم أغفل أمرك ولا خفي علي خبرك ، وانك مني بمنظر وبمسمع ، قال الله تعالى : « اني معكما أسمع وأرى[5] » « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا[6] » ، فعرفنا على أي أصل أصلت ، وأي طريق سلكت .

وقال في فصل منه : انا لسنا مهمليك ولا ممهليك الا ريثما يردنا كتابك والوقوف على مجرى جوابك ، فانظر لنفسك ما تبقي ليومك ومعادك ، قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ « لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا »[7] .

ثم ختمه بأن قال : فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم ، أو مراح غنم ، « وإما نرينك بعض الذي نعدهم[8] » « فإنا عليهم مقتدرون[9] » . هكذا وأنت في القفص

---

(١) سورة الاسراء : ١٥ .
(٢) سورة فاطر : ٢٤ .
(٣) سورة الهمزة : ٦ – ٧ .
(٤) سورة غافر : ١٩ .
(٥) سورة طه : ٤٦ .
(٦) سورة مريم : ٥٨ .
(٧) سورة الانعام : ١٥٨ .
(٨) سورة يونس : ٤٦ .
(٩) سورة الزخرف : ٤٢ .

مصفوداً[١] » « أو نتوفينك فإلينا مرجعهم[٢] » عندهـا تخسر الدنيـا والآخرة « ذلك هو الخسران المبين[٣] » . « فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى . الذي كذب وتولى[٤] » « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون[٥] » فليتدبر من كان ذا تدبر ، وليتفكر مـن كان ذا فكر وليحذر يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله[٦] » « ويا حسرتنا على ما فرطنا[٧] » و « ياليتنا نـُـرد فنعمل غير الذي كنا نعمل[٧] .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى[وحسبنا الله وكفى[٩]] وهو حسبنا ونعم الوكيل .

قال : فلما وقف الحسن بن أحمد القرمطي على هذا الكتاب المطول ، كتب جوابه بعد البسملة : وصل كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على اثره ، والسلام .

وقيل انه كتب : الجواب ما تراه دون ما تسمعه . وقيل : [٤٤] انه كتب اليه:

ظنت رجال الغرب أن مهولتي بمحالها وأخو المحـال ذليل
ان لم أرو النيـل من دمهم فـلا نلت المراد ولا سقاني النيـل

وفي سنة ثلاث وثلاثمائة ، في شعبان بلغت مقدمة القرامطة الى أرباض مصر وأطراف المحلة ، فنهبوها وجبوا الخراج ، واستقر الاعصم القرمطي ببلبيس ، فتأهب المعز للقائه ، وعرض العساكر ، وفرق بينهم الاموال والسلاح ، وسير جيشا قدم عليه ولده عبد الله ، فالتقى مع الاعصم ، فانهزم القرمطي ، وأسر جماعة من رجاله ، وجهز جيشا آخر ، قدم عليه ريان الصقلبي في أربعة آلاف فارس ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها .

---

(١) في الاصـل « ... نعدهـم أو نتوفينك » « فانا عليهم مقتدرون » هكذا رايت والتلاوة في سورة القصص . وهو تصحيف صوابه ما اثبتنا من رواية المقريزي في اتعاظ الحنفا التي تلي هذه الرواية في كتابنا هذا .
(٢) سورة يونس : ٤٦ . (٣) سورة الحـج : ١١ .
(٤) سورة الليل : ١٤ ــ ١٦ . (٥) سورة الاحقاف : ٣٥ .
(٦) سورة الزمر : ٥٦ . (٧) سورة الانعام : ٣١ .
(٨) سورة الانعام : ٢٧ . (٩) زيد من رواية المقريزي ، وبه يستقيم السياق .

كتــاب

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفــا

ذكر طرف من أخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الاهوازي لما خرج داعية الى العراق لقي حمدان بن الاشعث قرمط بسواد الكوفة ، ومعه ثور ينقل عايه ، فتماشيا ساعة فقال حمدان للحسين : « اني أراك جئت من سفر بعيد وأنت معي فاركب ثوري هذا » فقال الحسين : « لم أومر بذلك » فقال له حمدان : « كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ » قال : « نعم » قال : « ومن يأمرك وينهاك ؟ » قال : « مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة » . فبهت حمدان قرمط يفكر ، ثم قال له : « يا هذا : ما يملك ما ذكرته الا الله » قال : « صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء » قال حمدان: « فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » وكان الحسين لما رأى قرمط في الطريق سأله : « وكيف الطريق الى قس بهرام[1] » . فعرفه قرمط أنه سائر اليه ، فسأله عن قرية تعرف « ببانبورا »[2] في السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته ، وكان قرمط من قرية تعرف « بالدور » على نهر « هد » من رستاق « مهزود » من طسوج « فرات بادولي »[3] .

وانما قيل له قرمط لأنه كان قصيرا ورجلاه قصيرتين ، وخطوه متقاربا ، فسمي لذلك قرمطا .

فلما قال للحسين : « ما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » قال له : « رفع الى جراب فيه علم وسر من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم » .

[٢٤ ــ و] وابتدأ يدعوه ، فقال له حمدان قرمط : « يا هذا : نشدتك الله ، ألا دفعت الي [شيئا] من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ؟ » .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي مصادر أخرى « ساباط نوح » ولم اقف لهما على ذكر في المصادر المتوفرة من المكتبة الجغرافية .

(٢) لها ذكر في فتوحات خالد بن الوليد ، قريبا من الحيرة ــ معجم البلدان .

(٣) الطسوج : النواحي وجميع المواقع التي اتى على ذكرها هي من سواد بغداد . انظر معجم البلدان ــ مواد : مهزود . بادولي ، الدور .

قال له : « لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقي اليك ما ينفعك » .

فما زال يضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟

قال له : قرمط [ثم قال له] : « قم معي الى منزلي حتى تجلس فيه ، فان لي اخوانا أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي » .

فصار معه الي منزله ، وأخذ على الناس العهد ، وأقام بمنزل حمدان قرمط ، فأعجبه أمره ، وعظمه ، وكان الحسين على غاية ما يكون من الخشوع صائما نهاره ، قائما ليله ، فكان المغبوط من أخذه الى منزله ليلة وكان يخيط لهم الثياب ، ويكتسب بذلك ، فكانوا يتبركون به وبخياطته .

وأدرك التمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي — وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل — الى عمل ثمره ، فوصف له الحسين الاهوازي ، فنصبه لحفظ ثمره ، والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها ، واحتاط في أداء الامانة ، وظهر منه من التشدد في ذلك ما خرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الامور ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين .

واستحكمت ثقة الناس به ، وثقته هو بحمدان قرمط ، وسكونه اليه فأظهر له أمره ، وكان قد دعا اليه أنه جاء بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : يقول الفرج بن عثمان : انه داعية المسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وأن المسيح تصور له في جسم انسان ، وقال : انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة وانك الدابة ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الاذان في كل صلاة أن يقول المؤذن :

الله أكبر   ثلاث مرات

أشهد ألا اله الا الله   مرتين

أشهد أن آدم رسول الله

أشهد أن نوحا رسول الله

أشهد أن ابراهيم رسول الله

[أشهد أن موسى رسول الله][1] .

أشهد أن عيسى رسول الله

أشهد أن محمداً رسول الله

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية [رسول الله][1] .

والقراءة في الصلاة :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، « قل ان الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور[2] والأيام ، وباطنها لأوليائي الذين عرفوا عبادتي وسبيلي ، فاتقوني يا أولي الالباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي ، وأخلدته في نعيمي ، ومن زال عن أمري، وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي وأنا الذي لم يعل جبار الا وضعته ، ولا عزيز الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره ، ودام على جهالته ، وقال : « لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون » . ثم يركع[3] .

ومن شرائعه : صيام يومين في السنة همـا : المهرجان[4] ، والنوروز[5] وأن

---

(1) زيد ما بين الحاصرتين عن الكامل لابن الاثير : ١٧٩/٧ .

(2) انظر سورة البقرة : ١٨٩ ، فقد تم التصرف بها،ونال هذا عددا آخر من الآيات.

(3) في ابن الانير ـ الكامل : ١٧٨/٧ بعد هذا اللفظ جملة تكميلية هـذا نصهـا : « ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين . فاذا سجد قال : « الله أعلى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم » .

(4) كان المهرجان من اعياد الفرس القديمة ، ويوافق موسم جمع المحاصيل والغلال.

(5) النوروز ـ ويقال النيروز ـ لفظ فارسي معرب ، ومعناه اليوم الجديد : وكان الفرس يتخذونه عيدا ايضا ، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعي ـ انظر المعرب للجواليقي .

الخمر حلال ولا غسل من جنابة ، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة وأن لا يؤكل ما له ناب ولا مخلب ولا يشرب النبيذ ، وأن القبلة الى بيت المقدس ، والحج اليه ، وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شغل •

ولما حضرته الوفاة جعل مكانه حمدان بن الاشعث قرمط ، وأخذ على أكثر أهل السواد ، وكان ذكيا داهية •

فكان ممن أجابه : مهرويه بن زكرويه السلماني ، وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق البوراني ، وعطيف النيلي ، وغيرهم ، وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس •

وكان أكبر دعاته عبدان ، وكان فطنا خبيثا ، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ، ذا فهم وحذق ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له ، من غير أن يتجاوز به الى غيره ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو الى الامام من آل رسول الله ﷺ محمد بن اسماعيل بن جعفر •

فكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان شابا ذكيا فطنا من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ، فنصبه عبدان على اقليم نهر هد وما والاه ، ومن قبله دعاة جماعة متفرقون في عمله •

وكان [٢٤ ــ ظ] داعية عبدان على فرات بادولي : الحسن بن أيمن ، وداعيته على طسوج تستر : المعروف بالبوراني ــ واليه نسب البورانية ــ ، وداعيته على جهة أخرى المعروف بوليد ، وفي أخرى أبو الفوارس • وهؤلاء رؤساء دعاة عبدان ، ولهم دعاة تحت أيديهم ، فكان كل داع يدور في عمله ويتعاهده في كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة •

ودخل في دعوته من العرب طائفة ، فنصب فيهم دعاة ، فلم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبيعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل : من بني عابس ، وذهل وعنزة ، وتيم الله ، وبني ثعل ، وغيرهم من بني شيبان ، فقوي قرمط ، وزاد طمعه ، فأخذ في جمع الاموال من قومه •

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهما عن كل واحد ، وسمى ذلك : « الفطرة » ، على كل أحد من الرجال والنساء ، فسارعوا الى ذلك •

فتركهم مديدة ، ثم فرض « الهجرة » ، وهو دينار على كل رأس أدرك ، وتلا قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم »[1] وقال : « هذا تأويل هذا » فدفعوا ذلك اليـه ، وتعاونوا عليه ، فمن كان فقيرا أسعفوه فتركهم مديدة ، ثم فرض عليهم « البلغة » وهي سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو « البرهان » الذي أراد الله بقوله : « قـل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[2] وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الايمان،والدخول في السابقين المذكورين في قوله تعالى:« والسابقون السابقون أولئك المقربون »[3].

وصنع طعاما طيبا حلوا لذيذا ، وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى اليه سبعة دنانير منها واحدة ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، فكان ينفذ الى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، لكل واحدة منها سبعة دنانير.

فلما توطأ له الامر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم: « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه[4] — الآيـة » — ، فقوموا جميـع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا ذلك اليه ، فكانت المرأة تخرج خمس ما تغزل ، والرجل خمس ما يكسبه .

فلما تم ذلك فرض عليهم « الألفة » ، وهو أن يجمعوا أموالهم في موضـع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا[5] » — الآية — ، وقوله تعالى : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم[6] » .

وعرفهم أنه لا حاجة بهم الى أموال تكون معهم ، لأن الارض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال : « هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون » . وطالبهم بشراء السلاح واعداده .

---

(1) سورة التوبة : ١١٣ .
(2) سورة البقرة : ١١١ .
(3) سورة الواقعة : ١٠ .
(4) سورة الانفال : ٤١ .
(5) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(6) سورة الانفال : ٦٣ .

وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين •

وأقام الدعاة في كل قرية : رجلا مختاراً من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم ، وحلي ، ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم وينفق على سائرهم ما يكفيهم ، ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته ، وجمعت المرأة كسبها من مغزلها ، والصبي أجرة نطارته للطير ، وأتوه به ، فلم يتملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه •

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ، ويتراكبن ولا يتنافرن ، فان ذلك من صحة الود والالفة بينهم •

فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبين مقدار عقولهم ، أخذ في تدريجهم ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية ، فسلكوا معه في ذلك حتى يقضي ماكان يأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى ، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الاموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم ، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق تغني [عن] كل شيء ، ولا يخاف معه اثم ولا عذاب — يعني إمامه الذي يدعو إليه ، وهو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق — وأنه الامام المهدي الذي [٢٥ — و] يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق ، وأن البيعة له ، وأن الداعي انما يأخذ على الناس له ، وأن ما يجمع من الاموال مخزون له الى أن يظهر ، وأنه حي لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان ، وأنه مهدي الامة •

فلما أظهر هذه الامور كلها بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحجة والامام ، وأنه المعول والمقصد والمراد ، وبه اتسقت هذه الامور ، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم ، ظهر في كثير منهم الفجور ، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم — جزعا منهم — •

ثم ان الدعاة اجتمعوا ، واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ، ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة — في طسّوج

الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات ـ قرية تعرف « بمهتماباذ » ، فحاذوا صخرا عظيما ، ثم بنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت، وبنوا فيها البناء العظيم، وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت « دار الهجرة » ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلم يبق حينئذ أحد الا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه وتمكنهم في البلاد .

وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الاعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء ، وبسطوا أيديهم في البلاد ، وعلت كلمتهم .

وكان منهم مهرويه أحد الدعاة في مبدأ أمره ينظر النخل ويأخذ أجرته تمرا فيفرغ منه النوى ويتصدق به ، ويبيع النوى ويتقوت به، فعظم في أعين الناس قدره، وصارت له مرتبة في التقية والدين[1] ، فصار الى صاحب الزنج لما ظهر على السلطان وقال له : « ورائي مائة ألف ضارب سيف أعينك بهم » .

فلم يلتفت الى قوله ، ولم يجد فيه مطمعاً ، فرجع وعظم بعد ذلك في السواد ، وانقاد اليه خلق كثير ، فادعى أنه من ولد عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، فقيل له : « لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله[2] » .

فكف عن هذه الدعوى ، وصار بعد ذلك في قبة على جمل ، ودعي بالسيد ، وظهر بسواد الكوفة ، وسيأتي ذكر ابنه زكرويه ، وابن ابنه الحسين بن زكرويه ان شاء الله .

وكان رجل من أهل قرية جنابة[1] يعمل الفراء ، يقال له أبو سعيد الحسن بن

(١) هذه رواية ثانية عن أصل حركة القرامطة في العراق ، عرضها المقريزي دون ان ينبه على ذلك .

(٢) بانسياب سريع مزج المقريزي بين بداية حركة صاحب الجمل في الشام ومسألة نسبه ، وبين ما كان يجري في سواد العراق .

(٣) جنابة بلدة قائمة على ساحل فارس قبالة منطقة البصرة ـ معجم البلدان .

بهرام الجنابي[1] ، أصله من الفرس ، سافر الى سواد الكوفة وتزوج من قوم يقال لهم : « بنو القصار » كانوا من أصول هذه الدعوة فأخذ عن عبدان ، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط ، وسار داعية ، فنزل القطيف — وهي حينئذ مدينة عظيمة — فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر ، وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر ، في قوم ضعفاء ، ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك ، فبلغه أن بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا ، أنفذه عبدان قبل أبي سعيد وكان قد أخذ على بني سنبر من قبل ، فعظم أمره على أبي سعيد وقبض عليه وقتله ، فحقد عليه بنو سنبر قتلــه[2] .

واتفق أن البلد كان واسعا ، ولأهله عادة بالحروب ، وهم رجال شداد جهال ، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، حتــى اشتدت شوكته .

وكان لا يظفر بقرية الا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس ، وأجابه كثير منهم ، وفر منه خلق كثير الى بلدان شتى خوفا من شره ، ولم يمتنع عليه الا هجر — وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها ، وبها التجار والوجوه — فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، ثم وكل بها رجلا .

---

(١) في حاشية الاصل : « اختلف في أبي سعيد الجنابي ، فقال قوم : اسمه الحسن ابن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وانه ابن صاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة خمسين ومائتين ، وأن علي بن محمد كان مقيما بهجر ، ويعرف أنه شريف ويكرم ويعطي ، ثم انه خرج وجمع ، فقاتله العريان بن ابراهيم بأرض البحرين ، فانصرف الى القطيف وبنى بــأم أبي سعيد على سبيل الاستحلال ، وخرج من القطيف الى الاحساء ، وظهــر الحمل بأم أبي سعيد ، فلما ولدته سمته الحسن ، وكنته بأبي سعيد ، وكتمته سنة خوفا عليه ، وتزوجت برجل من أهل جنابة ، فنسب أبو سعيد اليه ، ونشأ على أنه رجل من أهل جنابة ، ينتسب الى من هو ربيب له ، وقيل ما ذكر في الاصل » .

(٢) في هذا اشارة الى قتل ابى سعيد — او أبي طاهر — للداعي ابي زكريا الصمامي أو الطمامي. انظر ما سبق قوله في نص القاضي عبد الجبار. اصول الاسماعيلية : ١٦٩ — ١٧١ القرامطة لدى غوية :١٠٢ — ١٠٨ .

وارتفع فنزل الاحساء ــ وبينها وبين هجر ميلان ــ فابتنى بها داراً وجعلها منزلاً، وتقدم في زراعة الارض وعمارتها [٢٥ ــ ظ] ، وكان يركب الى هجر ، ويحارب أهلها ، ويعقب قومه على حصارها .

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب ، وساروا اليه بحرمهم وأموالهم ، فأنزلهم الاحساء ، وأطمعوه في بني كلاب ، وسائر من يقرب منــه من العرب فضم اليهم رجالا ، وساروا فأكثروا من القتلى ، وأقبلوا بالحريم والاموال والامتعة الى الاحساء ، فدخل الناس في طاعته ، فوجه جيشا الى بني عقيل فظفر بهم ، ودخلوا في طاعتــه[1] .

فلما اجتمع اليه العرب مناهم ملك الارض كلها ، ورد الى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد ، ولم يرد عبدا ولا أمة ولا أيما ولا صبيا الا أن يكون دون الاربع سنين .

وجمع الصبيان في دور ، وأقام عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم ، ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوته طبعا لهم .

وقبض كل مال في البلد ، والثمار ، والحنطة ، والشعير . وأقام رعاة للابل والغنم ومعهم قوم لحفظها ، والتنقل معها على نوب معروفة ، وأجرى على أصحابه جرايات ، فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه .

هذا وهو لا يغفل عن هجر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهرا ، حتى أكلوا الكلاب ، فجمع أصحابه ، وعمل دبابات ، ومشى بها الرجــال الى السور ، فاقتتلوا يومهم ، وكثر بينهم القتلى ، ثم انصرف عنهم الى الاحساء ، وباكرهــم فناوشوه ، فانصرف الى قرب الاحساء ، ثم عاد في خيل ، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به فاذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء، تخرج من نشز من الارض غير بعيد منها، فيجتمع ماؤها في نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر ، ثم ينزل الى النخل فيسقيه ، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم .

---

(١) في هذا اشارة الى اثر القرامطة في دفع القبائل من عامــر بن صعصعة للهجرة شمالا . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٦٩ ــ ٣٧٢ .

فلما تبين له أمر العين ، انصرف الى الاحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة رجالا كثيرا ، ورجع الى الاحساء ، وجمع الناس كلهم ، وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف ، وأمر بجمع الحجارة ونقلها الى العين ، وأعد الرمل والحصى والتراب ، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة، فقذفته العين ، ولم يغن ما فعله شيئا ، فانصرف الى الاحساء بمن معه •

وغدا في خيل فضرب في البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه ، وانحدر على النهر نحوا من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك ، وأقبل يركب هو وجمعه في كل يوم والعمال يعملون حتى حفره الى السباخ ، ومضى الماء كله فصب في البحر ثم سار فنزل على هجر وقد انقطع الماء عنهم ، ففر بعضهم فركب البحر ، ودخل بعضهم في دعوته ، وخرجوا اليه فنقلهم الى الاحساء ، وبقيت طائفة لم يفروا لعجزهم ، ولم يدخلوا في دعوته فقتلهم ، وأخذ ما في المدينة وأخربها فبقيت خرابا ، وصارت مدينة البحرين هي الاحساء •

ثم أنفذ سرية الى عمان في ستمائة ، وأردفهم بستمائة أخرى فقاتلهم أهل عمان حتى تفانوا ، وبقي من أهل عمان خمسة نفر ومن القرامطة ستة نفر ، فلحقوا بأبي سعيد ، فأمر بهم فقتلوا ، وقال: « هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا » وتطير بهلاك السريتين ، وكف عن أهل عمان •

واتصل بالمعتضد بالله خبره ، فخاف منه على البصرة ، فأنفذ العباس بن عمرو الغنوي في ألفي رجل ، وولاه البحرين ، فخرج في سنة تسع ومائتين والتقى مع أبي سعيد فانهزم أصحابه وأسر العباس في نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتووا على عسكره ، وقتل من غده جميع الاسرى ، ثم أحرقهم وترك العباس ، ومضى المنهزمون فتاه أكثرهم في البر ، وتلف كثير منهم عطشا وورد بعضهم الى البصرة فارتاع الناس وأخذوا في الرحيل عن البصرة •

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباس بن عمرو ، وقال له : « أتحب أن أطلقك ؟ » قال : « نعم » قال : « على أن تبلغ عني ما أقول صاحبك »، [٢٦] قال : « أفعل » قال : « تقول له : الذي أنزل بجيشك ما أنزل ، بغيك ، هذا بلد خارج عن يدك ، غلبت عليه ، وقمت به ، وكان بي من الفضل ما آخذ به غيره ،

فما عرضت لما كان في يدك ، ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا ولا نلت أحدا من رعيتك بسوء ، فتوجيهك الي الجيوش لأي سبب ؟ اعلم أني لا أخرج من هذا البلد ولا تصل اليه وفي هذه العصابة التي معي روح ، فاكفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيها فائدة ، ولا تصل الى مرادك [منه] الا ببلوغ القلوب الحناجر » .

وأطلقه ، وبعث معه من يرده الى مأمنه ، فوصل الى بغداد في شهر رمضان ، وقد كان الناس يعظمون أمره ويكثرون ذكره ، ويسمونه « قائد الشهداء » فلما وصل الى المعتضد عاتبه على تركه التحرز ، فاعتذر ولم يبرح حتى رضي عنه وسأله خبره ، فعرفه جميعه ، وبلغه ما قال القرمطي ، فقال : « صدق ما أخذ شيئا كان في أيدينا » وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه وقال : « كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمري لأشخصن بنفسي الي البصرة وجميع غلماني ، ولأوجهن اليه جيشا كثيفا ، فان هزمه وجهت [بعده] جيشا ، فان هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي اليه حتى يحكم الله بيني وبينه » .

فشغل المعتضد عن القرمطي بأمر وصيف غلام أبي الساج(١) .

ثم توفي في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وما يزال يذكر أبا سعيد الجنابي في مرضه ، ويتلهف ويقول : « حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفي الاضربت عنقه، واني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة» .

وأقبل أبو سعيد ـ بعد اطلاق العباس ـ على جمع الخيل ، واعداد السلاح ونسج الدروع والمغافر ، واتخاذ الابل ، واصلاح الرجال، وضرب السيوف والأسنة، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الاعراب من قريته ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال واصلاح أراضي المزارع وأصول النخل ، واصلاح مثل هذه الامور وتفقدها ، ونصب الامناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده أن الشاة اذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والاكارع والبطن الى العبيد والاماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على

(١) انظر خبر ذلك في الكامل لابن الاثير : ٦/٩٤ .

من يغزله ، ثم يدفعه الى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، ثم الى خرازي القرب والروايا ، والمزاود ، وماكان من الجلود يصلح نعالا وخفا عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله الى خزائن •

فكان ذلك دأبه لا يغفله ، ويوجه كل قليل خيلا الى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت ، وتصير بهم اليه ويستعبدهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيبته في صدور الناس •

وواقع بني ضبة وقائع مشهورة ، فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبساً عظيما جمعهم فيه ، وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، ويسيراً بحال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم •

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادما له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره ، فأضمر الخادم قتله ، حتى اذا دخل الحمام معه ــ وكانت الحمام في داره ــ فأعد الخادم خنجرا ماضيا ــ والحمام خال ــ فلما تمكن منه ذبحه ، ثم خرج فقال : « يدعى فلان » لبعض بني سنبر فأحضر ، فلما دخل قبضه وذبحه ، فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، فدخل آخرهم فاذا في البيت الاول دم جار ، فارتاب وخرج مبادرا ، وأعلم الناس ، فحصروا الخادم حتى دخلوه ، فوجدوا الجماعة صرعى [٢٦ ــ ظ] وذلك في سنة احدى وثلاثمائة ، وقيل اثنتين وثلاثمائة ، وكان قتله بأحساء من البحرين • وكانت سنه يوم قتله نيفا وستين سنة •

وترك أبو سعيد من الاولاد : أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا اسحاق ابراهيم ، وأبا العباس محمدا، وأبا يعقوب يوسف•

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته ، وأوصى ان حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه الى أن يكبر أبو طاهر ، وكان أبو طاهر أصغر سنا من سعيد فاذا كبر أبو طاهر كان المدبر ، فلما قتل جرى الامر على ذلك •

وكان قد قال لهم : ستكون الفتوح له ، فجلس سعيد يدبر الامر بعد قتل [أبيه] ، وأمر فشد الخادم بحبال ، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات •

فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد الى أخيه أبي طاهر سليمان الامر، فعظموا أمــره •

وكان ابتداء أمر أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي بالقطيف وما والاها في سنة ست وثمانين ومائتين ، فكانت مدته نحو خمس عشر سنة •

الصناديقــي

وفيها : استولى النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقي على اليمن ، وكانت جيوشه بالمذيخرة وسهفنة[1] ، وكان ابن أبي الفوارس ـ أحد دعاة عبدان ـ أنفذه داعيا الى اليمن ، وكان من أهل النرس[2] ـ موضع يعمل فيه الثياب النرسية، وكان يعمل من الكتان ـ فصار الى اليمن ودخل في دعوته خلق كثير ، فأظهر العظائم وقتل الاطفال ، وسبى النساء ، وتسمى برب العزة ، وكان يكاتب بذلك ، وأعلن سب النبي ﷺ وسائر الانبياء ، واتخذ دارا خاصة سماها « دار الصفوة » يجتمع فيها النساء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن ، من تحبل منهن في تلك الليلة ومن تلد من ذلك ، ويتخذ تلك الاولاد لنفسه خولا ، ويسميهم « أولاد الصفوة » •

قال بعضهم :

« دخلت اليها لأنظر فسمعت امرأة تقول : « يا بني » ، فقال : يا أمة نريد أن نمضي أمر ولي الله فينا » • وكان يقول : « اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ، ولا ولد من ولد ، فتكونوا كنفس واحدة » • فعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه ، وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمدا بن يحيى بن الحسين بن القاسم ابن ابراهيم الحسني ، الهادي[3] ، وأزاله عن عمله من صعدة ففر منـه بعياله الى الرس ، ثم أظفره الله به فهزمه بأمر الهي ، وهو أن الله جلت قدرته ألقى على عسكره وقد بايته بردا وثلجا قتل به أكثر أصحابه في ليلة واحدة ، وقلما عرف مثل ذلك في تلك الناحية •

---

(١) قرية قبلي الجند على ثلاث مراحل منها لدى سفال ، واسمها الآن سفنة ، انظر طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي نشر فؤاد السيد : ٣١٨ .

(٢) نرس نهر يأخذ من الفرات عليه عـدة قرى ، واليه تنسب الثياب النرسيـة . معجم البلدان .

(٣) المقصود بالهادي يحيى بن الحسين .

وسلط الله عليه الأكلة ، وذلك أن أبا القاسم أنفذ اليه طبيبا بمبضع مسموم فصده به فقتله ؟ وأنزل الله بالبلدان التي غلب عليها بثرا يخرج في كتف الرجل منهم بثرة فيموت سريعا ، فسمى ذلك البثر ـ بتلك البلاد ـ « حبة القرمطي » مدة من الزمان .

وأخرب الله أكثر تلك البلاد التي ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع فاعتصم ابنه بجبال وأقام بها ، وكاتب أهل دعوتهم ، وعنون كتبه[1] :

« من ابن رب العزة » .

فأهلكه الله ، وبقي منهم بقية ، فاستأمنوا الى أبي القاسم بن يحيى الهادي ، ولم يبق للنجار ـ لعنه الله ـ ولا لمن كان على دعوته بقية .

وكان قرمط يكاتب من بسلمية ، فلما مات من كان في وقته[2] ، وخلفه ابنه من بعده كتب الى قرمط فأنكر منه أشياء ، فاستراب ، وبعث ابن مليح ـ أحد دعاته ـ ليعرف الخبر فامتنع ، فأنفذ عبدان ، وعرف موت الذي كانوا يكاتبونه ، فسأل ابنه عن الحجة ، ومن الامام الذي يدعو اليه ، فقال الابن : « ومن الامام ؟» . فقال عبدان : « محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان » . فأنكر ذلك وقال : « لم يكن امام غير أبي ، وأنا أقوم مقامه » .

فرجع عبدان الى قرمط ، وعرفه الخبر ، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقاً من قول صاحب سلمية : « لا حق لمحمد بن اسماعيل في هذا الامر ولا إمامة » .

وكان قرمط انما يدعو الى إمامة محمد بن اسماعيل ، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها امتدت في سائر الاقطار ، ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسلمية .

وكان رجل منهم قد نفذ الى الطالقان يبث الدعوة فلما انقطعت المكاتبة طال [٢٧ ـ و] انتظاره ، فشخص يسأل عن قرمط ، فنزل على عبدان بسواد الكوفة ،

---

(١) المشكلة الاساسية مع المقريزي ـ انه حاطب ليل ـ نادرا ما يذكر مصادره، وعلى هذا الاساس لا نستطيع تحديد مصادر الوهم الذي تسرب الى هذه الرواية . قارنها مع ما تقدم عند صاحب كشف أسرار الباطنية،وما سيأتي عند الخزرجي.

(٢) أي إماماً متولياً لشؤون الدعوة .

فعتبه وعتب الدعاة في انقطاع كتبهم ، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة ، وأنهم لا يعودون فيها ، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فانصرف عنه الى زكرويه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه ، ويجمع الرجال ، فقال زكرويه : « ان هذا لا يتم مع عبدان لأنه داعي البلد كله والدعاة من قبله ، والوجه أن نحتال على عبدان حتى نقتله » وباطن على ذلك جماعة من قرابته وثقاته ، وقال لهم : « ان عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة » فبيتوه ليلاً وقتلوه ، فشاع ذلك ، وطلب الدعاة وأصحاب قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم كلهم الا أصل دعوته ، وتنقل في القرى ــ وذلك في سنة ست وثمانين ــ والقرامطة تطلبه الى سنة ثمان وثمانين ، فأنفذ ابنه الحسن الى الشام[1] ، ومعه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمد، وأمره أن يقصد بني كلب ، وينتسب الى محمد بن اسماعيل ، ويدعوهم الى الامام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني العليص ومواليهم وبايعوه ، فبعث الى زكرويه يخبره بمن استجاب له بالشام ، فضم اليه ابن أخيه ــ فتسمى بالمدثر لقباً ،وبعبدالله اسماً، وتأول أنه المذكور في القرآن بالمدثر ويقال ان المدثر هذا اسمه عيسى بن مهدي، وأنه تسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وعهد اليه حاصب الخال من بعده ، وغلاما من بني مهرويه تلقب بالمطوق[2] ــ وكان سيافاً ــ .

وكتب الى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة له ، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وأنكر قوم هذا النسب ، وقالوا انما اسمه يحيى بن زكرويه بن مهرويه ، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة ، وبصاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الخال ، القائم من بعده ، فسار حتى نزل في بني كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه ، وسر به ، وجمع له الجموع ، وقال : « هذا صاحب الامام » ، فامتثلوا أمره ، وسروا به ، فأمرهم بالاستعداد للحرب ، وقال : « قد أظلكم النصر » ففعلوا ذلك .

---

(١) شرع المقريزي هنا في تقديم رواية جديدة عن اصل صاحب الجمل زعيم قرامطة الشام الاول .

(٢) مما يثير الانتباه وجود مطوق مع زعيم قرامطة الشام ، ومثيله في اليمن ايضا .

واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي ـ مولى المعتضد ـ في سنة تسع وثمانين فقصدهم ، فحاربوه وقتلوه في عدة من أصحابه بالرصافة من غربي الفرات ، ودخلوا فأحرقوا مسجدها ونهبوا .

وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها الى أن وردوا أطراف دمشق ، وكان عليها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ـ فبرز اليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه ، والتجأ الى دمشق فحصروه وقتلوه .

وكان القرمطي يحضر الحرب على ناقة ، ويقول لأصحابه : ولا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا ، فانه لا ترد لكم راية ، اذ كانت مأمورة[1] » . فسمي بذلك : « صاحب الناقة » .

فأقام طغج سبعة أشهر محصورا بدمشق ، فكتب الى مصر بأنه محصور وقد قتل أكثر أصحابه ، وضرب البلد ، فأنفذ اليه بدر الكبير ـ غلام ابن طولون المعروف بالحمامي ـ فسار حتى قرب من دمشق ، فاجتمع هو وطغج على محاربة القرمطي بقرب دمشق ، فقتل القرمطي واحتمى أصحابه وانحازوا ، فمضوا ، وكان [القرمطي] قد ضرب دارهم ودنانير وكتب عليها :

« قل جاء الحق وزهق الباطل »[2] .

وفي الوجه الآخر : « لا إله إلا الله » ، « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »[3] .

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قتل محمد بن عبد الله « صاحب الناقة » بايعوا الحسن بن زكرويه ـ وهو الذي يقال له أحمد بن عبد الله ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ويعرف « بصاحب الخال » ـ، فسار

---

(١) اهتم قرامطة الشام ـ أقصد الزعماء باظهار بأن لكل واحد منهما علامة تدل عليه، واستعبرت أفكار العلامات من السيرة النبوية ، فهذا صاحب الجمل استعار قصة ناقة الرسول ﷺ حين دخل المدينة مهاجراً اليها ، وصاحب الخال استعار فكرة خاتم النبوة فجعله على وجهه .

(٢) سورة الاسراء : ٨١ .

(٣) سورة الشورى : ٢٣ .

بهم ، وافتتح عدة مدن من الشام ، وظهر على حمص ، وقتل خلقاً ، وتسمى بأمير المؤمنين المهدي على المنابر وفي كتبه،وذلك في سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين •

ثم صاروا الى الرقة ، فخرج اليهم مولى المكتفي وواقعهم فهزموه وقتلوه ، واستباحوا عسكره ، ورجعوا الى [٢٧ ــ ظ] دمشق وهم ينهبون جميع ما يمرون به من القرى، ويقتلون ويسبون، فخرج اليهم جيش كثيف عليه بشير ــ غلام طغج ــ وقاتلهم حتى قتل في خلق من أصحابه •

واتصل ذلك بالمكتفي بالله فندب أبا الاغر السلمي ــ في عشرة آلاف ــ وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسعين ، فسار حتى نزل حلب ، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوق ، فانهزم أبو الاغر ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون ويأسرون حتى حجز بينهم الليل وقد أتوا على عامة العسكر ، ولحق أبو الاغر بطائفة من أصحابه ، فالتجؤوا بحلب ، وصار في نحو الألف ،فنازله القرامطة ، فلم يقدروا منه على شيء فانصرفوا • وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابه ، وسار بهم الى حمص ، فخطب له على منابرها ثم سار الى حماة والمعرة ، فقتل الرجال والنساء والاطفال ، ورجع الى بعلبك فقتل عامة أهلها ثم سار الى سلمية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأمنهم ، ودخلها فبدأ بمن فيها من بني هاشم ، ــ وكانوا جماعة ــ فقتلهم ثم كر على أهلها فقتلهم أجمعين ، وخربها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، فلم يمر بقرية الا أخربها ، ولم يدع فيها أحدا ، فخرب البلاد وقتل الناس، ولم يقاومه أحد ، وفنيت رجال طغج ، وبقي في عدة يسيرة ، فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم الا العامة وقد أشرفوا على الهلكة ، فكثر الضجيج ببغداد واجتمعت العامة الى يوسف بن يعقوب القاضي ، وسألوه انهاء الخبر الى السلطان •

ووردت الكتب من مصر الى المكتفي بخبر قتل عسكرهم الذي خرج الى الشام بيد القرامطة ، وخراب الشام ، فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد ، وخرج الى مضربه في القواد والجند لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان ، ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها ، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص وقلد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشاً كثيفاً ــ وكان صاحب ديوان العطاء ــ

وعرض الجيش فسار اليهم والتقاهم لست خلون من المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجال القرامطة فولوا مدبرين •

وكان الحسن بن زكرويه لما أحس بالجيوش اصطفى مقاتلة ممن معه ، ورتب أحوالهم ، فلما انهزم أصحابه ، رحل من وقته ، وتلاحق به من أفلت ، فقال لهم : « أتيتم من قبل أنفسكم وذنوبكم وانكم لم تصدقوا الله » ، وحرضهم على المعاودة الى الحرب ، فاعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فقال لهم : « قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ودعاتي بها ينتظرون أمري ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد — صاحبي — وكتبي ترد عليه بما يعمل ، فاسمعوا وأطيعوا » •

فضمنوا ذلك له، وشخص معه قريبه عيسى بن أخت مهرويه المسمى «بالمدثر لله» وصاحبه المعروف « بالمطوق » ، وغلام له رومي ، وأخذ دليلا يرشدهم الى الطريق، فساروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك في البرية وتجنب القرى والمدن حتى صار قريبا من الرحبة بموضع يقال له الدالية ، فأمر الدليل فسار بهم اليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من معه لابتياع ما يصلحه ، فدخل القرية فأنكر بعض أهلها زيه ، وسأله عن أمره وتلجلج ، فارتاب به وقبض عليه ، وأتي به واليها — ويقال له أبو خبزة وكان يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات — فسأله أبو خبزة ورهب عليه ، فعرفه أن القرمطي الذي خرج الخليفة المكتفي في طلبه خلف رابية أشار اليها ، فسار الوالي مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقا ، وتوجه بهم الى ابن كشمرد ، فصار بهم الى المكتفي — وهو بالرقة — فشهرهم بالرقة ، وعلى الحسن بن زكرويه دراعة ديباج وبرنس حرير ، وعلى المدثر دراعة وبرنس حرير ، وذلك لأربع بقين من المحرم •

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه الى الرقة — ومعه الأسرى — فخلف المكتفي عساكره مع محمد بن سليمان بالرقة ، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره [٢٨ — و] القاسم بن عبيد الله الى بغداد ، ومعه القرمطي وأصحابه •

فلما صار الى بغداد عمل له كرسي سمكه ذراعان ونصف ، وركب على فيل وأركب عليه ، ودخل المكتفي وهو بين يديه مع أصحابه الاسرى ، وذلك ثالث ربيع الاول ، ثم سجنوا .

فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لاثنتي عشرة خلت منه، أمر المكتفي القواد بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زي حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، فخلع عليه ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسوروا .

وأمر [المكتفي] ببناء دكة في الجانب الشرقي مربعة ، ذرعها عشرون ذراعا في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع ، يصعد اليها بدرج ، فلما كان لأربع بقين منه خرج القواد والعامة ، وحمل القرامطة على الجمال الى الدكة ، وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل دون ذلك .

وقدم الحسن بن زكرويه ، وعيسى بن أخت مهرويه الى أعلى الدكة ، ومعهما أربعة وثلاثون انسانا من وجوه القرامطة ممن عرف بالنكاية ، وكان الواحد منهم يبطح على وجهه ، وتقطع يده اليمنى ، فيرمى بها الى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بهما ، ثم يضرب عنقه ويرمى بها .

ثم قدم المدثر ففعل به كذلك بعدما كوي ليعذب ، وضربت عنقه ثم قدم الحسن ابن زكرويه فضرب مائتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي ، وضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكبر من على الدكة فكبر الناس وانصرفوا .

وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر وصلب بدن القرمطي فمكث نحو سنة .

ومن كتب الحسن بن زكرويه الى عماله ما هذه نسخته بعد البسملة :

« من عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله [الحاكم بحكم الله] ، الداعي الى كتاب الله ، الذاب عن حرم الله المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وامام المسلمين، ومذل المنافقين ، وخليفة الله على العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المستبصرين [وضياء المستضيئين] ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة [سيد] المرسلين، وولد خير الوصيين ــ صلي [الله] عليه وعلى آله الطيبين وسلم [كثيرا][1] .

---

(١) استعين بضبط هذه بالنصوص السالفة بمواد تاريخ الطبري .

كتاب الى فلان :

« سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي علـــى محمد جدي رسول الله » •

أمـــا بعـــد :

فقد أنهي الينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعيث والفساد في الارض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن ننفذ الى ما هنالك من جيوشنا من ينتقم الله به من أعدائه الظالمين الذين يسعون في الارض فسادا ، فأنفذنا عطيراً داعيتنا وجماعة من المؤمنين الى مدينة حمص [وأمددناهم بالعساكر]، ونحن في اثرهم ، وقد أوعزنا اليهم في المصير الى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم •

فيتبغي أن تشد قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودناه في كل من مرق عن الطاعة ، وانحرف عن الايمان ، وتبادر الينا بأخبار الناحية ، وما يتجدد فيها ، ولا تخف عنا شيئا من أمرها [ان شاء الله] •

« سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »(1)، وصلى الله على جدي [محمد] رسوله ، وعلى أهل بيته وسلم كثيرا » •

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدد •

وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين ــ خليفة الحسن بن زكرويه ــ فقدم سواد الكوفة الى زكرويه بن مهرويه ، فأخبره بخبر القوم الذين استخلفهم ابنه عليهم ، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم ، فلامه زكرويه على قدومه لوماً شديداً ، وقال له : « ألا كاتبتني قبل انصرافك إلي ؟ » • ووجده مع ذلك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان •

ثم انه أعرض عن أبي الحسين ، وأنفذ الى القوم ــ في سنة ثلاث وتسعين ــ رجلاً من أصحابه ــ كان معلماً ــ يقال له محمد بن عبدالله بن سعيد ويكنى بأبي غانم، فتسمى نصراً ليعمى أمره ، وأمره أن يدور أحياء كلب ويدعوهم ، فدار ودعاهم ،

(1) سورة يونس : ١٠ .

فاستجاب له طوائف من الاصبغين ، ومن بني [٢٨ ــ ظ] العليص ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفي بالله يومئذ على دمشق والاردن أحمد بن كيغلغ ، وهو بمصر في حرب ابن الخليج[١] ، فاغتنم ذلك محمد بن عبد الله المعلم ، وسار الى بصرى وأذرعات فحارب أهلها ، وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسار يريد دمشق ، فخرج اليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كيغلغ ، فظهروا عليه ، وقتلوا عسكره ، وأسروه فقتلوه وهموا بدخول دمشق فدافعهم أهلها ، فمضوا الى طبرية ، فكانت لهم وقعة على الاردن غلبوا فيها ، ونهبوا طبرية ، وقتلوا وسبوا النساء .

فبعث المكتفي بالحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فساروا نحـو السماوة ، وتبعهم ابن حمدان في البرية ، فأخذوا يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فانقطع [ابن حمدان] عنهم لعدم الماء ، ومال نحو رحبـة مالك بن طوق ، فأسرى القرامطة الى هيت ، وأغاروا عليها لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ونهبوا الربض والسفن التي في الفرات ، وقتلوا نحو مائتي انسان .

ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه ، فأنفذ المكتفي الى هيت محمد بن اسحاق بن كنداج في جماعة من القواد بجيش كثيف ، وأتبعه بمؤنس ، فاذا هم قد غوروا المياه ، فأنفذ اليهم من بغداد بالروايا والزاد ، وكتب الى ابن حمدان بالنفوذ اليهم من الرحبة .

فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم المعلم ، ووثب عليه رجل من أصحابـه يقال له الذئب بن القائم فقتله ، وشخص الى بغداد متقرباً بذلك ، فأسنيت لـه الجائزة ، وكف عن طلب قومه ، وحمل رأس القائم المسمى بنصر المعلم الى بغداد .

ثم ان قوما من بني كلب أنكروا فعل الذئب وقتله المعلم ، ورضيه آخرون ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وافترقوا فرقتين ، فصارت الفرقة التي رضيت قتل المعلم الى عين التمر ، وتخلفت الأخرى ، وبلغ ذلك زكرويه ــ وأحمد بن القاسم عنده ــ فرده اليهم ، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال : « وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وانكم قد ارتددتم عن الدين » فاعتذروا ، وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب ، فقال لهم : « قد جئتكم الآن

(١) انظر خبر ثورة ابن الخليج في ولاة الكندي : ٢٥٨ ــ ٢٦٣ .

بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، يقول لكم وليكم : قد حضر أمركم ، وقرب ظهوركم، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم [الذي]ذكره الله [في شأن موسى ﷺ وعدوه فرعون إذ يقول : « موعدكم »][1] يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[2] » فأجمعوا أمركم ، وسيروا الى الكوفة ، فانه لا دافع لكم عنها ، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي » .

فسروا بذلك ، وارتحلوا نحو الكوفة ، فنزلوا دونها بستة وثلاثين ميلا قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ، فخلفوا هناك الخدم والاموال ، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال من القادسية .

ثم شاور الوجوه من أصحابه في طروق الكوفة أي وقت ، فاتفقوا على أن يكمنوا في النجف ، فيريحوا الخيل والدواب ، ثم يركبوا عمود الصبح فيشنوها غارة والناس في صلاة العيد .

فركبوا وساروا ، ثم نزلوا فناموا ، فلم يوقظهم الا الشمس يوم العيد لطفاً من الله بالناس ، فلم يصلوا الى الكوفة الا وقد انقضت الصلاة ، وانصرف الناس وهم متبددون في ظاهر الكوفة ، ولأمير البلد طلائع تتفقد ، وكان قد أرجف في البلد بحدوث فتن فأقبلوا ودخلت خيل منهم الكوفة ، فوضعوا السيف وقتلوا كثيراً من الناس وأحرقوا، فارتجت الكوفة، وخرج الناس بالسلاح، وتكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة ، فقتلوا منهم عدة ، وأقبل بقيتهم فخرج اليهم اسحق بن عمران[3] في يسير من الجند ، وتلاحق به الناس ، فاقتتلوا قتالا شديدا في يوم صائف شديد الحر فانصرف القرامطة مكدودين ، فنزلوا على ميلين من الكوفة ، ثم ارتحلوا عشاء نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية وقد تأهبوا لحربهم ، فانصرفوا عنها ، وبعث أمير الكوفة بخبر ذلك الى بغداد .

وسار القرامطة الى سواد الكوفة ، فاجتمع [٢٩ ـ و] أحمد بن القاسم بزكرويه بن مهرويه ـ وكان مستترا ـ فقال للعسكر : « هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذي تنتظرونه » فترجل الجميع وألصقوا خدودهم بالارض ، وضربوا

---

(١) اضيف ما بين الحاصرتين مما تقدم في نص ثابت بن سنان ، وبه يستقيم السياق.
(٢) سورة طه : ٥٩ . (٣) عامل الكوفة .

لزكرويه مضرباً عظيماً ، وطافوا به ، وسروا سرورا عظيما ، واجتمع اليهم أهل دعوته من السواد ، فعظم الجيش جدا •

وسير المكتفي جيشاً عظيماً ، فساروا بالاثقال والبنود والبزاة على غير تعبئة مستخفين بالقوم ، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم، فلقيهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم ، ووضعوا فيهم السيوف،فقتل الأكثر ، ونجا الأقل الى القادسية، فأقاموا في جمع الغنائم ثلاثا ، فكان من قتل من الجيش نحو الالف وخمسمائة ، فقويت القرامطة بما غنموا ، وبلغ المكتفي فخاف على الحاج ، وبعث محمد بن اسحاق بن كنداج لحفظ الحاج ، وطلب القرامطة ، وضم اليه خلقا عظيما •

فسار القرامطة وأدركوا الحاج ، فأخذوا الخراسانية لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة أربع وتسعين ، ووضعوا فيهم السيف وقتلوا خلقاً عظيماً ، واستولى زكرويه على الأموال وقدم ابن كنداج فأقام بالقادسية — وقد أدركه من هرب من حاج خراسان — وقال : « لا أغرر بجيش السلطان » وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة ، فقاتلوا القرامطة قتالا شديدا حتى غلبوا ، وقتل كثير من الحاج، واستولوا على جميع ما في القافلة ، وأخذوا النساء ، ولم يطلقوا منهم الا من لا حاجة لهم فيها، ومات كثير من الحاج عطشاً ، ويقال انه هلك نحو من عشرين ألفا ، فارتجت بغداد لذلك •

وأخرج المكتفي الأموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة — لاحدى عشرة بقيت من المحرم وخزائن السلاح ورحل زكرويه فلم يدع ماء الا طرح فيه جيف القتلى ، وبث الطلائع فوافته القافلة التي فيها القواد والشمسة[1] — وكان المعتضد جعل فيها جوهرا نفيسا — ومعهم الخزانة ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار ، وفيها من أنواع المال ما يخرج عن الوصف ، فناهضهم زكرويه بالهبير[2] ، وقاتلهم يومه ، فأدركتهم قافلة العمرة، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج ويخرجون اذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة ، وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس

---

(١) العائدية للكعبة .

(٢) محطة من محطات طريق الحج بين العراق والحجاز — انظرها في معجم البلدان .

وقاتلوا يومهم وقد نفد الماء ، فملك القافلة ، وقتل الناس ، وأخذ ما فيها من حريم ومال وغيره ، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشاً ، وسار فأخذ أهل فيد[1] .

وأما بغداد فانه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصاب بحيث لم يبق دار الا وفيها مصيبة ، وعبرة سائلة ، وضجيج وعويل ، واعتزل المكتفي النساء همـاً وغماً ، وتقدم بالمسير خلف زكرويه ، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه لسبع بقين من ربيع الاول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه ومن معه ، وأسر منهم خلق كثير وطرحت النار في قبته ، فخرج من ظهرها ، وأدركه رجل فضربه حتى سقط الى الارض ، فأدركه رجل يعرفه ، فأركبه نجيباً فارهاً ، وسار به الى نحو بغداد ، فمات من جراحات كانت به ، وصبر وأدخل به الى بغداد كذلك ، ومعه حرمـه وحرم أصحابه وأولادهم والاسرى ورؤوس مـن قتل بين يديـه في الجوالقات[2] ، ومات خبر القرمطة بموت زكرويه ودعوتهم ذكرها شائع .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الظط[3] يعرف بأبي حاتم الظطي فقصد أصحاب البوراني داعيا ــ وهم يعرفون بالبورانية ــ وحرم عليهم الثوم والبصل والكراث والفجل ، وحرم عليهم اراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البوراني ، وأمرهم بما لا يقبله الا أحمق ، وأقام فيهم نحو سنة ، ثم زال ، فاختلفوا بعده ، فقالت طائفة : « زكرويه بن مهرويه حي ، وانما شبه على الناس به » . وقالت فرقة : « الحجة لله محمد بن اسماعيل » .

ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له محمد بن قطبه ، فاجتمع عليه نحو مائة رجل ، فمضى بهم نحو واسط ، فنهب وأفسد فخرج اليه آمر الناحية ، فقتلهم وأسرهـم .

---

(1) بلدة كانت قائمة على منتصف طريق حجاج العراق من الكوفة الى مكة ــ معجم البلـدان .

(2) اي الاوعية ــ القاموس .

(3) الزنوج ذوي الاصل الهندي Jet : جلب المسلمون اعـدادا كبيرة منهم ايـام الفتوحات في العصر الاموي ، وأسكنوهم في السواد للعمل في المزارع ، وقـد تحركوا في أكثر من ثورة في العصر العباسي .

ثم خمدت أحوال القرامطة الى أن تحرك أبو طاهر بن أبي سعيــد الجنابي ، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر [٢٩ ــ ظ] وثلاثمائة ، فعمل سلالم عراضا يصعد كل مرقاة اثنان بزرافين[١] ، اذا اجتمع اليها نصبت ، وتخلع اذا حملت ، فرحل يريد البصرة ، فلما قاربها فرق السلاح ، وحشى الغرائر بالرمل ، وحملها على الجمال ، فسار الى السور قبل الفجر ، فوضع السلالم ، وصعد عليها قوم ، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الاقفال ، فدخل الجيش ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول في الابواب ليمنع من غلقها ، وبدر لهم الناس ومعهم الامير ، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام ، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتلة عظيمة ، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا .

ثم رحلوا الى الاحساء ، فأنفذ السلطان عسكرا ــ وكان أبو الهيجاء عبد الله ابن حمدان قد قلد أعمال الكوفة والسواد وطرق مكة ــ فدخل في أثرهم وأسر منهم وعــاد .

فلما قدمت قوافل الحاج واعترضها أبو طاهر القرمطي فقتل منهم ، وأدركهم أبو الهيجاء بن حمدان بجيوش كثيرة ، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم ، وأخــذ أبو الهيجاء أسيرا ، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له : « جئناك عبد الله ، ولــم نكلفك قصدنا » . فتلطف له أبو الهيجاء حتى استأمنه ، وأمر بتمييز الحاج ، وعزل الجمالين والصناع ناحية ، فأخذوا ما مع الحاج وخلوهم ، فردوا بشر حال في صورة الموتى ، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لا تحصى كثرة ، ثم أطلق أبا الهيجاء بعد أشهر ، فورد بغداد .

فلما كان في سنة اثنتي عشر وثلاثمائة خرج من بغداد جيش كثيف لحفظ الحاج، فلقيهم لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة فناوشه الناس وانكفأ راجعاً ، ثم باكرهم بالقتال وخرجت اليه جيوش السلطان ، فقاتلهم وهزمهم ، وقتل قوادهم وكثيرا من العامة ، ونهب البلد الى العشرين منه ، فرحل من البلد .

---

(١) الزرفين حلقة الباب ، وفي الحديث : كانت درع رسول الله ﷺ ذات زرافين ، اذا علقت بزرافينها سترت ــ اللسان .

فلما كان في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطي من بلده لقتال ابن أبي الساج ، وقد كان السلطان أنزله في جيش كبير بواسط ليسير الى القرمطي ، فاستصعب مسيره لكثرة من معه ، وثقل عليه سيره في أرض قفر ، فاحتال على القرمطي ، وكاتبه باظهار المواطأة ، وأطمعه في أخذ بغداد ومعاضدته ، فاغتر بذلك ، ورحل بعيال وحشم وأتباع ، وجيشه على أقوى ما يمكنه ، وأقبل يريد الكوفة •

ورحل ابن أبي الساج بجيشه عن واسط الى الكوفة ، وقد سبقه القرمطي ، ودخلها لسبع خلون من شوال ، فاستولى عليها ، وأخذ منها الميرة ، وأعد ما يحتاج اليه ، وأقبل ابن أبي الساج على غير تعبئة ، وعبر مستهينا بأمر القرمطي مستحقراً له ، ثم واقعه وهو في جيش يضيق عنه موضعه ، ولا يملك تدبيره ، وقد تفرق عنه عسكره ، وركبوا ــ من نهب القرى وأذى الناس واظهار الفجور ــ شيئا كثيرا ، فأقبل اليه القرمطي وقاتله ، فانهزمت عساكر ابن أبي الساج بعدما كثرت بينهما القتلى والجراح ، فقتلوا الناس قتلا ذريعا حتى صاروا في بساط واحد نحو فرسخين أو أربع ، واحتوى على عسكره ، ونهب الأكرة من أهل السواد ما قدروا عليه ، وأقام أربعين يوما ، وخرج بعد أن يئس من مجيء عسكر اليه ، فقصد بغداد ، ونزل بسواد الانبار ، وعبر الفرات الى الجانب الغربي ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد فجيش الجيش اليه ، وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقاتل القرامطة قتالا شديدا ، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ، ويذكر ما لزم من صرف الأموال الى وقت وصوله •

فكتب اليه : « إن في مقدمنا ــ أطال الله بقاء مولانا ــ نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال » •

ثم أنفذ الى القرمطي يقول له :

« ويلك ، ظننتني كمن لقيك أبرز لك رجالي ، والله ما يسرني أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي ، ولكني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذاً بيدي ان شاء الله » •

وأنفذ يلبق في جيش للايقاع بمن في قصر ابن هبيرة ، فعظم ذلك على القرمطي فاضطرب ، [٣٠ ــ و] وأخذ أصحابه يحتالون في الهرب ، وتركوا مضاربهم ،فنهب

مؤنس ما خلفوه ، وسار جيش القرمطي من غربي الفرات ، وسار مؤنس من شرقيه، الى أن وافى القرمطي الرحبة ، ومؤنس يحتال في ارسال زواريق فيها فاكهة مسمومة، فكان القرامطة يأخذونها ، فكثرت الميتة فيهم ، وكثر بهم الذرب ، وظهر جهدهم ، فكروا راجعين وقد قل الظهر معهم ، فقاتلوا أهل هيت وانصرفوا مفلولين ، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراحات وعلل ــ لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ــ فأقام بها الى مستهل ذي الحجة ، ولم يقتل ولا نهب ، ثم رحل •

فلما كان في سنة سبع عشرة رحل بجيشه ، فوافى مكة لثمان خلون من ذي الحجة ، فقتل الناس في المسجد قتلا ذريعا ، ونهب الكعبة ، وأخذ كسوتها وحليها ، ونزع الباب وستائره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الاسود وأخذه معه ــ وظن أنه مغناطيس القلوب ــ وأخذ الميزاب أيضا •

وعاد الى بلده في المحرم سنة ثماني عشرة وقد أصابه كد شديد ، وقد أخذ ستة وعشرين حمل جمل ، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار ، واستملك من النساء والغلمان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثرة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة حتى عدل به دليل الى غير الطريق المعروف الى بلده •

فلما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار الى الكوفة ، فعاث عسكره في السواد ، وأسروا خلقاً ، واشتروا أمتعة ، ورجعوا ــ بعد خمسين ليلة أقاموا بها ــ الى بلدهم •

وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف في الساحل، ولم يلقوا أحدا الا قتلوه ــ من رجل وامرأة وصبي ــ فما نجا منهم الا من لحق بالجبال ، وسبوا النساء ، واجتمع الناس ، فقتلوا منهم ــ في الحرب معهم ــ خلقاً كثيراً ، وأسروا جماعة ، ثم تحاملوا عليهم ، وتباروا بالشهادة ، وجدوا ، فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا جميع من بقي أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد ، وحملت الاسرى الى بغداد مع الرؤوس ــ وهم نحو المائة رجل ومائة رأس ــ فحبسوا ببغداد •

ثم خلصوا وصاروا الى أبي طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون اليهم ، بما يتقربون به اليهم ، وكان سبب خلاصهم مكاتبة جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الاسود ، ويطلقوا الاسرى ، ولا يعترضوا الحاج ، فجرى الامر على ذلك •

ودخل القرمطي — في سنة ثلاث وعشرين — الى الكوفة ، والحاج قد خرج في ذي القعدة ، وعاد الحاج الى الكوفة ، ولم يقدروا على مقاومته ، فظفر بمن ظفر منهم ، فلم يكثر القتل ، وأخذ ما وجد •

وبلغ القرمطي أن رجلا من أصحابه قال : « والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الارض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم الا الأعراب والشذاذ من الناس ، فلو أنه حين ظفر بهم دعاهم الى أن يؤدي كل رجل منهم دينار ويطلقهم ويؤمنهم ، لم يكره ذلك منهم أحد ، وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد ، لأنهم ظمأى الى ذلك جدا ، ولم يبق ملك الا كاتبه وهاداه واحتاج اليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، وجاء في كل سنة من المال ما لا يصير لسلطان مثله على الخراج ، واستولى على الارض وانقاد له الناس ، وان منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج •

فاستصوب القرمطي هذا الرأي ، ونادى من وقته في الناس بالامان وأحضر الخراسانية ، فوطأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا اليه المال في كل سنة ، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ، وأخرج أهل مصر أيضا عن الحاج ضرائب من مال السلطان ، ثم ولى تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة ، فصار لهم على الحاج رسماً بالكوفة •

فلما كانت سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة ، وقبض على شفيع اللؤلؤي — أميرها — بأمان ، فبعثه الى السلطان [٣٠ — ظ] يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال ، فان أعطاهم مالاً لم يفسدوا عليه ، وخدموه فيما يلتمسه، والا فلا يجدوا بدأ من أن يأكلوا بأسيافهم ، وبر [أبو طاهر] شفيعاً ووصله ، فوصل شفيع الى السلطان وعرفه ، فبعث اليهم رجلاً فناظر القرمطي ، وملأ صدره من السلطان وأتباعه ، فزاده انكساراً ، وسار عن البلد، فابتلاه الله بالجدري وقتله فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر •

فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس ، فحملوا الحجر الاسود الى الكوفة ، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع •

وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ الملقب زين العابدين[1] ــ : « إن الحجر الأسود يعلق في مسجد بالجامع بالكوفة في آخر الزمان » .

ثم قدم به سنبر بن الحسين بن سنبر الى مكة ــ وأمير مكة معه ــ فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سفط كان به مصونا ، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه ، تأخذه طولا وعرضا ، تضبط شقوقا حدثت فيه بعد انقلاعه ، وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر ، وحضر جماعة من حجبة البيت ، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ــ ومعه الحجبة ــ وشده الصانع بالجص ــ بعد وضعه ــ وقال لما رده : « أخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئته » ونظر الناس إليه وقبلوه ولمسوه ، وطاف سنبر بالبيت .

وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

وكان رده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة ــ يوم النحر ــ سنة تسع وثلاثين .

فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنتين وعشرين سنة الا أربعة أيام.

وكان في سنة ست عشرة وثلاثمائة قد تحركت القرامطة بسواد الكوفة عند انصراف أبي طاهر القرمطي عن بغداد الى نحو الشام ، وتداعوا الى الاجتماع في دار هجرتهم فكثروا ، وكبسوا نواحي واسط وقتلوا خلقا كثيرا ، وملكوا ما حواه العسكر هناك من سلاح وغيره، فقوي أمرهم، وسار بهم عيسى بن موسى والحجازي ــ وهما داعيان ــ وكان الحجازي بالكوفة يبيع الخبز ، فصحب يزيد النقاش ، واجتمع عليهما غلمان، وساروا فنهبوا وأخافوا،والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البوراني لسواده وضعف بد السلطان ، وطالبوا جميع أهل السواد بالرحيل اليهم ، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف وفرقوا العمال ، ورحلوا الى الكوفة فدخلوها عنوة ، وهرب واليها ، وولوا على خرابها وعلى حربها ، وأحدثوا في الاذان ما لم يكن فيه ،

(١) كذا والمشهور بلقب زين العابدين هو علي بن الحسين ، لا محمد ابنه الذي شهر بلقب الباقر . انظر الائمة الاثنا عشر لابن طولون : ٧٥ ــ ٨١ .

فأنفذ السلطان اليهم جيشا فواقعهم فانهزموا ، وقتل منهم ما لا يحصى ، وغرق منهم وهرب الباقون ، وحملت الاسرى الى بغداد فقتلوا وصلبوا ، وحبس عيسى بن موسى مدة ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث الفتن آخر أيام المقتدر ، فأقام ببغداد يدعو الناس ووضع كتبا نسبها الى عبدان الداعي ، نسبه فيها الى الفلسفة ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، فصار له أتباع ، وأفسد فسادا عظيما ، وصار له خلفاء من بعده مـدة •

وأما خراسان فقدم اليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم، فأول ما ظهرت بنيسابور، فاستخلف عند موته أبا سعيد الشعراني ، وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح •

وانتشرت في الري من رجل يعرف بخلف الحلاج ، وكان يحلج القطن فعرفت بها طائفته بالخلفية ، وهم خلق كثير ، ومال اليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكـان منهم أسفاراً[1] فلما قتل مرداويج أسفاراً عظمت شوكة القرامطة في أيامـه بالري وأخذوا يقتلون الناس غيلة حتى أفنوا خلقاً كثيراً •

ثم خرج مرداويج الى جرجان لقتال نصر بن أحمد الساماني ، فنصر عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبق منهم أحد ، وصار بعضهم الى مفلح ــ غلام ابن أبي الساج ــ فاستجاب له ، ودخل في دعوته •

فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، استعد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة لقتال من يرد عليه من قبل جوهر القائد ، فورد عليه الخبر بأن [٣١ ــ و] القرامطة تقصده ، ووافت الرملة فهزموا الحسن بن عبيد الله ، ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر اليهم في ذي الحجة منها ، فأقام القرمطي بظاهر الرملة ثلاثين يوما ورحل •

وسار جعفر بن فلاح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقتل رجاله، وأخذه أسيرا ، فسار الى دمشق فنزل بظاهرها ، فمنعه أهـل البلد وقاتلوه قتالا شديدا ، ثم انه دخلها بعد حروب ، وفر منه جماعة ــ منهم ظالم بن موهوب العقيلي، ومحمد بن عصودا ــ فلحقا بالاحساء الى القرامطة ، وحثوهم على المسير الى الشام،

---

(١) ابن شيرويه سبقت الاشارة اليه وانه مع مراداويج نرى في سيرتهما مقدمة قيام دولة آل بويه من الديلم . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣١٧ ــ ٣١٨ •

فوقع ذلك منهم بالموافقة،لأن الاخشيدية كانت تحمل اليهم في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار فلما صارت عساكر المعز الى مصر مع جوهر ، وزالت الدولة الاخشيدية انقطع المال عن القرامطة[1] بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب،فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد ، فأنفذ اليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورحلوا الى الرحبة ــ وعليها أبو تغلب ــ فحمل اليهم العلوفة والمال الذي كتب به لهم •

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستعد لحربهم،فتفرق الناس عنه الى مواضعهم، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق ، وكان رئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، فبعث اليه أبو تغلب يقول : « هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضع الى أن يرد علي خبرك ، فان احتجت الى مسيري سرت اليك » ونادى في عسكره : « من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ، فقد أذنا له في المسير ، والعسكران واحد » فخرج الى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب ، وفيهم كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر ، صاروا اليه ــ لما دخل جوهر ــ من مصر وفلسطين ، وكان سبب هذا الفعل من أبي تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ اليه من طبرية داعيا يقال له أبو طالب التنوخي ــ من أهل الرملة ــ يقول له : « اني سائر اليك فتقيم الدعوة » ، فقال له أبو تغلب ــ وكان بالموصل ــ : « هذا ما لايتم لأنا في دهليز بغداد ، والعساكر قريبة منا ، ولكن اذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم » فانصرف من عنده على غير شيء وبلغ ذلك القرمطي فسره وزاده قوة ، وسار عن الرحبة ، فأشار أصحاب جعفر ــ لما قارب القرامطة دمشق ــ أن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج اليهم وواقعهم ، فانهزم ، وقتل لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة •

ونزل القرمطي ظاهر المزة فجبى مالاً ، وسار يريد الرملة ــ وعليها سعادة بن حيان ــ فالتجأ الى يافا ، ونزل عليه القرمطي ، وقد اجتمعت اليه عرب الشام وأتباع من الجند ، فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة ، وهلك أكثرهم جوعاً ثم سار عنها،

(١) كان مكان عبارة القرامطة بياض بالأصل ، وقد أضيفت اعتمادا على ما أورده المقريزي في ترجمة الاعصم التالية .

وترك على حصارها ظالم العقيلي وأبا المنجا بن منجا[1] ، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسي في كل بلد فتحوه، وسودوا أعلامهم، ورجعوا عما كانوا يمخرقون به ، وأظهروا أنهم كأمراء النواحي الذين من قبل الخليفة العباسي •

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة احدى وستين وثلاثمائة ، فقاتله جوهر على الخندق وهزمه ، فرحل الى الاحساء •

وأنفذ جوهر جيشاً نحو يافا فملكها ، ورحل المحاصرون لها الى دمشق ونزلوا بظاهرها ، فاختلف ظالم العقيلي وأبو المنجا بسبب الخراج ، فكان كل منهما يريد أخذه للنفقة في رجاله ، وكان أبو المنجا أثيراً عند القرمطي يوافي اليه أموره ، ويستخلفه على تدبيره •

ورجع الحسن بن أحمد القرمطي من الاحساء فنزل الرملة ولقيه أبو المنجا وظالم، وبلغه ماجرى بينهما من الاختلاف، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلى عنه •

وطرح القرمطي مراكب في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، وسيرها الى تنيس وغيرها من سواحل مصر ، وجمع من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير الى مصر ، هذا بعد أن كان القرامطة أولا يمخرقون بالمهدي ويوهمون أنه صاحب المغرب ، وأن دعوتهم اليه ، ويراسلون الامام المنصور [٣١ ـ ظ] اسماعيل بن محمد القائم بن عبد الله المهدي ، ويخرجون الى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه الى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم ، وقتله كثيراً منهم ، وكسره القبة التي كانت لهم •

فلما نزل المعز لدين الله القاهرة عندما قدم من المغرب وقد تيقن أخبار القرامطة كتب الى الحسن بن أحمد القرمطي كتاباً عنوانه :

---

(١) جاء في حاشية الاصل طرة تعرف بابن منجا نصها ما يلي :
« أبو المنجا : هو عبد الله بن علي بن المنجا ، أحد أصحاب ابي علي الحسين بن أحمد بن الحسين بن بهرام القرمطي المنعوت بالاعصم ، وكان يرجع اليه لرأيه وسياسته ، واستخلفه على دمشق حين رحل الى الاحساء بعد انهزامه من أبي محمود ابراهيم بن جعفر الكتامي ، فقصده ظالم بن موهوب العقيلي من بعلبك بمراسلة ، فاستأمن الى ظالم عدة من أصحاب ابي المنجا لمنعه عنهم العطاء وقلة ماله ، فأسره ظالم يوم السبت لعشر خلون من رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وجهزه أبو محمود هو وابنه في قفصين الى مصر فحبسا بها » .

« من عبد الله ووليه ، وخيرته وصفيه ، معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل علي أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد » :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الائمة والانبياء، ومسالك الرسل والأوصياء السالف والآنف منا ، صلوات الله علينا وعلى آبائنا، أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار ، وسالف الازمان والاعصار ، عند قيامهم بأحكام الله، وانتصابهم لأمر الله،

الابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار ، قبل انفاذ الاقدار ، في أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسب ما قال الله جل وعز : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »[1] و « إن من أمة الا خلا فيها نذير »[2] • وقوله سبحانه : « قل هذي سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين »[3] •

« فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق »[4] •

أما بعد ، أيها الناس فانا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجده بأحسن مما مجده، حمداً دائماً أبداً ، ومجداً عالياً سرمداً ، على سبوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغي اليه الوسيلة بالتوفيق ، والمعونة على طاعته ، والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه اتمام الصلوات ، وافاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتجبين الذين قضوا « بالحق وكانوا به يعدلون »[5] •

أيها الناس : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها[6] » ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر •

---

(1) سورة الاسراء : ١٥ .
(2) سورة فاطر : ٢٤ .
(3) سورة يوسف : ١٠٨ .
(4) سورة البقرة : ١٣٧ .
(5) سوره الاعراف : ١٨١ .
(6) سورة الانعام : ١٠٤ .

أيها الناس : ان الله جل وعز اذا أراد أمرا قضاه ، واذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا، وأبرزنا أرواحا، بالقدرة مالكين، وبالقدرة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسري، ولا كوكب يجري ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق، ولا جناح يخفق، ولا ليل ولا نهار ولا فلك دوار ولا كوكب سيار .

فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور، فعندما تكامل الامر وصح العزم ، أنشأ الله — جل وعز — المنشآت ، وأبدأ الامهات من الهيولات ، طبعنا أنوارا وظلما ، وحركة وسكونا .

وكان من حكمه السابق في علمه ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات وما في الاقطار من الآثار ، وما في النفوس من الاجناس والصور والانواع من كثيف ولطيف، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ودان وشاسع ، وهابط وطالع .

كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا ، واشارة الينا ، يهدي به الله من كان [له] لب سجيح ، ورأي صحيح ، قد سبقت له منا الحسنى[1] فدان بالمعنى .

ثم انه — جل وعلا — أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحوا أبوين ذكرا وأنثى ، سببا لإنشاء البشرية ، ودلالة لإظهار القدرة القوية ، وزاوج بينهما فتوالد الاولاد ، وتكاثرت الاعداد ، ونحن نتنقل في الاصلاب الزكية ، والأرحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم ، وهلم جرا الى آخر الجد الاول ، والاب الافضل سيد المرسلين ، وامام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه ، وبان غناؤه ، وأباد المشركين ، وقصم الظالمين ، وأظهر الحق ، واستعمل الصدق ، وبان بالاحدية ، ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الاصنام ، وانعقد الاسلام ، وانتشر الايمان ، وبطل السحر والقربان ، وهدمت الاوثان ، وأتي [٣٢ — و] بالقرآن ، شاهدا بالحق والبرهان ، فيه خبر ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم، منبئا عن كتب تقدمت، في صحف قد تنزلت ، تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة ونورا « وسراجا منيرا »[2].

---

(١) انظر الآية ١٠١ من سورة الانبياء .

(٢) سورة الاحزاب : ٤٦ .

وكل ذلك دلالات لنا ، ومقدمات بين أيدينا ، وأسباب لإظهار أمرنا هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات ، الهيات أزليات ، كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ، فما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر ، الا وقد أشار الينا ، ولوح بنا ، ودل علينا في كتابه وخطابه ومنار أعلامه ، ومرموز كلامه ، فيما هو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع الندا ، وشاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسي ، أو ضل أو غوى ، فلينظر في الكتب الاولى، والصحف المنزلة ، وليتأمل آي القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر ان كان لا يعلم ، فقد أمر الله عز وجل بالسؤال ، فقال : « فاسئلو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[1] .

وقال سبحانه وتعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »[2] .

ألا تسمعون قول الله حيث يقول : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون »[3] .

وقوله تقدست أسماؤه : « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم »[4] .

وقوله له العزة : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا بـه إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه »[5] .

ومثل ذلك في كتاب الله تعالى جده كثير ، ولولا الإطالة لأتينا على كثير منه . ومما دل بـه علينا ، وأنبأنا به عنا ، قوله عز وجل :

«كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم»[6] .

---

(١) سورة النحل : ٤٣ .
(٢) سورة التوبة : ١٢٢ .
(٣) سورة الزخرف : ٢٨ .
(٤) سورة آل عمران : ٣٤ .
(٥) سورة الشورى : ١٣ .
(٦) سورة النور : ٣٥ .

وقوله في تفضيل الجد الفاضل والاب الكامل محمد ﷺ اعلاما بجليل قدرنا ، وعلو أمرنا : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم »(١) .

هذا مع ما أشار ولوح ، وأبان وأوضح ، في السر والاعلان ، من كل مثل مضروب ، وآية وخبر واشارة ودلالة ، حيث يقول : وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون »(٢) . وقال سبحانه وتعالى :

« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب »(٣) .

وقوله جل وعز : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »(٤) .

فان اعتبر معتبر ، وقام وتدبر مافي الارض وما في الاقطار والآثار وما في النفس من الصور المختلفات ، والاعضاء المؤتلفات والآيات والعلامات ، والاتفاقات والاختراعات ، والاجناس والانواع ، وما في كون الابداع من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، وما يشهد به حروف المعجم، والحساب المقوم، وما جمعته الفرائض والسنن ، وما جمعته السنون من فصل وشهر ويوم ، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه ، ومعانيه وأرباعه وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمعته كلمة الاخلاص في تقاطيعها وحروفها وفصولها ، وما في الارض من اقليم وجزيرة وبر وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض وفوق وتحت ، الى ما اتفق عليه في جميع الحروف من أسماء المدبرات السبعة النطقا ، والاوصيا والخلفا وما صدرت به الشرائع من فرض وسنة وحد وبينة وما في الحساب من أحاد وأفراد ، وأزواج وأعداد ، تثاليثه وترابيعه واثني عشريته وتسابيعه ، وأبواب العشرات والمئين والالوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ما تقدم من شاهد عدل وقول صدق ، وحكمة حكيم وترتيب عليم .

---

(١) سورة الحجر : ٨٧ .
(٢) سورة العنكبوت : ٤٣ .
(٣) سورة آل عمران : ١٩٠ .
(٤) سورة فصلت : ٥٣ .

فـ « لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى »[1] والامثال العلى « وان تعـدوا نعمة الله لا تحصوها »[2] . « وفوق كل ذي علم عليم »[3] « ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر[٣٢ ـ ط]يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله»[4].

وليعلم من « كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيـد »[5] ، أنا كلمات الله الازليات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ،ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات لا يخرج منا أمر ، ولا يخلو منا عصر .

وانا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « ما يكون مـن نجوى ثلاثة الا هـو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم »[6] .

فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقور ، وفار التنور ، وأتى النذين بين يدي عذاب شديد ، فمن شاء فلينظر ، ومن شاء فليتدبر ، « وما على الرسول الا البلاغ المبـين »[7] .

وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ، ووقت مذكور ، فلا نرفع قدما ولا نضع قدما الا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق .

فلما دخلنا وقد قدر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحل بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين ، وجلوا عن الاهل والحريم والاولاد والرسوم ، وانا « نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة[8] » ، فلم أكشف لهم خبرا ، ولا قصصت لهم أثرا ، ولكني أمرت بالنداء وأذنت بالامان ، لكل باد وحاضر ، ومنافق ومشاقق ، وعاص ومارق ، ومعاند ومسابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لي سوءته ، فاجتمع

---

(١) سورة طـه : ٧ .
(٢) سورة ابراهيم : ٣٤ .
(٣) سورة يوسف : ٧٦ .
(٤) سورة لقمان : ٢٧ .
(٥) سورة ق : ٣٧ .
(٦) سورة المجادلـة : ٧ .
(٧) سورة النور : ٥٤ .
(٨) سورة الهمزة : ٦ ـ ٧ .

الموافق والمخالف والمباين والمنافق ، فقابلت الولي بالاحسان ، والمسيء بالغفران ، حتى رجع الباد والشارد ، وتساوى الفريقان ، واتفق الجمعان ، وانبسط القطوب وزال الشحوب ، جريا على العادة بالاحسان ، والصفح والامتنان، والرأفة والغفران، فتكاثرت الخيرات ، وانتشرت البركات •

كل ذلك بقدرة ربانية ، وأمرة برهانية ، فأقمت الحدود ، بالبينة والشهود ، في العرب والعبيد ، الخاص والعام ، والبادي والحاضر بأحكام الله ــ عز وجل ــ وآدابه ، وحقه وصوابه ، فالولي آمن جذل ، والعدو خائف وجل •

فأما أنت أيها الغادر الخائن ، الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة فلم أغفل أمرك ، ولا خفي عني خبرك ، ولا استتر دوني أثرك ، وانك مني لمنظر ومسمع، كما قال الله جل وعز :

« انني معكما أسمع وأرى »[1] ، « وما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا »[2] •

فعرفنا على أي رأي أصلت ، وأي طريق سلكت : أما كان لك بجدك أبي سعيد أسوة وبعمل أبي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائبا عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنهم كانوا « عبادا لنا أولي بأس شديد »[3] ، وعزم سديد ، وأمر رشيد ، وفعل حميد ، تفيض اليهم موادنا ، تنشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الاعمال ، ودان لهم كل أمير ووال ولقبوا بالسادة فسادوا منحة منا واسما من أسمائنا ، فعلت أسماؤهم ، واستعلت هممهم واشتد عزمهم فسارت اليهم وفود الافاق ، وامتدت نحوهم الاحداق ، وخضعت لهيبتهم الاعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد وأن يكونوا لبني العباس أضداد ، فعبئت الجيوش وسار اليهم كل خميس بالرجال المنتجبة ، والعدد المهذبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش الا كسوه « ولا رئيس الا أسروه ولا عسكر الا كسروه ، وألحاظنا ترمقهم ونصرنا يلحقهم كما قال الله جل وعز :

---

(١) سورة طه : ٤٦ .
(٢) سورة مريم : ٢٨ .
(٣) سورة الاسراء : ٥ .

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا »[1] ، « وان جندنا لهم الغالبون »[2] ، وان حزبنا لهم المنصورون .

فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم ، الى أن اختار لهم ما اختار من نقلهم من [٣٣ ـ و] دار الفناء ، الى دار البقاء ، ومن نعيم يزول الى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، الى روح وريحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب .

ومع هذا فما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ، ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الالسن، وفي كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل: «وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم »[3] وأنت عارف بذلك فيا أيها الناكث الحانث ما الذي أرداك وصدك؟أشيء شككت فيه،أم أمر استربت به،أم كنت خليا من الحكمة،وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدك ، وعن السبيل ردك ؟ ان هي الا « فتنة لكم ومتاع الى حين »[4] .

وأيم لله لقد كان الاعلى لجدك ، والارفع لقدرك ، والافضل لمجدك والاوسع لوفدك ، والانضر لعودك ، والاحسن لعذرك ، الكشف عن أحوال سلفك وان خفيت عليك ، والقفوا لآثارهم وان عميت لديك لتجري على سننهم ، وتدخل في زمرهم ، وتسلك في مذهبهم ، أخذا بأمورهم في وقتهم ، وزيهم في عصرهم ، فتكون خلفا قفا سلفا بجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف .

لكن غلب الران على قلبك ، والصدأ على لبك ، فأزالك عن الهدى وأزاغك عن البصيرة والضيا، وأمالك عن مناهج الاوليا،وكنت من بعدهم كما قال اللهعزوجل.

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً »[5] .

---

(1) سورة غافر : ٤٠ .
(2) سورة الصافات : ١٧٣ .
(3) سورة ابراهيم : ٤ .
(4) سورة الانبياء : ١١١ .
(5) سورة مريم : ٥٩ .

ثم لم تقنع في انتكاسك ، وترديتك في ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك من خلافك الآباء ومشيك القهقرى ، والنكوص على الاعقاب والتسمي بالالقاب « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان »[1] ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاءك ، حتى انقلبت على الادبار ، وتحملت عظيم الاوزار ، لتقيم[2] دعوة قد درست ، ودولة قد طمست، وانك لمن الغاوين ، وانك لفي ضلال مبين .

أم تريد أن ترد القرون السالفة ، والاشخاص الغابرة ؟ أما قرأت كتاب السفر ، وما فيه من نص وخبر ؟ فأين تذهبون ان هي الا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين ، « قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير »[3] .

أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر المترايس في الناس ؟ أما تراهم « كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية »[4] ؟ ختم ــ والله ــ الحساب ، وطوي الكتاب ، وعاد الامر الى أهله ، والزمان الى أوله ، « وأزفت الآزفة »[5] ، « ووقعت الواقعة »[6] وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ، والآية من وطنها ، وجيء بالملائكة والنبيين ، وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق ، والملك لله الواحد القهار ، « لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء »[7] ، « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »[8] .

فقد ضل عملك ، وخاب سعيك ، وطلع نحسك ، وغاب سعدك ، حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة ، ومال بك الهوى ، فأزالك عن الهدى ، فـ « ان تكفروا أنتم ومن في الأرض[9] جميعاً » « وان الله لهو الغني الحميد »[10] .

---

(١) سورة الحجرات : ١١

(٢) في حاشية الاصل : « يعني انه يريد اقامة دولة بني العباس بكونه اخذ منهم السلاح والمال من أبي تغلب بن حمدان ، وقدم يقاتل المعز نصرة لهم » .

(٣) سورة التغابن : ٧

(٤) سورة النجم : ٥٧ .

(٥) سورة الروم : ٤ ــ ٥ .

(٦) سورة ابراهيم : ٨ .

(٧) سورة الحاقة : ٧ ــ ٨ .

(٨) سورة الواقعة : ١ .

(٩) سورة الحج : ٢

(١٠) سورة الحج : ٦٤ .

ثم لـم يكفك ذلـك ــ مع بلائك وطول شقائك ــ حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك ، وحشدت أوباشك وأفلاسك ، وسرت قاصدا الى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة[1] وزويلة،فقتلته وقتلتهم، ــ جرأة على الله وردا لأمره ــ واستبحت أموالهم ، وسبيت نساءهم ، وليس بينك وبينهم ترة ولا ثأر ، ولا حقـد ولا إضرار ، فعل بني الاصفر[2] والترك والخزر، ثم سرت أمامك ولم ترجع، وأقمت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة [٣٣ ــ ظ] يسيرة ، فاعتزل عنك الى يافا ، مستكفيا شرك ، وتاركا حربك ، فلـم تزل ماكثاً على نكثك باكراً وصابحاً ، وغاديا ورائحا تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقصدهم بكل مقصد كأنهم ترك وروم وخزر ، لا ينهاك عن سفك الدماء دين ، ولا يردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى حيزومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك .

أما كان لك مذكر ، وفي بعض أفعالك مزدجر ، أو ما كان لك في كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول :

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما »[3] ؟

فحسبك بها فعلة تلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص ، ولا لك من الله خلاص ، ولم تستقيلها ، وكيف تستقيلها وأني لك مقيلها ؟

هيهات ، هيهات ، هلك الضالون ، وخسر المبطلون ، وقـل النصير ، وزال العشير ، ومن بعد ذلك تماديك في غيك ، ومقامك في بغيك ، عداوة لله ولأوليائه ، وكفرا لهم وطغيانا ، وعمى وبهتانا .

أتراك تحسب أنك مخلد أم لأمر الله راد ؟

---

(١) من قبائل البربر .

(٢) بنو الاصفر : الروم البيزنطيون .

(٣) سورة النساء ٨٣ .

أم « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و [يأبى] الله [الا أن] يتم نوره ولو كره الكافرون »[1] .

هيهات لا خلود لمذكور ، ولا مرد لمقدور ، ولا طافىء لنور ، ولا مقر لمولود ، ولا قرار لموعود ، لقد خاب منك الامل ، وحان لك الاجل ، فان شئت فاستعد للتوبة بابا ، وللنقلة جلبابا ، فقد بلغ الكتاب أجله ، والوالي أمله ، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته ، ونطق من كان بالامس صامتا ، ونهض من كان خائفا ، ونحن أشباح فوق الامر والنفس ، دون العقل وأرواح في القدس ، نسبة ذاتية ، وآيات لدنية نسمع ونرى ، ، « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا »[2] ، « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون »[3] .

ونحن معرضون عليك ثلاث خصال — والرابعة أردى لك ، وأشقى لبالك ، وما أحسبك تحصل الا عليها — فاختر :

اما قدت[4] نفسك لجعفر بن فلاح ، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع الى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير — وهي أسهل ما يرد عليك — .

وإما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم — ولا سبيل لك الى ذلك ولا اقتدار — .

واما سرت ومن معك بغير زمام ولا أمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريك على احدى ثلاث : إما قصاص ، « فإما منا بعد واما[5] فداء » فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك ، واقالة لعثرتك .

وان أبيت إلا فعل اللعين[6] : « فاخرج منها فانك رجيم ، وان عليك اللعنة الى يوم الدين »[7] .

أخرج منها فما يكون لك أن تمكث فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فما أنت الا « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار »[8] ، فلا سماء

---

(١) سورة التوبة : ٣٢ .
(٢) سورة الشورى : ٥٢ .
(٣) سورة الاعراف : ١٩٨ .
(٤) اي جعلت من نفسك دية .
(٥) سورة محمد : ٤ .
(٦) اي ابليس .
(٧) سورة الحجر : ٣٤ — ٣٥ .
(٨) سورة ابراهيم : ٢٦ .

تظلك ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولا نهار يكنك ، ولا [علم يسترك] ، ولا فئة تنصرك ، قد تقطعت بكم الاسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل : « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء »(١) •

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه ، وجنود الله في طلبك قافية ، لاتزال ذو أحقاد ، وثوار أهجاد ، ورجال أنجاد ، فلا تجد في السماء مصعدا، ولا في الارض مقعدا ، ولا في البر ولا في البحر منهجا ، ولا في الجبال مسلكا ، ولا الى الهواء سلما ، ولا الى مخلوق ملتجا •

حينئذ يفارقك أصحابك ، ويتخلى عنك أحبابك ، ويخذلك أترابك ، فتبقى وحيداً فريداً ، وخائفاً طريدا ، وهائماً شريداً ، قد ألجمك العرق وكظك القلق ، وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك حزبك ، « كلا لا وزر • الى ربك يومئذ المستقر »(٢)، « هذا يوم لا ينطقون • ولا يؤذن لهم فيعتذرون »(٣) ، « وجوه يومئذ عليها غبرة• ترهقها قترة • أولئك هم الكفرة الفجرة »(٤) •

واعلم أنا لسنا بممهليك ولا مهمليك الا ريثما يرد [١٣٤] كتابك ، ونقف على فحوى خطابك فانظر لنفسك ، ما تبقى ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ لا ينفع نفساً ايمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً •

وان كنت على ثقة من أمرك • ومهل في أمر عصرك وعمرك ، فاستقر بمركزك، وأربع على ضلعك ، فلينالنك ما نال من كان قبلك من عـاد وثمود ، « وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد »(٥) ، فلنأتيكم بجنود لا قبل لكم بها ، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون ، بأولي بأس شديد ، وعزم سديد ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، بقلوب نقية ، وأرواح تقية ، ونفوس أبية ، يقدمهم النصر ، ويشملهم الظفر ، تمدهم « ملائكة غلاظ شداد لا يعصمون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »(٦) •

---

(١) سورة النساء : ١٤٣ .
(٢) سورة القيامـة : ١٠ ــ ١١ .
(٣) سورة المراسلات : ٣٥ ــ ٣٦ .
(٤) سورة عبس : ٤٠ ــ ٤٢ .
(٥) سورة ق : ١٤ .
(٦) سورة التحريم : ٦ .

فما أنت وقومك الا كمناخ نعم ، أو كمراح غنم ، « فاما نرينك بعض الذي نعدهم »(١) « فانا عليهم مقتدرون »(٢) ، وأنت في القفص مصفودا ، « أو نتوفينك فإلينا مرجعهم »(٣) ، فعندها تخسر الدنيا والآخرة ، « ذلك هو الخسران المبين»(٤)، « فأنذرتكم نارا تلظى • لا يصلاها الا الاشقى • الذي كذب وتولى »(٥) ، « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون »(٦) •

فليتدبر من كان ذا تدبير ، وليتفكر من كان ذا تفكر ، وليحذر يوم القيامة من الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله »(٧) ، « ويا حسرتنا على ما فرطنا »(٨) ، « ويا ليتنا(٩) نرد » « فنعمل غير الذي كنا نعمل »(١٠) ، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم « وكنتم قوما بورا »(١١) •

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى ، وانتمى الى الملأ الأعلى ، وحسبنا الله وكفى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير •

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا النبي [الأمي] والطيبين من عترته ، وسلم تسليما •

فأجابه الحسن الاعصم بما نصه : « من الحسن بن أحمد القرمطي الاعصم » :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على اثره، والسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل •

وسار الحسن بن أحمد القرمطي بعد ذلك الى مصر ، فنزل بعسكره بلبيس ، وبعث الى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخي الشريف مسلم ، وانبثت سراياه في أرض

---

(١) سورة يونس : ٤٦ .
(٢) سورة الزخرف : ٤٢ .
(٣) سورة يونس : ٤٦ .
(٤) سورة الحج : ١١ .
(٥) سورة الليل : ١٤ ــ ١٦ .
(٦) سورة الاحقاف : ٣٥ .
(٧) سورة الزمر : ٥٦ .
(٨) سورة الانعام : ٣١ .
(٩) سورة الانعام : ٢٧ .
(١٠) سورة الاعراف : ٥٣ .
(١١) سورة الفتح : ١٢ .

مصر ، فتأهب المعز وعرض عساكره في ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال ، ووسع عليهم في الارزاق،وسير معهم الاشراف والعرب.

وسير معهم المعز ابنه الامير عبد الله ، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الاموال والخلع ، وسير معه أولاده وجميع أهله ، وجمعا من جند المصريين خلا الشريف مسلم ، فانه أعفاه من ذلك .

وانبسطت سرية القرمطي في نواحي أسفل الارض[1] ، فأنفذ المعز عبده ريان الصقلبي في أربعة آلاف ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر .

ولثمان خلون منه قدمت سرية القرامطة الى الخندق ، فبرز اليها المغاربة فهزموهم ، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا ، وفر اليهم علي بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة .

وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل في الصعيد ، وقتل ، واستخرج الاموال ، وأسرف في قتل المغاربة وأسرهم ، ثم كر راجعا الى خميم .

ولست عشرة خلت منه جمع المعز أولاد الاخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم .

وفي سلخة طيف بتسعة من القرامطة على الابل بالبرانس ومعهم ثلاثة رؤوس ؟

وفيه سار عسكر المعز مع ابنه عبد الله فنزل جب عميرة ، ونزل عسكر القرمطي نصفين : نصف مع النعمان أخي الحسن بن أحمد الاعصم مواجهة لعبد الله بن المعز، ونصف مع الحسن بسطح الجب .

فبعث عبد الله العساكر، فأحاطت بالحسن بن أحمد، وعسكر زحف الى النعمان فقاتله فانهزم ، وقتل من أصحابه ، وواقع [٣٤ ـ ظ] الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ ، فانهم أحاطوا به ، وصار في وسطهم ، فاغتنم فرجه مضى منها على وجهه ،

---

(١) اي الوجه البحري .

ونهب سواده وأخذت قبته[1] ، وأسر رجاله ، وأخذ من عسكره وعسكر أخيه خلق كثير ، وأخذ جماعة ممن كان مع المصريين •

ووصل الكتاب مع الطائر الى عبد الله أخي مسلم بهزيمة القرامطة ــ وهو بالصعيد ــ، فعدى الى جانب الشرقي لينقلب الى الشام ، فبلغه مسير عساكر المعز فعاد الى الجانب الغربي •

وورد كتاب الطائر الى المعز من الامير عبد الله ابنه بأن عبد الله أخا مسلم قد أخذ ، فأرسل المعز الى أخيه أبي جعفر مسلم يخبره ، فخلع على البشير •

---

(١) ورد في ورقة منفصلة بين الصفحتين في الاصل شرح للقبة هذا نصه : « في ورقة ملصوقة بهذا المحل بخطه ما مقاله » :

« كان من مخاريق القرامطة القبة ، وهي ان أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي كانت عادته في الحرب أن يفرد طائفة من عسكره ــ فرساناً ورجالة ــ عن القتال ، يقفون معه لا يقاتل ولا يقاتلون ، فاذا كل المقاتلة عن القتال حمل هو بنفسه في الطائفة المستريحة التي لم تحضر القتال ، فقاتل وقد كلوا منهزمين عنه ، فلما مات ضعفت هيبة القرامطة بعده عن رجالهم وترتيب وقوفهم ــ كما ذكرنا ــ ، فرجعوا الى المخرقة ، واقاموا قبة كالعمارية على جمل وقالوا : « ان النصر ينزل من هذه القبة في وقت معلوم ، واخذوا من حب الكحل ومن اللؤلؤ الكبار وجعلوه في صرة مع فحمة ومدخنة بداخل القبة ، واذا أرادوا الحمل على عسكر من يحاربوه صعد رجل منهم الى القبة ، وقدح النار في المجمرة ، واخذ حب الكحل، وأرى القواد والناس بياضه (كذا) من بعيد وهم لا يعرفونه ، ثم يطرحه على النار ، فيفرقع فرقعة شديدة ، ويبعد من غير دخان ، فيظن القوم ذلك شيئا ، ويحملون على أعدائهم ومعهم القبة ، ولا .. منها شيء ، ولا يوقد ذلك الا عندما يقول صاحب العسكر : « قد نزل النصر » وذلك انه يقف مع القبة قطعة من الجيش مستريحة لا تقاتل ، وهو مستخف معهم وأكثر القوم يقاتلون وهم بالقبة من وراء المقاتلة ، فمن انهزم من مقاتلتهم حل دمه وقتل ، فاذا أحس بأنهم قد كلوا امر بعمل ما قلنا في القبة ، وحمل بها في الطائفة المستريحة فهزم من عساه يكون ، وما زالت مخرقتهم هذه يموهون بها الى أن كسرت هذه القبة في الرملة، ثم أخذها عبد الله بن المعز خارج القاهرة ، فقلت عند ذلك مهابة القرامطة بما ذهب من قيمتهم ، وبهذا قدروا على قتل جعفر بن فلاح ، وانهم كانوا لا يسيرون بالقبة الا كمن يسير الى امر ممهد، فيقولون : نزل النصر، وتشد قلوبهم وتقوى، فما سارت القبة من غير معارضة حتى يكون الظفر لهم » .

وكان في البرية سرية للمعز قد أخذوا الطريق على عبد الله أخي مسلم ، فوقع في أيديهم في الليل رجل بدوي ، فقال : « أنا عبد الله أخو مسلم » فجاء الى الامير عبد الله ، فكتب الى الطائر بأخذ عبد الله ، فلما جيء بالبدوي من الغد الى الامير عبد الله وهو في معسكره ــ وكان في مجلسه عبد الله بن الشويخ ــ فقال للامير عبد الله : « ما هذا عمي عبد الله » . فبطل القول . وكان خبر هذا البدوي أنه كان مع عبد الله أخي مسلم بالصعيد ، وعبر معه يريد الشام ، فأراد أن يسقي دوابه ، فقال له البدوي : « ما تأمن أن يكون على الماء طالب ، فدعني أتقدمك ، فان لم أجد أحد جئتك ، وان أبطأت عليك فاعلم أني أخذت » فلما وافى البدوي البئر أخذ فقال لهم : « أنا عبد الله أخو مسلم ليشغلهم عن طلبه ، فلما أبطأ البدوي على عبدالله علم أن الطلب قد أخذوه ، فكر راجعا وعاد الى الجانب الغربي ، وركب البحر الى عينون[1] ، ومضى الى الحجاز .

وكان ياروق على عسكر للمعز ، فرأى أصحابه عبد الله ، فأفلت منهم على فرس دهماء عربية بعدما حط قبته وقطعها بسيفه ، فظفر ياروق بنوقه ، ووصل عبد الله الى المدينة النبوية ، وجلس يتحدث في المسجد ، فقيل له : « ان الكتب قد سبقتك ، وبذل فيك مال عظيم » فنهض لوقته ، وتوجه الى الاحساء ، فاستنهض القرامطة ، فلم يكن فيهم نهضة ، فوبخهم لما رأى من عجزهم ، وقال : « أروني ما عندكم من القوة التي تقاومون بها صاحب مصر » فأوقفوه على ما عندهم من المال والسلاح والكراع ، فاستقله وقال : « بهذا تقاومون صاحب مصر والشامات والمغرب ؟» .

وانصرف عنهم الى العراق ، فأتبعوه برجل يقال أنه من بني سنبر ، فسمه في لبن بموضع يقال له النصيرية ــ على ميلين من البصرة ــ فقام مائتي مجلس في ليلة ومات بموضعه ، فغسل وكفن وأدخل البصرة ، فصلي عليه ودفن بها الى أن جاء حسن بن طاهر بن أحمد فحمله الى المدينة .

وورد الخبر بذلك الى المعز ، فأخبر الناس بموته وموت المطيع ، فان ابنه سمه أيضا ، كما سمت القرامطة عبد الله أخا مسلم .

---

(١) قرية يطؤها طريق المصريين اذا حجوا ــ معجم البلدان .

وأما أخبار القرامطة ففي كتب المؤرخين من المشارقة المتعصبين على الدولة الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطي من عساكر المعز أن العرب لما أنكت بمسير سراياها بأرض مصر ، رأى المعز أن يفل عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسان[1] بن الجراح الطائي — أمير العرب ببلاد الشام —، وكان قدم مع القرمطي في جمع عظيم قوي به عسكر القرمطي ، فبعث المعز الى ابن الجراح ، وبذل له مائة ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطي ، فأجابه الى ذلك ، وأن المعز استكثر المال ، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب ، وجعلها في أكياس ، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطي ما تحتها ، وشدت الاكياس وحملت الى ثقة من ثقات ابن الجراح بعدما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم ، فلما وصل اليه المال تقدم الى كبراء أصحابه بأن يتبعوه اذا توقف العسكران وقامت الحرب ، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما واتبعه أصحابه — وكان في جمع كبير — .

فلما رآه القرمطي — وقد انهزم — تحير ، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص ، وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب ، فخشي على نفسه وانهزم ، وتبعوه ودخلوا عسكره ، فظفروا منه بنحو من [٣٥ — و] ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى ، وانتهبوا العسكر .

ولما كان لخمس بقين من شعبان أنفذ المعز أبا محمود ابراهيم بن جعفر الى الشام خلف القرمطي في عسكر يقال مبلغه عشرون ألفا ، فظفر في طريقه بجماعة من أصحاب القرمطي ، فبعث بهم الى مصر .

---

(١) ورد في حاشية الاصل تعريف به ، نصه :
« حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن حرام بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن ..... بن ..... بن ..... بن علقي بن حوط بن عمرو بن خالد بن معدان بن ...... أفلت ابن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غانم بن ثور بن معن بن ... بن عنين بن سلامان بن .. بن عمرو بن الفوث بن طيء .

وسار الحسن بن أحمد القرمطي فنزل أذرعات[1] ، وأنفذ أبا المنجا في طائفة الى دمشق •

وبعث المعز الى ظالم بن موهوب العقيلي[2] لما بلغه ما وقع بينه وبين القرمطي ونزول أبي المنجا دمشق ، فسار القرمطي ودخل البرية يريد بلدة وفي نيته العود •

وكان للحسن بن أحمد القرمطي هذا شعر ، فمنه في أصحاب المعز لدين الله :

زعمت رجال الغرب أني هبتها فدمي إذاً ما بينهم مطلول
يا مصر إن لم أسق أرضك من دم يروي ثراك ، فلا سقاك النيل[3]

ولما كان في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد اسحاق وجعفر الهجريان من القرامطة فملكا الكوفة ، وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان من الهيبة ما أن عضد الدولة بن بويه وبختيار أقطعاهم الكثير ، وكان لهم ببغداد نائب يعرف بأبي بكر بن ماهويه يتحكم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن عضد الدولة ، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب اليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما ، فذكر أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم البلاد ، وبثا أصحابهما فجبوا المال ، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب ، فعبروا الفرات اليه وقاتلوه وأسروا ، فانجلت الوقائع بينهم وبين العساكر عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمتهم في جماعة ، وأسر عدة ، ونهب سوادهم ، فرحل من بقي منهم من الكوفة ، وتبعتهم العساكر الى القادسية فلم يدركوهم ، وزال من حينئذ بأسهم •

---

(١) درعا الحالية في سورية .

(٢) جاء في حاشية الاصل طرة نصها :

« بخطه : فبعث عضد الدولة فناخسرو الديلمي من العراق عسكراً الى الاحساء ، وبها يومئذ ابو يعقوب بن أبي سعيد الجنابي ، عم الحسن بن أحمد الاعصم ، ففر ابو يعقوب ، وأخذ العسكر ما كان في الاحساء فقدم الاعصم منهزماً من الشام فيمن بقي معه ، فانضم اليه عمه ، وسار وأوقع بالعسكر ، واستباحه قتلا ونهبا ، ففويت نفسه ، وكاتب العرب فأتوه وبعث رسولا الى المعز يطلب الموادعة » .

(٣) روايات هذا الشعر متباينة بعض الشيء ، انظر الروايات السابقة .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع شخص يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعا كبيرا [وكان] بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة، وانهزم أصحابه وقد قتل منهم وأسر كثير ، فسار الاصفر الى الاحساء وقد تحصن منه القرامطة بها ، فعدى الى القطيف وأخذ ما كان فيها من مال وعبيد ومواشي ، وسار بها الى البصرة[1] ...



(١) يتلو هذا بياض في الاصل قدره حوالي نصف صفحة ، يبدو ان المصنف تركه ليضيف فيه معلومات اخرى .

كتـــاب

المقفّى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليهـــا

بـــدر الحمامـــي*

كان من غلمان أحمد بن طولون ، وكان روميا حسن الخلق ، من حسن خلقه أنه اذا قبل أحد من الرجالة بخده باس هو رأسه ، وما يزال يترقى الى أن صار أكبر قواد مصر ، وتعين هو وصافي بعد قتل خمارويه ، فلما صار الامر الى هرون بـــن خمارويه قبض كل من بدر وصافي على قطعة من الجيش حازها لنفسه ، وطالب عنها بأرزاقها ، وسأل أن يكون ما لهم محمولا اليه يتولى هو اعطاءهم في داره ، ففعل ذلك به ، وصارت عدة كل طائفة من الجند الى دار من صاروا في جملته يغدون اليه، ويروحون مـــن عنده ، ويطالبونه بأرزاقهم ويقبضونها مـــن يد كاتبه ، لا يخافون ولا يرجون سواه •

وخرج الى دمشق ومعه طغج والحسين بن أحمد الماذرائي في سنة ثلاث وثمانين ومائتين، فأصلح أمر الشام ، واستخلف على دمشق طغج بن جف الفرغاني، وعاد الى مصر فحج بزي حسن ، وآلة جميلة ، وأنفق نفقة كبيرة ، وبنى ميضأة بباب الجامع العتيق بمصر ، ووقف عليها قيسارية ملاصقة لها ، وجعل مع الميضأة ماء عزب في كيزان كبار ، فوضع في كل حلقة من حلق الجامع كوز ، وجعل أزيارا مملوءة ماء مطلقة لسائر الناس ، وكان على صدقاته الليث بن داود ، فتجيء المساكين زمرا زمرا الى بابه ، وهم ينادون في الطريق دار ليث ، فيأخذون الدراهـــم الصحاح والخبز واللحم المطبوخ قدورا مملوءة ، وتفرق فيهم في الشتاء الجباب الصوف ، وفي يوم الاكسية ، وما زال ذلك معروفا قائما أيام حياة بدر كلها •

فلما انهزم طغج بن جف بدمشق من الحسن بن زكرويه القرمطي ، الذي يعرف بالمطوق وبصاحب الجمل ، وسمي علي بن عبد الله ، في سنة تسع وثمانين ومائتين خرج بدر وفائق بعساكر مصر ، وقاتلا القرمطي الى أن قتل ، وقام من بعده أحمد بن

---

* من مجلدة يرتو باشا استانبول •

عبد الله بن أحمد صاحب الخال ، فقاتله بدر حتى هزمه ، وفيه يقول من أبيات :

سبقت يــدي يــده   هاشمــي المحتــد
وأنــا ابن أحمد لم أقل   كــذبا ولـــم أتزيــد
مــن خوف بأسي قــال   بدر : ليتني لــم أولد

وأقاما بدمشق ، وحثا محمد بن سليمان الكاتب على أخذ مصر ، وسارا معه حتى أزال دولة بني طولون من مصر في ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ثم أخرج بدرا من مصر واليا على دمشق ، فخرج قواد بني طولون ومواليهم •



الحسن الاعصم القرمطي

الحسن بن أحمد الحسن بن بهرام ، أبو علي ، وقيل أبو محمد ، بن أبي منصور بن أبي سعيد الجنابي[1] ، ويعرف بالاعصم[2] القرمطي وقيل فيه الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، واسمه الحسن بن بهرام ، ويقال الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كوذركار،ولد بالاحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين.

وهذه الطائفة التي تعرف بالقرامطة قد عظم في العالم أمرها ، وشنع بين الخليقة ذكرها ، ودوخوا الممالك والاقطار وأذلوا أعزة أهل البدو وسكان الأمصار،وسأتلو من أنبائهم جملة توقفك على كنه أحوالهم فأقول : ان ابتداء أمر هذه الطائفة كان من رجل من الشيعة،يعرف بحسين الأهوازي،سكن عسكر مكرم[3] ، وتحول الى البصرة ، ثم صار الى سلمية من أرض حمص فأقام بها مدة ، وخرج داعية الى العراق فصادف بطريقه في سواد الكوفة رجلا يعرف بحمدان بن الاشعث ، ويقال له قرمط، من أجل أنه كان قصير القامة ، قصير الرجلين ، متقارب الخطا ، وهو ماش ومعه ثور، فسأله الحسين عن الطريق الى قرية يقال لها قس بهرام، فقال له حمدان: أنا قاصدها، فتماشيا ساعة وعرض حمدان على الحسين أن يركب ثوره ، فأبى ذلك ، وقال : لم

---

(١) وقع بالهامش الايمن بنفس الخط : جنابي بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف ياء موحدة من أسفل ، وهي بلدة صغيرة من سواحل فارس بينها وبين سيراف أربعة وخمسون فرسخا .

(٢) وقع بالهامش الايسر بنفس الخط: الاعصم بهمزة وعين مهملة وصاد مهملة بعدها ميم . وجاء في الهامش الايمن بنفس الخط ايضا : الاعصم من الظباء الذي في ذراعه بياض ، وغراب اعصم في أحد جناحيه ريشة بيضاء . وقيل هو الابيض والاعسم الذي يبس رسغه او يبس مرفقه ، يقال له رجل اعسم — وامراة عسماء — اذا تعوج منه اليدان . كذا في الاصل والذي في اللسان مادة عسم : تعوج منه اليد والقدم ، وانظر ايضا — في نفس المصدر — مادة عصم .

(٣) قال عنه ياقوت : بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب ايام الحجاج بن يوسف الثقفي .

أومر بذلك فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر لك ؟ قال : نعم • قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة ، فبهت حمدان أن يفكر ، ثم نظر اليه ، وقال : يا هذا! ما يملك ما ذكرته الا الله • قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء • قال حمدان : فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع الي جراب فيه علم ومر(١) من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية ، وأغني أهلها ، وأستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم ، وشرع يدعوه فقال له حمدان : يا هذا نشدتك الله الا دفعت الي من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ، فقال : لا يجوز ذلك ، أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقي اليك ما ينفعك ، فما زال حمدان يضرع اليه ، حتى جلسا ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال له : حمدان بن الاشعث قرمط ، وأسألك أن تسير معي الى منزلي حتى تجلس فيه فان لي إخواناً أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي ، فصار معه الى منزله ، وجمع عليه حمدان الناس ، فأخذ عليهم العهد للمهدي ، واغتبط به حمدان لكثرة ما شاهده من خشوعه ، وصيام نهاره ، وقيام ليله ، وشهر أمره في أصحابه حتى كان أغبط الناس به ، من أخذه الى منزله وكان يخيط لهم الثياب فيتبركون بخياطته ، ويرتزق من أجرتها ، الى أن أدرك التمر ، فوصف لأبي عبدالله محمد بن عمر بن شهاب العدوي — أحد وجوه الكوفة وعلمائها وفضلائها — أمر الحسين الأهوازي ، فنصبه لحفظ ثمره ، فأحسن القيام في حفظها ، وبالغ في أداء الامانة ، وخرج عن الحد في كثرة(٢) التشدد وذلك في سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس بالحسين ، الى أن حضرته الوفاة ، فعهد لحمدان بن الاشعث قرمط ، وأقامه مقامه ، وقضى نحبه •

وكان قد استجاب له مهرويه بن زكرويه السلماني الصواني ، وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق البوراني ، وعطيف النيلي في آخرين وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس العهود ، وكان أكبر دعاته عبدان الاهوازي ختن قرمط ، فقام في الدعوة ، وبث الدعاة في أعمال السواد بالكوفة ، فدخل [٣٤٥ ظ] في دعوة قرمط

(١) في الاصل سر والزيادة من اتعاظ الحنفا . ط القاهرة ١٩٦٧ وجاء هناك : رفع الي كتاب ، وما أثبتناه هنا أقوم .

(٢) في الاصل : (كثر) . وما أثبتناه أقوم .

بنو ضبيعة بن عجل من ربيعة ، وبنو يشكر من بكر بن وائل ، حتى لم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبعي الا ودخل في دعوته ، ودان بها ، ولم يبق من بطون العرب المتصلة بواسط بطن الا استجاب له ، فدخل في دعوته كثير من بني عابس ومن ذهل ، وعنزة، وتيم الله ، وبني ثعل ، وهم معظم سواد الكوفة .

فقوي قرمط ، وأخذ يجمع أموالهم ، فكان أول مافرض عليهم الفطرة وهي[1]: درهم يأخذ من كل واحد من الرجال والنساء والصبيان فسارعوا الى ذلك وحملوه اليه ، ثم فرض عليهم الهجرة ، وهي : دينار عن كل رأس أدرك الحنث ، وتلا قول الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم »[2] ، وقال لهم : هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك اليه ، وتعاونوا عليه ، حتى أن من كان منهم فقيرا أسعفوه ، ثم فرض عليهم البلغة ، وهي : سبعة دنانير ، وقال : هذا هو البرهان الذي أراده الله تعالى بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[3] . وقال : هذا بلاغ من يريد الايمان والدخول في السابقين « أولئك المقربون »[4] ، فكان من أدى سبعة دنانير عن البلغة ، أطعمه شيئا حلوا لذيذا في قدر البندقة ، وقال له : هذا طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، وصار يبعث الى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، عن كل واحدة سبعة دنانير ثم فرض عليهم الخمس من كل ما يملكونه وما يكتسبونه ، وتلا عليهم قول الله تعالى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه »[5] الآية ، فبادروا الى ذلك وقوموا سائر ما يملكونه من ثوب وغيره ، وأدوا منه الخمس ، حتى أن المرأة كانت تخرج من غزلها خمسه ، والرجل يخرج الخمس مما يكسبه ، ثم فرض عليهم الالفة ، وهي أنهم يجمعون أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه كلهم أسوة واحدة ، لا يفضل أحد من أصحابه على صاحبه ، ولا أخيه في ملك يملكه بشيء البتة ، وتلا عليهم قول الله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء

---

(١) في الاصل : (وهم) . وما أثبتناه اقوم .
(٢) سورة الانفال : ١٠٣ .
(٣) سورة البقرة : ١١١ .
(٤) سورة الواقعة : ١٠ .
(٥) سورة الانفال : ٤١ .

فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا »[1] الآية • وقوله تعالى : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم »[2] ، وقال لهم لا حاجة بكم الى الاموال فان الارض بأسرها ستكون لكم دون غيركم ، وقال لهم : هذه محنتكم التي امتحنتم بها ، ليعلم كيف تعملون ، وألزمهم بشراء السلاح في سنة وسبعين ومائتين •

وأقام في كل قرية رجلا مختارا من الثقات ، فجمع عنده أموال قريته من : غنم وبقر ، وحلي ، ومتاع ، وغير ذلك ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ، حتى لم يبق بينهم فقير ولا محتاج ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته : وجمعت اليه المرأة كسبها من مغزلها ، وأدى اليه الصبي أجرة نطارته وحراسته للطير ونحوه ، ولم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه لا غير •

ثم لما استقام له ذلك كله ، أمر الدعاة أن تجمع النساء في ليلة عينها ويختلطن بالرجال ، حتى يتراكبن ، وقال : هذا من صحة الود والالف ففعلوا ذلك • ثم انه أفشى فيهم اباحة الاموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض، وقال : هذا كله موضوع عنكم ، ودماء المخالفين وأموالهم حلال لكم ، ومعرفة صاحب الحق تغنيكم عن كل شيء ، ولا تخافون معه اثما ولا عذابا ، وعنى بصاحب الحق الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقال : بهذا الامام اتسقت هذه الامور ولولاه لهلك الخلق ، وعدم الهدي والعلم ، فبسطوا أيديهم بسفك الدماء وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس ، ووافقهم كثير من مجاوريهم •

ثم ان الدعاة اتفقوا على بناء دار هجرة ، فأقاموا سورا في قرية يقال لها مهتماباذ ، من سواد الكوفة ، وجعلوا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه [٣٤٦ — و] خندق عظيم ، وبنوا من داخل السور المباني ، وتحول اليها الرجال والنساء ، وذلك في سبع وتسعين ومائتين ، كل ذلك والخليفة ببغداد مشغول بصاحب الزنج ، وكثرة الفتن ، فلم يبق أحد الا خافهم لقوتهم ، وتمكنهم في البلاد ، ومات عبدان •

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(٢) سورة الانفال : ٦٣ .

وكان منهم رجل يقال له مهرويه ، قد عرف بالثقة والدين[1] ، فانقاد اليه خلق كثير ، وقال : أنا من ولد عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق[2] . وصار يركب في قبة على جمل ، ويدعى بالسيد وكان له ابن يقال له زكرويه أحد الدعاة . ومن الناس من يسميه الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .

فاتهم زكرويه بقتل عبدان ، فخاف ، ثم تحول من سواد الكوفة ، وأنفذ ابنه الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ونزل سلمية فوجد بها بني أبي الملاحف ، وهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد وأخواه[3] أبو العباس أحمد ، وحسن فاستمالوه الى القرامطة ، وحسنوا له أن يدعو الى أبيه محمد بن اسماعيل ، فأجابهم الى ذلك[4] . وكان معه من أولاده أربعة ، هم : أبو القاسم أحمد بن الحسين صاحب الجمل ، وأبو الحسن علي صاحب الخال وأبو محمد عبيد الله[5] الذي ملك افريقية، والقاسم الذي خرج مع أبيه الحسين بالهبير .

فخرج أبو القاسم أحمد في أول المحرم سنة تسعين ومائتين في ألف رجل ، وتوجه الى الرقة ، وقاتل عاملها شبل الديلمي وقتله وأخذ جميع ما في عسكره ،وسار الى دمشق فخرج اليه طغج بن جف ، عاملها من قبل أبي موسى بن أبـي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، فهزمه أقبح هزيمة ، وقتل أكثر من معه ، وأخـذ أموالهم ، ونجا طغج الى دمشق ، فنزل أبو القاسم على دمشق بين داريا الى المزة ، وحصرها سبعة أشهر حتى قدم بدر الحمامي بجيوش مصر ، فزحف اليهم وقد ركب جملا أحمر ، قدام عسكره ، وحوله مائة أسود بسيوف وحجف فكان اذا أشار

---

(١) في الاصل : (والديون) ، وهو تصحيف ظاهر .

(٢) زاد مؤلفنا المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء فقيل له : لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله ، فكف عن هذه الدعوى

(٣) في الاصل : واخويـه .

(٤) في هذا اضطراب ولعل الصواب : فاستمالهم الى القرمطة وحسن لهم أن يدعو الى ابيه محمد بن اسماعيل فأجابوه الى ذلك .

(٥) كذا في الاصل ، وسبق التنبيه الى أن الصحيح « عبد الله » ويلاحظ أن معلومات المقريزي فيها اضطراب شديد ، ومرد هذا الى أن المقريزي جمع مواد مسودة كتابه المقفى وتوفي قبل أن يكمله أو يعيد النظر فيه .

بكمه الى ناحية من عسكره ، حملوا على عساكر مصر وهزموهم ، الى أن انتدب له فارس من أهل مصر طعنه برمح أرداه به عن الجمل ، ومات ، فقتل الفارس .

وقام من بعد أبي القاسم أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال ، فمضى بمن معه عن دمشق ، فبعث المكتفي بالله أبا الأغر السلمي فلقيه على حلب وهزمه ، فسير اليه محمد بن سليمان الكاتب فواقعه بناحية سلمية وقتل من أصحابه ستة آلاف رجل ، وفر فقبض عليه وحمل الى بغداد على فيل في ثاني ربيع الاول سنة احدى وتسعين ، فصار يقول : ألستم يا فسقة بقايا قتلة الحسين بن علي ، وضربت عنقه وعنق المدثر ، ابن أخيه ، واسمه عبد الله[1] بن الحسين بن محمد بن اسماعيل، وبقية أصحابه وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة ، وقيل انه قتل هو وأخوه من أهل الشام والبوادي وأصحاب السلطان وأهل المدن ومن جند مصر ومن جند العراق نحو ستمائة ألف انسان .

ولما قتل المكتفي من ذكرنا ، غضب لذلك الحسين بن محمد وجمع وسار الى الكوفة وقتل جماعة ونهب ثم سار وأخذ الحاج بأسرهم،فخرج اليهم جيش من بغداد وقاتلهم وقتلهم في ربيع الاول سنة خمس وتسعين وقتل الحسين بن محمد وابنه القاسم ، وقتل معه زكرويه وسائر دعاته . فهذه جملة أخبار القرامطة الخارجين ببلاد الشام .

وأما قرامطة البحرين ، فكان مبدأ أمرهم أن رجلا من أهل جنابة يعرف بأبي سعيد الجنابي ، واختلف في اسمه فقيل الحسن بن بهرام ، وأنه من الفرس ، وقيل الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه كان يعمل الفراء ، ويسافر من البحرين الى سواد الكوفة ، فنكح امرأة من قوم كانوا يدينون بالقرمطة وصحب عبدان ، وقيل بل صحب قرمط وأخذ عنه ، وعاد الى القطيف فدعا الناس ، وكان أول من استجاب له بنو سنبر ، وهم : الحسين وعلي وحمدان ، وما زالت دعوته تنتشر وأمره يقوى ، حتى جمع وقاتل من خالفه بمن أطاعه ، وهدم مدينة هجر [٣٤٦ ــ ظ] بعد محاربة أهلها عدة أشهر وبنى دار هجرة

---

(١) كذا وهو عنده قبل بضعة اسطر اسمه « علي » ، ومرد هذا كما سبقت الاشارة الى أن المقريزي جمع بسرعة دون تحري ومراجعة .

بمدينة الاحساء • وقاتل جيوش المعتضد في سنة سبع وثمانين ومائتين، وقتل أكثرهم وأسر معظمهم • ولم يزل أمره يشتد حتى قتله غلامه في الحمام بمدينة الاحساء في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وكانت أيامه[1] نحو ست عشرة سنة :

وقام من بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فأكثر من الغزو ، وسار الى البصرة ، وأخذها في ربيع الاخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقتل منها خلقا كثيرا ، ثم أوقع بالحاج في ذي الحجة منها وأخذ لهم من المال ما لا يقدر قدره ، وأخذ الكوفة في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة ، وقتل منها وأسر كثيرا ، ثم سار يريد بغداد في سنة خمس عشرة ، ونزل الكوفة في شوال منها ، وقاتل يوسف بن أبي الساج ، وأسره ودمر عساكره ، وسار الى الانبار فهم أهل بغداد بالهرب ، وكانت هناك معارك مع جيوش العراق ، وسار الى الرحبة ووضع السيف في أهلها ونهب الجزيرة ، وقاتل أهل الرقة ورأس العين وسنجار ، وفرض الأموال على الناس ، وعاد الى الأحساء ، ثم قدم مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وردم زمزم بالقتلى ، وانتهك حرمة الكعبة ، وأخذ كسوتها وأموالها ، وقلع الحجر الاسود من موضعه ، وعاد الى بلاده ، ثم سار الى الكوفة في سنة تسع عشرة ، فأفسد وعاد •

ثم خرج في سنة ثلاث وعشرين الى الكوفة ونادى بالامان ، وفرض على أهل خراسان وبغداد والشام ومصر الاموال العظيمة ، فكانت تحمل اليه في كل سنة اتقاء شره •

ثم سار أيضا الى الكوفة سنة خمس وعشرين ، وعاد فأهلكه الله بالجدري ، بعدما تقطع جسده ، وذلك في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة •

فقام من بعده أخواه : أبو قاسم سعيد ، وأبو العباس أحمد ، واستقر الرأي والتدبير منوط بستة نفر ، وردوا الحجر الاسود مع سنبر بن الحسين بن سنبر في سنة تسع وثلاثين ووضع في مكانه يوم النحر فكانت مدة غيبته اثنتين وعشرين سنة تنقص أيـام •

وغلب الحسن بن أحمد على الشام في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وولى على دمشق وشاحا السلمي ، ثم رجع الى الاحساء في صفر سنة ثمان وخمسين،

---

(١) في الاصل : يامه ، وهو تصحيف .

وفي سنة تسع وخمسين خطب لهم بمكة ، وساروا الى دمشق في سنة ستين وثلاثمائة، وقتلوا جعفر بن فلاح في ذي القعدة ، وكبيرهم يومئذ الحسن بن أحمد صاحب الترجمة ، وكان سبب حركته هذه أن ظالم بن مرهوب العقيلي، لما انهزم من جعفر بن فلاح عن بلاد حوران والبثنية ، لحق بالاحساء وحث القرامطة ، فإن المال الذي كان يحصل اليهم من مصر انقطع عند دخول القائد جوهر بعساكر المعز لدين الله الى مصر، فبعثوا العرفاء لجميع العرب ، وسار الحسن بن أحمد الى الكوفة فوافاه من استجاب له من العربان ، وأنفذ الى بغداد يطلب المال ، فجهز اليه خزانة سلاح ، وأربعمائة ألف درهم أحيل بها على أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة الحسن[1] بن حمدان وهو على الرحبة ، فسار الحسن الى الرحبة ، وحمل اليه أبو تغلب العلوفة والمال المرسوم به ، وتوجه الى دمشق ، وقد صحبه كثير من عسكر أبي تغلب ومن انهزم من الاخشيدية ، فخرج اليه أبو الفضل جعفر بن فلاح وقاتله ، فقتل جعفر ، ونزل الحسن يوم الخميس سادس ذي القعدة على المزة خارج دمشق ، وجبى من المدينة مالا كثيرا ، وسار الى الرملة من دمشق يوم الثلاثاء لاحدى عشرة [ليلة] خلت من ذي القعدة ، وقد استخلف عليها ظالم بن موهوب ، واجتمع عليه عرب الشام ، وكثير من الاتباع والاجناد ، ونازل يافا وبها سعادة بن حيان وقاتله ، ثم رحل عنها ، وترك على حصارها أبا المنجا عبد الله بن علي بن منجا القرمطي ، وظالم بن مرهوب العقيلي، ونزل خارج القاهرة بعين شمس لعشر بقين من صفر سنة احدى [٣٤٧ ــ ظ] وستين، ومعه خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الاموال ، وأواني الذهب والفضة ، سوى التي تحمل الخيم والمضارب والبنود ، وغير ذلك من الاثقال ، وقد استعد جوهر القائد لحربه ، فالتحم القتال في يوم الجمعة أول ربيع الاول على باب القاهرة، وقتل من الفريقين وأسر جماعة ، وباتوا ليلة السبت وأصبحوا متكافين ، وغدوا يوم الاحد للقتال على باب الخندق فكانت وقائع شديدة قتل فيها من الفريقين عدد كبير، وانهزم الحسن ، ونهب سواده ببركة الحاج ، وأخذت صناديقه وكتبه ، ومضى في الليل على طريق القلزم ، ونهبت بنو عقيل وبنو طيء كثيرا من سواده ، وهو مشغول بالقتال ، فسار الى الاحساء ، ثم عاد من الاحساء ونزل الرملة في سابع رمضان ،

(١) في الاصل : الحسين ، وهو خطأ ظاهر .

وطرح مراكب في البحر ، وملأها بالمقاتلة ، وأكثر من جمع العربان معه للسير الى القاهرة ، فقدم المعز لدين الله أبو تميم معد من بلاد ، ونزل بالقاهرة في رمضان سنة اثنتين وستين ، فكتب الى الحسن بن أحمد كتابا عظيما ، فكتب جوابه • بعد البسملة : وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على اثره ، والسلام •

فلما كان شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وستين ، كثر انتشار القرامطة في أعمال[1] الشام ، وكثر الإرجاف بهم في القاهرة ومصر ، وبلغت مقدمتهم أرياف مصر ،وأطراف المحلة لعشر بقين من جمادي الآخرة ، ووصلت منهم سرية الى أطراف الحوف أول يوم من رجب ، وبعث الحسن بن أحمد ، عبد الله بن عبيد الله أخا الشريف مسلم الى الصعيد ، فنزل في نواحي أسيوط وأخميم ، وجبى الاموال ، وحارب أصحاب المعز، ونزل الحسن بلبيس ، فتأهب المعز لقتاله ، وندب ابنه ولي العهد الامير عبد الله بالعساكر ، وقد انتشر القرامطة في نواحي أسفل الارض ، يجبون الاموال ، وخرج ريان الصقلبي في أربعة آلاف الى المحلة ، فقتل وأسر كثيرا من القرامطة ، فاشتعلت أرض مصر أعلاها وأسفلها بنار الحرب من القرامطة ، ونزل الامير عبد الله بركة الحاج ، في سلخ رجب، وقد نزل النعمان بن أحمد ، أخو الحسن بن أحمد تجاهه • ونزل الحسن بسطح البركة ووقع القتال بين الفريقين واشتد ، فولى حسان بن علي ابن الجراح الطائي منهزما عن الحسن بمن معه، وكانوا جمعا كبيرا فلم يثبت الحسن، ومضى على وجهه ونهب سواده ، وأخذت قبته ، وأسر من عساكره خلق كثير ، فنزل أذرعات ، وتوجه منها الى الاحساء وقد تمزقت عساكره ، فبلغ ذلك عضد الدولة فناخسره بن ركن الدولة علي بن بويه ، فطمع أن يظفر ببقية القرامطة في الاحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب عم الحسن بن أحمد ، فبعث اليه عسكرا كثيفا ، ففر عن الاحساء ، فاحتوى العسكر على الاحساء وما فيها ، ووافى الحسن بن أحمد فيمن بقي معه فانضم اليه عمه ، وبقية أصحابه ، وحارب العسكر ، وكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها رجال العسكر ، وأخذت أموالهم ، فقويت نفس الحسن بن أحمد ، وعادت دولته ، وكتب يستدعي العرب فأجابوه ، ثم بعث رسوله الى المعز بطلب

(١) في الاصل : واعماد ، وهو تصحيف .

موادعته ويوصيه بكاتبه أبي المنجا ، وقد قبض عليه وحمل الى القاهرة ليسجن بها ؛ فأفرج[1] عنه في خامس محرم سنة أربع وستين •

فلما قدم ألبتكين الشرابي الى دمشق وملكها ، وسار القائد جوهر من القاهرة الى دمشق وحصر البتكين ، وبعث الى الحسن بن أحمد يستدعيه، فسار من الاحساء يريد دمشق ، فسار جوهر بعد مصالحة ألبتكين الى طبرية ، وقد قرب منه الحسن بن أحمد ، فأسرع في الرحيل ، وخرج الحسن من البريـة يريد طبرية ، ففاته جوهر ، فبعث سرية تلحقه ، فواقعهم أصحاب جوهر ، وجلوا الى الرملة • فلما [٣٤٧ ــ ظ] بلغ ذلك الحسن سار من طبرية وسار ألبتكين في اثره ، حتى نزلا الرملة ، فمات الحسن بها في يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رجب سنة ست وستين وثلاثمائة •

فقام من بعده ابن عمه جعفر بن أبي سعيد الجنابي، وقاتل جوهرا هو وألبتكين بقية السنة ، ثم فسد ما بينه وبين ألبتكين فسار الى الاحساء ، وحمل معه الحسن حتى دفنه هناك •

وكان الحسن بن أحمد قصيرا له كرسي من خشب يصعد عليه حتى يركب ؛ وكان لا يركب من الخيل الا أقواها ، وقال يرد على من عيره بالقصر :

زعمـوا أنني قصـير لعمري ... ما تكـال الرجـال بالقفزان
انمـا المـرء باللسان وبالقلـ ... ـب وهـذا قلبي وهذا لساني

ووقع في[2] آخر يوم من أيام حياته توقيعا[3] بخطه لم يفهم من ضعف يده ، فاستثبت فيه ، فتنبه وقال :

رأوا خطـي نحيـلاً فاستدلوا ... بـه أنـي[4] علـى جسم نحيـل
وقـد قرئت سطورهـم بحمـدي ... ولكـن ما اسحـدم والـذبول[5]

(١) في الاصل : فأخرج ، وهو تصحيف ظاهر .
(٢) في الاصل : لـي .
(٣) في الاصل : مرقعا .
(٤) في الاصل : ينبي .
(٥) في الاصل : وقد قريت اسطر بحمدي : ولكن ما اسحدم والذبول . وفي حـين كان بالامكان تقويم الشطر الاول من هذا البيت لم استطع الاهتداء الى وجه او مصدر لتقويم الشطر الثاني .

فمات من يومه ومن شعر الحسن :

زعموا أنني ضئيل لعمري ... ما تكال الرجال بالقفزان
انما المرء باللسان والقلـ ... ـب وهذا قلبي وهذا لساني[1]

وقال يرثي[2] :

أعزز علي بقتله ... لشبابه وأبوته
قد كنت ذا خوف علي ... ـه لبطشه وجراءته
وجماله وكماله ... وحيائه ومروءته
وعطائه ووفائه ... وبهائه ورئاسته
وحبائه لعداته ... وجميل وصف سياسته
حاو خصال الخير لم ... يمتن قط ولم يته
فاق المغارب جوده ... فعلا تعالى همته
جاد الإله في عليه في ... الأخرى بسكنى جنته

والقرمطي نسبة[3] الى قرمط ، وهو حمدان بن الاشعث ، وانما سمي قرمطاً، لأنه كان قصير القامة قصير الرجلين ، وكان خطوه متقاربا فقيل له من ذلك قرمط . وقيل بل هو نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج من مذاهب الاسلام . وقيل لأن صاحب الجمل وصاحب الخال القائمين ببلاد الشام كانا من قيس من بني عبادة ابن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عثمان بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[4] .

---

(١) انظر سر الفصاحة للامير ابي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي. ط القاهرة ١٩٣٢ . ص ٥٨ .
(٢) في الاصل : يرثي وهو تصحيف .
(٣) في الاصل : نسبك ، وهو تصحيف ظاهر .
(٤) واضح ان المقريزي ينقل هنا من كتاب بغية الطلب لابن العديم ، دون الاشاره اليه ، ذلك انه نادرا ما يشير الى مصادره ، وثبت لدي أن المقريزي قد تملك بعض مجلدات بغية الطلب ، واعتمده في مشروع كتابه المقفى .

ولما نزل الحسن بن أحمد الى الرملة أحضر اليه الفراشون في بعض الليالي الشموع ، فقال لأبي نصر بن كشاجم ــ وكان كاتبه ــ : يا أبا نصر ما يحضرك في صفة هذه الشموع ، فقال : انما نحن في مجلس السيد ، لنسمع من كلامه ، ونستفيد من أدبه ، فقال الحسن بن أحمد في الحال بديها :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها وتاج على هيئة البرنس
اذا غازلتها الصبا حركت لسانا من الذهب الأملس
وان رنقت لنعاس عرا رقطت من الرأس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من[1] النور في أسعد وتلك من النار في أنحس

فقام أبو نصر ، وقبل الارض وسأله أن يأذن له في اجازة الابيات فأذن له فقال:

وليلتنا هذه ليلة تشاكل أشكال اقليدس [٣٤٨ و]
فيا ربة العود حثي الغنا ويا حامل الكاس لا تحبسي

فتقدم بأن يخلع عليه ، وحمل اليه صلة سنية والى كل واحد من الحاضرين .
وكتب الحسن بن أحمد الى جعفر بن فلاح :

الكتب معذرة والرسل مخبرة والحق متبع والخير موجود
والحرب ساكنة والخيل صافنة والسلم مبتذل والظل ممدود
فان أنبتم فمقبول إنابتكم وان أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا أو يردن بنا دمشق والباب مهدوم ومردود
اني امرؤ ليس من شأني ولا أربي طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة وذات دل لها دل وتفنيد
ولا أبيت بطين البطن من شبع ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا الى طمع يوما ولا غرني فيها المواعيد

(١) في الاصل : « في » وهو تصحيف .

ومن مختار شعره :

وله مقلة صحت ولكن جفونها … بها مرض يسبي القلوب ويتلف
وخد كورد الروض يجنى بأعين … وقد عز حتى انه ليس يقطف
وعطفه صدغ لو يعلم عطفها … لكان على عشاقه يتعطف

وقوله :

يا ساكن البلد المنيف تعززا … بقلاعه وحصونه وكهوفه
لا عز إلا للعزيز بنفسه … وبخيله وبرجله وسيوفه
وبقبة بيضاء قد ضربت على … شرف الخيام لجاره وحليفه
قرم اذا اشتد الوغى أردى العدى … وشفى النفوس بضربه ووقوفه

وقوله :

لم يرض بالشرف التليد لنفسه … حتى أشاد تليده بطريف
اني وقومي في أحساب قومهم … كمسجد الخيف في بجبوحة الخيف
ما علق السيف منا بابن عاشرة … الا وهمته أمضى من السيف

وكان الحسن بن أحمد يعشق أبا الدواد المفرج بن دغفل بن الجراح فدخل عليه يوما وفي وجهه أثر ، فسأله عنه فقال : قبلتني الحمى • فأنشد :

قبلته الحمى ولي أتمنى … قبلة منه من زمان طويل
حاجة طالما ترددت فيها … قضيت للغريب قبل الخليل

وفيه يقول :

هل لنا فرجة إليك … أيا ابن[1] مفرج
لامني فيك[2] معشر … هم الى اللوم أحوج
كيف لم يسبهم[3] … عذارك [وهو][4] المدرج

(١) في الاصل : يا بن ، وهو تصحيف .
(٢) في الاصل : منك ، وهو تصحيف .
(٣) في الاصل : سهم ، وهو تصحيف .
(٤) أضيف ما بين الحاصرتين لتقويم الوزن .

وفي شعر علتــه :

ولو أني ملكت زمــام أمري لـمــا قصرت عن طلب النجــاح
واكنني ملكت فصار حالــي كحــال البدن في يــوم الاضاحــي
يقــدن الى الــردى فيمتن كرهــا ولــو يستطعن طرن مــع الريــاح



طفـــج ــ ومعناه عبد الرحمن ــ بن جف*

ابن بلتكين بن قوران بن قوردي بن خاقان ، صاحب سرير الذهب ، الامـير أبو محمد الفرغاني ، كان أحد قواد الطولونية ، وولي لخمارويه بن أحمد بن طولون دمشق .

وفي امارته ظهر ببلاد الشام رجل زعم أنه علوي ، وأنه المهدي بالله عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وكثير من الناس ينكر هذا النسب ويقول انه ليس بعلوي ، وانه الحسن بن زكرويه بن مهرويه أحد دعاة قرمط ، وكان زكرويه من أهل سواد الكوفة وهو الذي قتل عبدان داعية قرمط ، فلما طلبه الدعاة ليقتلوه بعبدان استتر وتنقل في القرى بالسواد مدة سنة ست وسنة سبع وثمانين ومائتين .

ثم بعث ابنه الحسين في سنة ثمان وثمانين ومائتين الى الشام ومعه أبو الحسين الحسن بن أحمد من القرامطة ، فنزل في بني كلب ، وانتسب الى محمد بن اسماعيل ابن جعفر وادعى أنه الامام ، فاستجاب له فخذ من بني العـلَـيص وطائفة من بني الاصبع من كلب ، وبايعوه ، فبعث اليه زكرويه رجلا تلقب بالمدثر، وتسمى بعبد الله، وتأول أنه المذكور في القرآن بقوله تعالى : « يا أيها المدثرقم فأنذر » ، ويقال ان هذا الرجل ابن أخت عيسى بن مهرويه ، وضم معه أيضا غلاما من بني مهرويه تلقب بالمطوق ، فكان سيافا ، وكتب معه الى ابنه الحسين بن زكرويه يعرفه أنه ابن الحجة، ويأمره بالسمع والطاعة له ، فتلقاه الحسن بن زكرويه وسر به ، وجمع له الجمع ، وقال : هذا صاحب الامامة فامتثلوا أمره وقالوا له : مرنا بما أحببت ، فقال استعدوا للحرب فقد أظلكم النصر ففعلوا ، وخرج اليهم سبك مولى المعتضد في سنة تسع وثمانين : فقاتلوه وقتلوه بالرصافة غربي الفرات، وأخذوا الرصافة ونهبوها وتوجهوا

---

* من مجلدة باريس من المقفى .

نحو الشام ينهبون القرى ، فتهاون طغج بهم حتى قدموا أطراف دمشق فخرج اليهم بغير أهبة ولا عدة لاستخفافه بشأنهم ، فلقيوه وهزموه أقبح هزيمة ، وقتلوا كثيرا من رجاله ونزلوا على دمشق، فبعث الى مصر يطلب النجدة، فخرج اليه بدر الحمامي وفائق في جيش كبير ، وسار الى دمشق فخرج اليهم طغج بعدما أقام محصورا من القرامطة سبعة أشهر ، وفني أكثر الناس ، وخرب البلد ، وكان المطوق يحضر الحرب على ناقة ويقول لأصحابه لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا فانه لا ترد لكم راية ، اذ كانت مأمورة ، فسمي صاحب الناقة ، فلما وصلت جيوش مصر اجتمعوا مع طغج على محاربة صاحب الناقة ، وقاتلوه خارج دمشق فقتل بسهم ، ويقال محرقة ، فجالد أصحابه عسكر بدر وطغج حتى انحازوا عنهم ، وساروا عن دمشق فبايعوا الحسن بن زكرويه ، ويقال بل اسمه أحمد بن عبد الله ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فيما يزعم ، ويعرف بصاحب الخال من أجل خال كان في وجهه ، فسار بهم حتى افتتح عدة من مدائن الشام ، وظهر على جند حمص وقتل خلقا من قواد المصريين وأجنادهم وتسمى بأمير المؤمنين ، وزعم أنه المهدي ، وخطب له على المنابر ، وسار نحو الرقة في سنة تسعين ومائتين وقتل عاملها ، ثم عاد الى دمشق ، وجعل ينهب ما مر به من القرى ، ويسبي ويحرق ، فلما قارب دمشق أخرج اليه طغج جيشا كثيفا فهزمه القرمطي ، وقتل أكثر من خرج اليه .

فبلغ ذلك أمير المؤمنين المكتفي بالله ، فندب أبا الأغر السلمي وضم اليه عشرة آلاف من الجند والموالي والاعراب ، وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين ، فسار حتى نزل حلب فوافاهم جيش القرمطي فهزموهم ، وأتوا على عامتهم ، فلم يسلم منهم الا القليل ، ولحق أبو الأغر بحلب ومعه من أصحابه نحو الالف ، فتحصن بها ، فنازله القرامطة ثم رحلوا عنه ولم يظفروا به ، وساروا وقد عظم جمعهم الى حمص ، فخطب له بها وبحماة والمعرة وبعلبك وسلمية بعدما أثخن في القتل ، وأسرف في النهب والسبي والتحريق بعامة البلاد .

فضعف أمر طغج وقلت رجاله وتتابعت الكتب الى بغداد بأن دمشق قد أشفت على الاخذ ، وأشرف أهلها على الهلاك ، فكثر الضجيج ببغداد ومصر ، فأخرج

المكتفي المضارب ورحل من بغداد لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وسار حتى نزل الرقة ، فانبثت جيوشه بين حلب وحمص .

وقلد محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ الطولوني حرب الحسن بن زكرويه ، وهو يومئذ صاحب ديوان العطاء وعارض الجيش بمدينة السلام ، واختار له جيشا كثيفا، فنفذ نحوه بمن معه، وسار اليهم ولقيهم في سادس المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين بالقرب من حماه ، فقتل عامتهم ، وانهزم الحسن بن زكرويه فقبض عليه كما ذكر في ترجمة محمد بن سليمان الكاتب .

ثم سار محمد بن سليمان الى العراق ، وأقام لؤلؤ بدمشق ومعه فائق، فكتبا الى محمد بن سليمان يحثاه على الشام ومصر ، ويعداه القيام معه ، فسار من بغداد في رجب منها حتى أخذ دمشق ، ومضى منها الى مصر ومعه طغج ، فبعثه واليا على قنسرين وضم اليه جمعا من جند بني طولون ، ثم صرف طغج عن قنسرين ومضى الى العراق ، فأقام بها حتى مات سنة عشر وثلاثمائة .

وترك من الاولاد : أبا بكر محمد بن طغج الاخشيد ، وولي مصر وغيرها ، وترك أبا القاسم علي بن طغج ، وأبا المظفر الحسين بن طغج ، وأبا الحسن عبيد الله ابن طغج ، وولي الشام ، وحمل الى المغرب مأسورا .



عبد الله بن علي بن المنجا أبو المنجا القرمطي*

قدم مع الحسن بن أحمد الاعصم القرمطي من الاحساء الى دمشق في ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة ، وتركه على حصار سعادة بن حيان بيافا ومعه ظالم بن مرهوب العقيلي ، وسار الى مصر ، فقابله جوهر القائد وهزمه ، فرحل أبو المنجا وظالم عن يافا ، ونزلا على دمشق ، فاختلف أبو المنجا مع ظالم بسبب أخذ الخراج ، وأراد كل منهما أخذه لينفقه في رجاله ، فقدم الحسن بن أحمد بعد هزيمته من ظاهر القاهرة الى بلده ، ونزل على الرملة ، فلقيه أبو المنجا وعرفه ما جرى بينه وبين ظالم من الاختلاف ، وكان أبو المنجا أثيرا عند الحسن بن أحمد القرمطي ، يولج اليه أموره ويستخلفه على تدبيره ، فقبض على ظالم وحبسه ، فلما انهزم الحسن بن المعز نزل أذرعات ، وأنفذ أبا المنجا في طائفة من الجند الى دمشق ، وكان ابنه واليا عليها ، فوصل دمشق ، واستولى عليها ، وكان ظالم قد تفلت ونزل بعلبك .

فلما رجع الحسن بن أحمد الى الاحساء اتفق ظالم مع أبي محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح على قتال أبي المنجا ، وسار ظالم من بعلبك حتى وافى عقبة دمر ، فخرج اليه أبو المنجا في ألفين من الجند ، فتركه كثير منهم ، ولحقوا بظالم ، فطرق ظالم أبا المنجا بالميدان ، وقبض عليه وعلى ولده بعد أن وقعت فيه ضربة ، وصار جميع من معه الى ظالم ، وملك دمشق في يوم السبت العاشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ، وسجنه وابنه في عدة من أصحابه ، وأخذ أموالهم .

فنزل أبو محمود على دمشق يوم الثلاثاء ثاني عشر منه ، فسلم اليه ظالم أبا المنجا وابنه ، ومحمد بن أحمد بن سهل النابلسي ، فعمل لكل منهم قفصا من خشب ، وحملهم الى المعز لدين الله ، فقدموا القاهرة لأربع خلون من ذي القعدة ، فطيف بهم على الابل بالبرانس والقيود في نيف وعشرين رجلا من القرامطة خلفهم على الابل ، ثم سجن الجماعة وقتل ابن النابلسي ، فلم يزل أبو المنجا في الاعتقال الى أن أطلق لخمس بقين من المحرم سنة أربع وستين ، هو وابنه ، وخلع عليه وحمل ، وأطلق معه بضعة عشر من القرامطة .

---

* من مجلدة باريس من المقفى .

محمد بن احمد بن سهل بن نصر أبو بكر الرملي المعروف بابن النابلسي*

كان بمصر أيام كافور الاخشيدي ، فلما قدم جوهر خرج منها الى الرملة خوفاً على نفسه لما بدا منه في حق الشيعة من الانكار لمذهبهم •

قال ابن الطحان : حدثونا عنه ، حدث عن أبي جعفر محمد بن شيبان الرملي ، وسعيد بن هاشم بن مَرْثد الطبراني ، وعمر بن محمد بن سليمان العطار ، وعثمان ابن محمد بن علي بن جعفر ، وأبي سعيد بن الاعرابي •

روى عنه تمام الرازي ، وعبد الرحمن الميداني ، وقال : الرجل الصالح الثقة الصدوق ، وأبو الحسن الدارقطني •

وقال أبو ذر الهروي : أبو بكر النابلسي سجنه بنو عبيد وصلبوه على السنة، وسمعت الدار قطني يذكيه ويبكي ويقول : كان يقول وهو يسلخ : كان ذلك في الكتاب مسطورا •

وقال أبو محمد الاكفاني : وفيها — يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة — توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن النابلسي ، وكان يرى قتال المغاربة وبغضهم واجبا ، وكان قد هرب من الرملة الى دمشق فقبض عليه الوالي بها أبو محمد الكتامي صاحب العزيز بدمشق،وأخذه وحبسه في شهر رمضان، وجعله في قفص خشب ، وحمله الى مصر ، فلما حصل بمصر قيل له : أنت الذي قلت : لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في وجه المغاربة وواحدا في الروم ، فاعترف بذلك ، وقال : قد قلته ، فأمر أبو تميم — يعني المعز لدين الله — بسلخه ، فسلخ وحشي تبنا ، وصلب ، انتهى •

---

* من المقفى مجلدات ليدن ، وجمعت هذه الترجمة من بين أوراق الكتاب المبعثرة، حيث يبدو ان المقريزي كتبها في أكثر من مرحلة .

وكان من خبر أبي بكر النابلسي أن جوهر القائد لما قدم الى مصر وبنى القاهرة جهز القائد جعفر بن فلاح لأخذ الشام ، فقاتل الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة وأخذه ، وعاثت عساكره فيما هنالك ، وتوجه الى دمشق ، فقابله أهلها كما ذكر في خبره .

وقدم الحسن بن أحمد القرمطي باستدعاء أهل دمشق له ، وصاروا في جملته، فمضى الى مصر ، وكان من خبره ما ذكر في ترجمته ، فلما انهزم مضى القائد أبو محمود ابراهيم بن جعفر بن فلاح من قبل المعز لدين الله لأخذ دمشق وبها ظالم ابن مرهوب العقيلي ، وقد غلب أبا المنجا خليفة القرمطي وأخذ منه دمشق ، وسجنه هو وابنه وعدة من أصحابه القرامطة ، وصار النابلسي الى دمشق فراراً من القائد أبي محمود عندما استولى عليها ، وقد كان النابلسي قام بالرملة عند ورود القرمطي، ودعا الى قتال المعز .

فلما نزل أبو محمود على دمشق لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، قبض ظالم بن مرهوب على النابلسي ، وخرج به ومعه أبو المنجا نائب القرمطي على دمشق وولده الى أبي محمود ، فجعل كل واحد منهم في قفص من خشب وحملهم الى المعز .

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله ، أبي تميم معد : ولأربع خلون من ذي القعدة ـــ يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ـــ وصل ابن النابلسي وأبي المنجا وابنه ونيف وعشرين رجلا من القرامطة ، فطيف بهم على الابل ، بالبرانس والقيود، وكان ابن النابلسي ببرنس مقيد على جمل خلفه رجل يمسكه والناس يسبونه ويشتمونه ويجرون برجله من فوق الجمل ، واشتغلوا بسبه عن الذين كانوا معه ، فلما فرغ التطواف وردوا الى القصر عدل بأبي المنجا وابنه ومن معهما من القرامطة الى الاعتقال ، وعدل بابن النابلسي الى المنظر ليسلخ ، فلما علم بذلك رمى نفسه على حجارة ليموت ، فرد وحمل على الجمل ، فعاد ورمى نفسه فرد وشد ، وأسرع به الى المنظر فسلخ ، وحشي جلده تبنا ، ونصبت جثته وجلده على الخشب عند المنظر .

وروى الحافظ السلفي عن محمد بن عاي الانطاكي قال : سمعت ابن الشعشاع المصري يقول : رأيت أبا بكر النابلسي بعد ما قتل في المنام وهو في أحسن هيئة،فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال :

حباني مالكي بدوام عز ... وواعدني بقرب الانتصار
وقربني وأدناني اليه ... وقال أنعم بعيش في جوار

وقال القراب عن المالبني : وكان — يعني النابلسي — نبيلا جليلا ، رئيس الرملة كثير الحدبث ، هرب الى دمشق ، فأخذ وسلخ وصلب بمصر .



محمد بن سليمان الكاتب

أبو علي بن المُنْفِق ، كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون* .

ولما قام صاحب الجمل بدمشق ، وهو أحمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ، وقيل اسمه غير ذلك ، وجمع الناس ، وحارب طغج بن جف أمير دمشق الى أن قتل ، وقام من بعد صاحب الخال ، وهو علي بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقيل في اسمه ونسبه غير ذلك ، وبايعه القرامطة بعد قتل صاحب الجمل ، وأخذ عدة من مدائن الشام ، وتلقب بأمير المؤمنين المهدي ، وأخذ عامل الرقة ، ثم هزم أبا الأغر السلمي قائد عساكر المكتفي بالله، أبي محمد علي بن المعتضد بالله ، وأخذ حمص وأكثر من القتل ، وأسرف في النهب ، وكثر الضجيج ببغداد ، واجتمع الناس بسبب ذلك .

فأمر المكتفي بالاستعداد ، وأخرج القواد والجند ، ثم خرج وسار من بغداد لاثنتي عشرة خلت من رمضان سنة تسعين ومائتين ، حتى نزل الرقة ، وقلد محمد بن سليمان حرب القرمطي ، وهو يومئذ عارض الجيش ، وصاحب ديوان العطاء، واختار له جيشا كثيفا ضمه اليه ، فنفذ بالجيوش نحوه ، فلما دخلت سنة احدى وتسعين كتب الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الى محمد بن سليمان الكاتب بمناهضة القرامطة ، فسار اليهم ، والتقى الجمعان يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم على اثني عشر ميلا من حماه ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجالهم .

وبات محمد بن سليمان خارج العسكر متيقظا حتى أصبح خوفا من حيلة تقع، وكان القرمطي قد تخلف في السواد ، فلما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ، ورحل من وقته خوفا من الطلب ، ولحق به من أفلت ، فاستخلف عليهم بعض ثقاته ، وأوهمهم أنه يسير الى بغداد ليأخذوها فانها خالية من العساكر ، وأهلها قد بعثوا اليهم كتبهم

* من المقفى مجلدات ليدن .

يطلبونه ، وسار عنهم في طائفة ، وسلك البر حتى نزل بالدالية ، وهي قرية من عمل الفرات ، فقبض عليه ، وحمل الى المكتفي بالرقة ، وقدم محمد بن سليمان بالجيوش الى الرقة بعد أن تتبع القرامطة ، وقتل وأسر منهم بشرا كثيرا ، فخلفه المكتفي على العساكر وعاد في خاصته وغلمانه من الرقة الى بغداد ، وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله ، وحمل القرمطي ومن أسر في الوقعة أول يوم من صفر ، فدخل بغداد وشهرهم .

ثم وصل محمد بن سليمان في الجيش ، وقد تلقط بقايا القرامطة من كل وجه ، فنزل خارج بغداد ليلة الخميس ثاني عشر ربيع الأول،وأمر المكتفي القواد وأصحاب الشرط بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زي حسن ومعه وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، واتته الخلع فلبسها ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسوروا ، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من ربيع الاول المذكور أمر المكتفي القواد وجميع الغلمان ، وصاحب جيشه محمد بن سليمان ، وصاحب شرطته ، أن يحضروا قتل القرامطة فقتلوا ...



العسجد المسبوك

فيمن

ولي اليمن من الملوك

الفصـــل السادس[1]

فـــي

ذكر القرامطة باليمن وذكر علي بن الفضل وبدو أمره[2]

المقالة في اصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها

قال علماء السير والتواريخ : كان علي بن الفضل شيعيا ، على مذهب الاثني عشرية ، فاتفق أنه حج مكة في بعض السنين ، ثم خرج يريد العراق ، قاصدا زيارة قبر الحسين بن علي ، عليهما السلام ، فلما وصل الى العراق ، وزار قبر الحسين عليه السلام ، بكى بكاء شديدا عنده وترحم عليه ، واستغفر له ، وأظهر مـــن التأسف والكآبة عليه ما أطمع ميمون القداح[3] في اصطياده ، وكان ميمون القداح يخدم

---

(١) من ص ٣٥ ــ ٤٣ من نسخة الجامع الكبير ومن ص ٣٦ ــ ٤٨ من نسخة مكتبة الحرم المكي .

(٢) تحسن مقارنة رواية الخزرجي مع ما ذكره القاضي النعمان في رسالة افتتـــاح الدعوة ٣٢ــ٥٤، والحمادي في كشف اسرار الباطنية ٣٥٩ ــ ٣٧٩ . ويلاحظ أن هناك فوارق بين روايـــة الخزرجي من جهـــة ورواية كل من القاضي النعمـــان والحمادي من جهة ثانية، فرواية الخزرجي تمثل وجهةنظر يمانيةغير اسماعيلية، بينما رواية القاضي النعمان اسماعيلية فاطمية، ورواية الحمادي نهلت من مصادر اسماعيلية صليحية يمانية ، كما انه من الملاحظ أن القاضي النعمان مر بذكر علي ابن الفضل مرور الكرام ، على حين أولته الروايات اليمانية عظيم الاهتمام .

(٣) هو الامام الاسماعيلي لوقته كما جاء في رسالة افتتاح الدعوة : ٣٣ ــ ٣٧ ، ولعله تظاهر باسم ميمون تمويها وتسترا ، مما جعل الامر يلتبس على الرواة وسواهم ، علما بأن بعض المصادر الاسماعيلية تجعل ميمون وأولاده مـــن بعده حججـــا او حجابا للأئمـــة .

الضريح ، هو وولده عبيد الله ، ولا يكاد يفارقانه ليلا ولا نهارا ، وولده عبيد الله[1] هو جد العبيديين، الذين ملكوا مصر ــ وقد تقدم ذكرهم في القسم الاول في الكتاب في الباب الرابع منه ...

فلما رأى ميمون ما ظهر من علي بن الفضل من التأسف ، والبكاء ، طمع في اصطياده ، فخلا به وحادثه ، فوجده مائلا الى مذهبهم ، مع ما تبين له فيه من النجابة والشهامة ، وكان ميمون منجما له معرفة بعلوم الفلك ، فرأى أنه سيكون له أمر عظيم ، وكان قد شهر له علمه ، أنه سيكون لابنه عبيد الله شأن عظيم ، يفضي به الى الملك،وأن عقبة يتوارثون ملكه بعده ، دهراً طويلاً،وبعد عليه وجه اتصاله بالملك .

وكان على ما حكاه بعض العلماء يهوديا ، فركبه الاسلام ، فلم ير بدا من الدخول فيه ، فتظاهر بالاسلام ، فقدم مشهد الحسين ، وادعى أنه من ولده ، والعلماء من العلويين وغيرهم ينكر نسبه الى أهل البيت ، وقد تقدم في صدر كتابنا هذا ، في القسم الاول ، من الباب الرابع منه ، ذكره مستوفى ، واختلاف القائلين فيه ، والله أعلم .

---

(1) مؤسس الدولة الفاطمية ، كان اسمه بعد إعلانه اول خليفة فاطمي عبد الله ، وقد لقب بالمهدي « والمهدي عند الاسماعيلية على عكس ما لدى العباسيين ، اسمه مثل اسم أبي النبي ﷺ » ومعروف أن اسم عبيد الله هو مصغر عبد الله ، ومن المعلوم أن في التصغير تحقير ، فالسلطات العباسية لم تكتف بالطعن في نسب المهدي بل سعت الى تحقيره بتصغير اسمه ومؤكد أن اسم المهدي في المصادر الاسماعيلية ، وفي الكتابات التاريخية المعاصرة له ثم على الصنوج والنقود هو عبد الله ، وقد رأيت في القيروان دينارين ذهبيين من دنانير المهدي ، ضربا فيهما الاول سنة ٣٠٢ هـ/والثاني سنة ٣٠٤ هـ/٩١٦ م ونقشهما :

الامام	عبد الله
لا إله إلا الله	محمد رسول الله
وحده لا شريك	
لــه	
المهدي بالله	امير المؤمنين

وكان قد قدم عليه رجل من ولد عقيل بن أبي طالب ، يقال له « منصور بن حسن »[1] ، وكان اثني عشري المذهب أيضا ، وفيه من العقل ، والفطنة ، والذكاء ، والدهاء ما لا مزيد عليه ، فلما قدم علي بن الفضل ، ورأى فيه [ما رأى] من النجابة، جمعهما ميمون القداح ، وباح لهما ما عنده من المذهب ، وأخبرهما أن ابنه امـام الزمان ، وأنه لا بد له من دعاة ، وذلك بعد أن أخذ عليهما العهود والمواثيق .

فأجاباه الى ما يريد ، ثم قال لهما : اعلما أن الايمان يمان ، والحكمة يمانية[2]، وكل أمر يكون مبدأه من اليمن ـ أو من قبل اليمن ـ فهو ثابت لثبوت نجمه ، وكان منصور قد عرف من ميمون اجابات كثيرة، وأجابه الى ذلك ، ووافقهما علي بن الفضل ، فعاهد بينهما ، وأوصى كل واحد منهما بصاحبه ، ثم قال المنصور : الله ، الله في صاحبك ، احفظه وأحسن اليه ، وامره بحسن السيرة ، فانه شاب ، ولا آمن عليه، وقال لعلي بن الفضل : الله ، الله في صاحبك ، وقره ، واعرف حقه ، ولا تخرج عن أمره ، فانه أعرف منك بي ، فان عصيته لم ترشد .

فسارا الى اليمن ، وكان دخولهما اليمن عقيب قتل محمد بن يعفر[3]،واختلاف آل يعفر ، فافترقا من[4] غلافقه ، فقدم منصور لاعة[5] عدن ، وبذلك أمره ميمون

---

(1) هو عند القاضي النعمان : ٣٢ : « أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي ، وسمي بالمنصور باليمن ، لما أتيح له من النصر ، وكان اذا قيل له ذلك ، قال لهم : المنصور امام من ائمة آل محمد ﷺ » .

(2) في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ـ ط. بيروت ١٩٦٧ : ٥٥/١٠ « بينما النبي ﷺ في المدينة اذ قال : الله اكبر اذا جاء نصر الله والفتح ، وجاء أهل اليمن ، قوم نقية قلوبهم ، حسنة طاعتهم ـ أو كلمة نحوها ـ الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » . هذا ويمكن ادراج هذا الحديث ضمن أحاديث فضائل البلدان ، وجلها موضوع .

(3) عند القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « فدخلا اليمن أول سنة ثمان وستين ومائتين » انظر غاية الاماني في أخبار القطر اليماني ـ ط. القاهرة ١٩٦٨ : ١٦٤/١ ـ ١٦٥ . الاعلام للزركلي .

(4) بلد على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، بينها وبين زبيد خمسة عشر ميلا ، كانت ترفأ اليها سفن البحر القاصدة لزبيـد ـ معجم البلـدان ـ وتعرف الآن بغليفقة .

(5) هي اليوم أطلال وخرائب ، تقع في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاثة أيام منها . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي ـ ط ثالثة ١٩٧٨ : ٦١ ـ ٦٢ .

القداح ، وقصد علي بن الفضل شرف يافع[1]،وأقام كل واحد منهما في ناحيته التي هو فيها ، يظهر الزهد ، والتقشف والورع ، والصلاح ، حتى صار كل واحد منهما مسموع القول في ناحيته لما ظهر من ظاهر أمره ، ثم أمر كل واحد منهما من حوله من أهل ناحيته بجمع زكواتهم ، فاجتمع من ذلك لكل واحد منهما مال عظيم ، فقال منصور بن حسن لمن حوله : أريد موضعا يكون بيت مال المسلمين ، فسارعوا الى قوله ، وبنوا له موضعا يسمى عثر محرم ، وهو حصن كان لقوم يقال لهم بنو العرجاء[2] ، تحت مسور[3] ، فلما حصنه ، نقل ما كان عنده من دراهم وطعام ، وجمع من رجال الحرب نحوا من خمسمائة رجل ، فعاهدهم على القيام بدعوة الامام المهدي ، الذي بشر به النبي ﷺ ، وانتقلوا اليه بأموالهم وأولادهم ، واستوطنوا الحصن .

وأنكر الناس ذلك،فقال لهم:انما تحصنت من السلطان،فلم يقبلوا قوله وقاتلوه ، فهزمهم هزيمة شديدة فعظم شأنه ، وشاع ذكره ، وعمل لنفسه طبولا ورايات ، وأظهر مذهبه ودعا الى المهدي وقال : ما أخذت هذا بحالي ولا برجالي ، وانما أنا داعي المهدي ، فانهمك اليه عامة الناس ، فدخلوا في مذهبه .

ثم سمت همته الى ارتكاب جبل مسور ، فأعد له الرجال والعدد ، ثم عامل عشرين رجلاً في المرتبين في حصن مسور[4] ، فجمع جموعه ، وطلع الجبل في وقت

---

(١) الشرف هو ما يشرف منه على غيره . انظر صفة الجزيرة : ١١٣ ــ ١١٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٦٣ .

(٢) كان عند الحمادي : ٣٦٣ « عبر محرم ، وهو جبل تحت مسور ، وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين المغرب وهمدان » غاية الاماني : ١/٢٢٠ « عين ولم أجد أي منهما في المصادر ، فذهبت الى انه تصحيف لعل صوابه ما أثبت . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ . معجم البلدان ــ مادة عثر ــ تاريخ المستبصر لابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤ ــ ٣٩٨ .

(٣) انظر صفة الجزيرة . ط. بيروت : ٢٤٩ ــ معجم البلدان . تاريخ اليمن لعمارة ابن علي ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

(٤) كان اسم حصن جبل مسور « فايز » وهو من امنع حصون اليمن ، كشف اسرار الباطنية ٣٦٣ . وقد ورد اسمه عند الهمداني في الاكليل ٨٢/٢ . صفة الجزيرة ٢٦٧ « فائس » بالسين المهملة،ولا فرق فمخرج السين والزاي فيه تقارب كبير .

معلوم ، ففتح له أولئك العشرون ، وقال : « ادخلوها بسلام آمنين » ، وكان طلوعه في ثلاثة آلاف رجل ، وكانت طبوله ثلاثين طبلا ، اذا ضربت سمعت من المواضع البعيدة ، وآمن مستحفظ الحصن ، ومن معه وكان معه مال عظيم للحواليين[1] ، فلم يعرض له ، وعمر بيت ريب[2] ، وجعله دار الامارة ، وحصنه وحصن سائر الجبل ودربه من كل ناحية ، وجعل له بابين ، ولم تزل عساكره تغير على القبائل التي حوله، حتى أبادهم،وأخذ أموالهم،وملك جميع تلك المخاليف،وسار الى بلد بني شاور،فافتتحها ثم خرج الى ناحية شبام[3] ، فحارب الحواليين ، فكسروه وقتلوا طائفة من عسكره، ثم عامل رجلا من مواليهم ، كان مستحفظا على حصن الضلع ، وسار نحو الحواليين فهزمهم ، وغنم جميع ما كان لهم بشبام ، فنقله الى مسور ثم خالف عليه ذلك المولى، الذي عامله على الحصن ، وندم على ما فعل واستدعى العساكر من صنعاء ، فكبسوه الى شبام ، فخرج منهزما الى مسور ، وترك كل ما كان له هنالك ، وكتب الى ميمون القداح ، وولده عبيد الله ، يخبرهما بالفتح الذي فتح الله عليه من البلاد ، وبعث هدايا من طرف اليمن ، وذلك في سنة تسعين ومائتين ، والله أعلم .

وأما علي بن الفضل ، فهو رجل من أهل اليمن ، خنفري النسب ، من ولد خنفر بن سبأ بن صيفي بن زرعة بن سبأ الاصغر ، وكان ساقطا في أول عمره ، مغمورا لا شهرة له[4] ، الا أنه كان أديباً ذكياً شجاعاً ، جريئا لسنا فصيحا ، ورحل من اليمن الى الكوفة كما ذكرنا ، وتعلم مذهب الاسماعيلية ، ورجع الى اليمن داعية ، هو ومنصور بن حسن ، فافترقا من غلافقة ، فطلع علي بن الفضل الى الجند[5]، ثم خرج

---

(١) اي آل يعفر انظر غاية الاماني ١/١٦٤ ــ ١٦٥ .

(٢) انظر وصفه في صفة الجزيرة ٣٢٥ ، معجم البلدان .

(٣) اي شبام حمير . انظر كشف أسرار الباطنية ٣٦٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٦٥ . حيث وصفه بقوله : منيع جدا وفيه قرى ومزارع وجامع كبير ، وهو عمل مستقل بنفسه . انظر ايضا تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٤ .

(٤) وصفه القاضي النعمان ــ رسالة افتتاح الدعوة ٣٨ ــ ٣٩ : « شاب جميل من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار » . هذا وهناك خلاف حول أصله ونسبه ، انظر الحمادي ٣٥٩ ، مع رسالة افتتاح الدعوة،وتاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٨ــ٦٥.

(٥) كانت احدى مدن اليمن الكبرى ، وفيها اسس الصحابي معاذ بن جبل أول مسجد اسلامي في اليمن . انظر صفة الجزيرة ١٤٤ . تاريخ ابن المجاور ١٦١ . تاريخ اليمن لعمارة ٥٠ .

منها الى أبين ، ثم خرج الى يافع ، فوجدهم رعاعا ، فجعل يتعبد في بطون الاودية ، ويأتونه بالطعام ، فلا يأكل منه شيئا ، وان أكل منه أكل شيئا يسيرا ، وكان قد أقام في رأس جبل متخلياً بزعمه للعبادة ، وكان يريهم أنه يصوم النهار ، ويقوم الليل فأحبوه وافتتنوا به ، وجعلوا أمرهم بيده ، وسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن معهم ، فقال : لا أفعل ذلك ، الا أن تأتمروا بالمعروف ، وتنتهوا عن المنكر ، وتتوبوا الى الله من سائر المعاصي ، وتقبلوا على طاعة الله ، فأجابوه الى ذلك ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق ، بالسمع والطاعة له ثم أمرهم بعمارة حصن في ناحية الشرف ، ففعلوا فأنهبهم أطراف البلاد ، وأراهم أن ذلك جهاد في سبيل الله للعاصين ، حتى يدخلوا في دين الله طوعا وكرها،وكان يومئذ فيلحج وأبين رجل يعرف بابن أبي العلاء، من الاصابح ، مالكا لهما ، فقصده ابن الفضل بمن سمعه من يافع وغيرهم ، فهزمه ابن أبي العلاء ، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، وانهزم علي بن الفضل الى صهيب[1]، واجتمع أصحابه المنهزمون جميعا ، فقال لهم : انني أرى رأيا صائبا ، فقالوا : وماهو؟ قال : اعلموا أن القوم قد أمنوا منا ، وأرى أن نهجم عليهم ، فانا نظفر بهم ، فوافقوه الى ما يريد ، فلم يشعر ابن أبي العلاء الا وهو معه بخنفر على حين غفلة ، وافتراق من أصحابه ، فقتل ابن أبي العلاء ، وطائفة كثيرة من أصحابه واستباح ما كان لهم ، ووجد في الخزانة التي لابن أبي العلاء ، سبعين بدرة ، والبدرة عشرة آلاف درهم ، الجملة سبعمائة ألف درهم ، وعاد الى بلد يافع ، فعظم شأنه ، وشاع ذكره[2] .

ثم قصد المذيخرة[3] في سنة احدى وتسعين ومائتين ، وبها جعفر بن محمد المناخي ، وهو الذي ينسب اليه مخلاف جعفر ، وكان قد كتب اليه : بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموالهم ، وانما قمت لاقامة الحق ، واماتة الباطل ، فادفع لأهل دلال[4] دية ما قطعت من أموالهم ، وكان جعفر قد قطع منهم على حجر في المذيخرة ثلاثمائة يد ، ولم يزل أثر الدم على تلك الحجر زمانا طويلا .

---

(١) انظر صفة الجزيرة ٧٩ .
(٢) انظر الحمادي ٣٦٤ — ٣٦٥ .
(٣) انظر صفة الجزيرة ١٠٢ — ١٠٣ . الحمادي ٢٩ . تاريخ اليمن لعمارة ٦٤ . تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٣ — ١٨٤ .
(٤) انظر صفة الجزيرة ١٣٣ . الحمادي ٣٦٥ .

ثم ان علي بن الفضل جمع جموعه ، وسار نحو المعافر[١] ، وهي ما بين ذبحان وجبأ[٢] ، وجمع المناخي جموعه ، وسار نحوه ، فالتقى هو وأصحابه نقيل البودان[٣]، وقاتلوه هنالك ، فانهزم علي بن الفضل وأصحابه : وعادوا الى بلد يافع ، وكانت الوقعة يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم قصدوا بجموعهم مرة أخرى المذيخرة يوم الاربعاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فأخذها وأخذ حصن التَعْكَر ، وانهزم جعفر بن ابراهيم المناخي الى تهامة ، فيقال انه بلغ لقريب من وادي زبيد ، فأمده صاحب زبيد بجيش كثيف .

فخرج جعفر بن ابراهيم يريد المذيخرة ، فلقيه علي بن الفضل في جموعه ، فكان بينهما وقعة مشهورة بوادي نخلة ، وفيها قتل جعفر بن إبراهيم بأكمة جوالة[٤] ، هو وابن عمه أبو الفتوح ، وكانت الوقعة يوم الجمعة آخر جمعة من رجب من السنة المذكورة ، ودخلت رؤوسهم المذيخرة ، يوم السبت أول يوم من شعبان ، فقويت شوكة القرامطة ، واستولى علي بن الفضل على بلاد المناخي ، وجعلها مستقر ملكه ، وكانت دولة جعفر بن ابراهيم المناخي من سنة تسع وأربعين الى سنة اثنتين وتسعين ، ثلاث وأربعون سنة[٥] .

ثم سار علي بن الفضل الى بلد يحصب[٦] فدخل منكث[٧] فأخربها فلما صار بذمار وجد جيشا عظيماً بهران[٨] من أصحاب الحوالي ، فكتب الى والي هران يستميله ، فأجابه ، ودخل في ملته ، ثم قصد صنعاء ، فهرب منه أسعد بن أبي يعفر ، فلما صار علي بن الفضل في صنعاء ، أظهر مذهبه الخبيث ، ودينه المشؤوم، وارتكبت

---

(١) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٠ .
(٢) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧ ــ ٢١٠ .
(٣) انظر صفة الجزيرة ١٠٢ ــ ١٠٤ ، ٤١٩ .
(٤) انظر صفة الجزيرة ١٣١ حيث أورد الهمداني أن جوالة من حصون المنطقة .
(٥) انظر الحمادي ٣٦٦ ــ ٣٦٧ .
(٦) انظر معجم البلدان ــ مادة يحصب .
(٧) انظر صفة الجزيرة ٧٩ . معجم البلدان .
(٨) من حصون ذمار : صفة الجزيرة ١٤٩ . معجم البلدان .

محظورات الشرع ، وادعى النبوة ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه : أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، وأباح لأصحابه شرب الخمر ، ونكاح البنات والأخوات ، وسائر المحرمات ، وأنشد :

خذي الدف يا هذي والعبي — وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم — وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعه — وهاتا شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة — وحط الصيام ولم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضي — وان صوموا فكلي واشربي[1]
ولا تمنعني نفسك المعرسين — من الأقربين أو الأجنبي
فلم ذا حللت لهذا الغريب — وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه — وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر الا كماء السما — حلال فقدست من مذهب[2]



وصلي الهي على أحمد — وأخزي الفويسق من يعرب
وحرم عليه جنان النعيم — فقد باح بالكفر لم يرقب[3]

ولما علم المنصور بن الحسن ، بدخول علي بن الفضل صنعاء ، سره ذلك ، وتجهز بالمسير اليه ، والتقيا ، أقاما أياما ، وابن الفضل يوجه منصورا ، ويقول : انما أنا سيف، من سيوفك ، وكان منصور بن حسن يهاب علي بن الفضل ، ويخافه لما يرى من شهامته وصرامته .

---

(١) زاد الحمادي بعد هذا البيت ، البيت التالي :

ولا تطلبي السعي عند الصفا — ولا زورة القبر في يثرب

(٢) انظر الحمادي ٣٦٩ . وما صنعه علي بن الفضل يمكن اعتباره اعلان للقيامة ، وهو أمر عرفنه العقيدة الاسماعيلية،انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة ٨٧-٨٨.

(٣) لا ندري ناظم هذين البيتين اهو الخزرجي أم أحد النساخ ؟

ثم عزم علي بن الفضل على نزول تهامة ، فنهاه صاحبه منصور ، وقال لـه : الصواب أن تتأنى وتقف بصنعاء ، وأنا بشبام سنة حتى نصلح جميع ما استفتحناه ، فلم يقبل منه ، فجمع ثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل ، وسار على الطريق اللجب[1]، فلما توسط مضائق البلاد ، ثاروا عليه ، ولزموا الطريق ، فلم يقدر على التخلص ، فلما علم منصور بن حسن ، جمع جموعه ، وسار نحوه ، فاستنقذه وعاد الى صنعاء ، ورتب بها ، وسار الي حراز[2] ، وملحان[3] ، ونزل المهجم[4]فقتل صاحبها ، ثم سار الى الكدراء ، فأخذها ، وسار الى زبيد ، فهرب صاحبها اسحق بن ابراهيم بن محمد ابن زياد ، فهجم على من فيها ، فقتلهم واستباحهم ، وسبى من زبيد أربعة آلاف عذراء ثم خرج منها ، فلما صار في موضع يسمى المشاحيط ، جمع جنده ، وقال : ان هؤلاء النسوان يشغلنكم عن الجهاد ، ونساء الحصيب فتنة، فاذبحوا مافي أيديكم منهن ، وتجردوا للجهاد ، فذبحوا أربعة آلاف عذراء في ساعة واحدة، فسمي الموضع المشاحيط[5] ، ثم رجع الى المذيخرة ، وقد جعلها دار مملكته ، وأمر بقطع الحج .

ثم ان أهل صنعاء استدعوا الامام الهادي[6] ، وكان مقيما بصعدة فسار اليهم ووجه ابنه أبا القاسم، المرتضى محمد بن الامام الهادي الى ذمار ومخاليفها ،فاستعمل العمال ، ثم تعاظم أمر القرامطة ، وقصدوا أبا القاسم المرتضى الى ذمار ، فخرج من ذمار الى أبيه ، وكان بصنعاء وذلك في سنة أربع وتسعين ومائتين .

ثم ان موالي بني يعفر : الحسن بن كيالة ، وابن جراح جمعوا جموعهم لحرب الامام الهادي ، فندب أهل صنعاء لحربهم ، فتخاذلوا عنه ، فخرج من صنعاء الـى صعدة ، فدخل أسعد بن يعفر صنعاء ، فملكها[7] .

---

(١) اللحب الطريق الواضح ــ القاموس .

(٢) مخلاف قرب زبيد ــ معجم البلدان .

(٣) انظر صفة الجزيرة ١٤٤ ــ ١٤٥ ــ معجم البلدان .

(٤) انظر صفة الجزيرة ٢٥٨ ــ ٢٠٩ ــ معجم البلدان .

(٥) انظر الحمادي ٣٧٠ــ٣٧١ حيث ذكر بأن المكان كان اسمه قبل المذبحة : الملاحيط ثم تحول بعدها الى المشاحيط .

(٦) لقد سبق لي ان نشرت سيرة الهادي الى الحق ــ بيروت ١٩٧٢ : ٢٢٥ .

(٧) انظر سيرة الهادي ٢٩٠ . غاية الاماني ١٩٨/١ .

ثم ان ذا الطوق[1] اليافعي ، أحد قواد علي بن الفضل ، قصد ابن الروية المذحجي الى ذمار ، فهرب منه الى رداع[2] ، وجمع عشيرته فقصده ذو الطوق الى رداع ، فقتله ثم سار ذو الطوق نحو صنعاء ، فلقيه أسعد بن أبي يعفر في جمع من أصحابه وغيرهم فقاتله ذو الطوق فهزمه ، وقتل من أصحابه نحوا من ثلاثمائة رجل، ومن سائر جمعه عدة ودخل ذو الطوق صنعاء فملكها .

واستدعى أهل صنعاء الامام الهادي أيضا ، فنهض نحوهم ، وبعث مقدمة من عسكره عليها علي بن أبي جعفر العلوي ، والدعام بن ابراهيم وسار بعدهم ولده المرتضى في جيش آخر ، فخرجت القرامطة من صنعاء ، ودخلها المرتضى محمد بن الامام الهادي ، فأقام فيها زمانا ، حتى جاءته القرامطة ، بما لا قبل له به ، فخرج من صنعاء ، وخرج معه جيش عظيم ، فلقيهم الهادي بورور[3] ، وقد انتشر ذكر القرامطة في البلاد ، فعادوا جميعا الى صعدة ، ولم يلبث الامام الهادي أن توفي ، وكانت وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين[4] .

ولما انتشرت القرامطة باليمن[5] ، وعظم أمرهم ، جمع آل يعفر مواليهم ، ومن قدروا عليه ، وقصدوا القرامطة الى صنعاء ، فقتلوا بعضهم وهرب الباقون ، ودخل أسعد بن أبي يعفر صنعاء ، وملكها .

ثم قصد علي بن الفضل صنعاء ، سنة تسع وتسعين ومائتين ، فدخلها يوم الخميس لثلاث مضين من رمضان المعظم ، من السنة المذكورة ، وخرج أسعد منها هاربا ، فرتب عليها ابن الفضل من يحفظها .

ولما رأى علي بن الفضل أنه قد استحكم له أمر اليمن ، خلع طاعة عبيد الله المهدي ، ثم كاتب صاحبه منصور بن حسن بذلك ، فعاد جوابه يعاتبه ، ويقول :

---

(١) مما يثير الانتباه أن أحد المقربين من صاحب الخال ، أمام قرامطة الشام عرف باسم المطوق .
(٢) انظر صفة الجزيرة ٨٠ ــ ٨١ .
(٣) انظر صفة الجزيرة ٢٤١ .
(٤) انظر سيرة الهادي ٣٩٤ ــ ٣٩٧ .
(٥) في نسخة الحرم : البلاد .

كيف تخلع من لم تنل خيرا الا به ، وببركة الدعاء اليه ، أما تذكر ما بينك وبينه من العهود والمواثيق ، وما أخذ علينا جميعا من الوصية بالاتفاق ، وعدم الافتراق ، فلم يلتفت اليه فكتب اليه علي بن الفضل كتاباً ، يقول فيه : ان لي بأبي سعيد الجنابي[1] أسوة ، وقد دعا الي نفسه ، وأنت ان لم تدخل في طاعتي نابذتك بالحرب .

فلما ورد كتابه على منصور بذلك غلب على ظنه صحته ، فطلع جبل مسور ، وحصنه من كل ناحية ، وقال : انما أحصن هذا الجبل من أجل هذا الطاغية وأمثاله، ولقد عرفت الشر في وجهه يوم اجتمعنا بصنعاء ، ثم ان علي بن الفضل سار لحرب منصور بن حسن ، وانتدب لقتاله عشرة آلاف رجل من المعروفين بالشجاعة والاقدام في عسكره ، وحصره ثمانية أشهر ، فلم يظفر منه بطائل ، وشق به الوقوف ، فراسله منصور بالصلح ، فقال لا أفعل الا أن يرسل لي بعض ولده ، يقف مني على الطاعة ، ويشيع عند العالم أني إنما تركته تفضلاً لا عجزاً،فأرسل منصور بعض أولاده،فطوقه علي بن الفضل طوقا من ذهب ، وسار به معه الى صنعاء ، فأقام بها أياما .

وكان أسعد بن أبي يعفر ، ومولاهم الحسن بن كيالة بذمار ، فلما توجه علي ابن الفضل نحو المذيخرة ، وثب أسعد بن أبي يعفر على الحسن بن كيالة ، فقتله ، فاصطلح هو وعلي بن الفضل ، فولاه صنعاء ، وخطب له ، ولبس البياض[2] ، وقطع ذكر بني العباس ، وتراجع أهل صنعاء ، وأمن الناس .

وكان أسعد بن أبي يعفر حذرا من غدره ، ولا يكاد يستقر بصنعاء خوفا من غارة تهجم عليه ، وكان عنوان كتابه ، اذا كتب : من باسط الارض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل ، الى عبده فلان ـ وكفى بهذا دليلا على كفره .

وفي مدة نيابة أسعد بن أبي يعفر ، لعلي بن الفضل ، قدم رجل غريب من أهل بغداد ، يذكر أنه شريف ، فصحبه أسعد بن أبي يعفر واختص عنده مدة ، وكان جرائحيا ماهرا في عمل الادوية ، بصيرا بفتح العروق ، ومداواة الجرحى ، فلما رأى شدة خوف أسعد من علي بن الفضل ، قال له : قد عزمت على أن أهب نفسي لله

---

(١) مؤسس دولة قرامطة البحرين تقدم ذكره. انظر تاريخ أخبار القرامطة ١٥ـ١٧ . كشف أسرار الباطنية ٣٥٩ . تاريخ العرب والاسلام ٣٠٦ .

(٢) شعار الشيعة من كل الطوائف والبياض ضد السواد شعار الدولة العباسية .

وللمسلمين ، وأريح الناس من هذا الرجل الطاغي ، فقال له أسعد : لئن فعلت ، ثم عدت الي لأفاسمنك فيما أنا فيه من الملك ، فأخذ عهدا وميثاقا ، وخرج من صنعاء يريد المذيخرة ، فلما قدمها خالط وجوه الدولة وكبراءها وسقاهم الادوية النافعة ، وفصد من احتاج الى الفصد ، وانتفع به أناس كثير ، فرفع ذكره الى علي بن الفضل، وأثني عليه في حضرته ، وقيل له : انه لا يصلح الا لمثلك .

فلما كان ذات يوم أحب الفصاد ، فطلبه ، فلما حضر بين يديه ، جرده من ثيابه، وغسل المبضع وهو ينظر ، وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسم قاتل ، فلما دنا منه ليفصده مص المبضع تنزيها لنفسه ، ثم مسحه بأطراف شعره ، كالمجفف له ، فعلق فيه ما علق من السم ، ثم فصد الاكحل وربطه ، وخرج من فوره هاربا من المذيخرة، متوجها الى أسعد بن يعفر ، فلما كان بعد ساعة ، أحس علي بن الفضل بالموت ، فطلب الحكيم الغريب ، فلم يجد له خبرا ، فأيقن بالموت ، فأمر أن يلحق حيث كان ، فخرج العسكر في طلبه في كل وجه ، فأدركه بعضهم في وادي السحول عند المسجد المعروف بقينان[1] فأرادوا لزمه ، فامتنع وقاتل عن نفسه ، حتى قتل في ذلك الموضع، وقبره في ذلك الموضع ، وتوفي علي بن الفضل عقيب ذلك ، وكانت وفاته ليلة الخميس النصف من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة ، وكانت مدة محنته ، وملكه سبع عشرة سنة[2] ـ فلا رحم الله مثواه ، ولا بل بشيء من الرحمة ثراه .

ولما علم أسعد بن يعفر بوفاته ، فرح فرحا شديدا ، وخرج يريد المذيخرة ، وكتب الى أهل الجند ، والمعافر ، فالتف العسكر اليه وكان لعلي بن الفضل ولد قد انضم اليه أهل مذهبه وتحصنوا بالمذيخرة فأحاطت بهم العساكر مع أسعد بن أبي يعفر ، فنصب لهم المنجنيقات ، ولم يزل مصابرا لهم مدة سنة كاملة ، حتى أخربها المنجنيق ، ودخلها قهرا بالسيف ، وقتل ولد علي بن الفضل ، وسبا بناته ، وكن ثلاثا، فرقهن في رؤساء العرب ، ووهب واحدة منهن لابن أخيه ، قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان ، وكان اسمها معاذة ، وانقطعت دولة

(١) انظر صفة الجزيرة ١٠١ ـ ١٠٤ . الاكليل ٢/٢٣٤ ـ ٢٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٨٨ .
(٢) انظر الحمادي ٣٧٥ ـ ٣٧٧ .

القرامطة من مخلاف جعفر ، ولم تزل المذيخرة خرابا الى يومنا[1] هذا ، فهذه أخبار علي بن الفضل بأسرها .

واستولى الامير أسعد بن أبي يعفر على البلاد في رجب سنة أربع وثلاثمائة ، وفي أيام أسعد بن أبي يعفر المذكور ، قدم اليمن الوزير علي بن عيسى بن الجراح من العراق ، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة ، وقدم له مالا كثيرا ، ورجع الوزير الى بغداد ، وهو من الشاكرين لأسعد بن أبي يعفر الحوالي المذكور ، فعمل في رفع الخراج عن اليمن فجزاه الله خيرا ، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[2] .

وولي البلاد بعده أبو يعفر سبعة أشهر ، ثم ولي البلاد عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، وهو الذي أمه معاذة بنت علي بن الفضل ، وكانت وفاته في الثامن عشر من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة[3] ، وكانت له وقعات مشهورة منها : أن أبا يعقوب المحابي،وازر الحسين بن سلامة على قتال بني الحوالي، فالتقوا للحرب في اليوم السادس عشر من شوال سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، نحوا من ألفي رجل ، وكانت الدائرة على أبي يعقوب المحابي ، وهو من جهة الحسين بن سلامة[4] ، والله أعلم .

وأما منصور بن حسن ، فكان رجلا عاقلا لبيبا كاملا ، وكان موادعا يحب المباقاة ، ولم يبرح في جهة لاعة الى أن توفي سنة اثنتين وثلاثمائة ولما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه الحسن بن منصور،والى رجل من أصحابه،يقال له عبد الله الشاوري، وكان خصيصاً به ، فأمرهما بالمحافظة على مذهبه ، وأن لا يقطعا أمراً دون عبيد الله المهدي ، وأمرهما بمكاتبة المهدي ، فاذا ورد أمره[5] بولاية أحدهما ، سمع الآخر

---

(١) في نسخة الجامع الكبير : عصرنا .
(٢) في غاية الاماني ٢١٩/١ ، كانت وفاته سنة ٣٣١ هـ .
(٣) في غاية الاماني ٢٢٧/١ ، كانت وفاته سنة ٣٨٧ هـ .
(٤) في هذا خلاف ، انظر تاريخ اليمن لعمارة ٦٨ ـ ٧٣ . تاريخ ثغر عدن ٥٩/٢ـ٦٣.
(٥) في نسخة الجامع الكبير : كتابه

وأطاع ، فكتب الشاوري الى المهدي برسالة وهدية ، وعرفه بموت منصور ، وكان منصور بن حسن ، قد أرسل الشاوري الى المهدي ، وقدم عليه ، وهو في المهدية ، فدفع اليه الكتاب ، فلما قرأه ، أقر الشاوري بالاستقلال ، وبعث اليه تسع رايات ، وعاد الحسن بن منصور خائبا .

فلما وصلت كتب المهدي بولاية الشاوري ، وعزل أولاد المنصور ووصل الحسن بن منصور خائبا ، عمل على قتل الشاوري ، فنهاه أخوته فلم ينته ، فكان أولاد المنصور يواصلون الشاوري ، وهو يكرمهم ويبجلهم ولا يحجب منهم أحدا ، ثم ان الحسن بن منصور دخل يوما على الشاوري في بعض الغفلات ، فلم يجد عنده أحدا فقتله واستولى على البلاد ، فلما استوثق له الامر جمع الرعايا من أقاصي البلاد ودانيها ، وأشهدهم على نفسه ، أنه قد خرج من مذهب القرامطة ، الى مذهب أهل السنة ، فأحبه الناس ، ودانوا له ، فدخل عليه أخ له ، يسمى جعفر فنهاه عما فعل ، وقبحه عليه ، فلم يلتفت اليه ، وقتل القرامطة الذين حوله وشردهم في كل وجه .

ثم انه خرج يوما من مسور الى عثر محرم ، وفيها رجل من قبله يقال له ابن أبي العرجاء ، واستخلف على مسور ابراهيم بن عبد الحميد السباعي ، وهو جد بني المنتاب ، فلما دخل عليه حسن بن منصور عثر محرم ، وثب عليه نائبه ابن أبي العرجاء ، فقتله واستولى على ما تحت يده وبلغ الخبر الى ابراهيم بن عبد الحميد ، فلزم مسورا ، وادعى الامر لنفسه ، وخرج أولاد منصور بن حسن وحريمهم الى جبل ذي عسب فوثب عليهم المسلمون وقتلوهم ، ولم يبقوا منهم وسبوا حريمهم ، ثم اتفق ابن أبي العرجاء ، وابراهيم بن عبد الحميد ، فاقتسما البلاد نصفين ، ورجع ابراهيم الى مذهب أهل السنة[1] ، وخطب للخليفة العباسي ، وكاتب الامير ابراهيم ابن زياد صاحب زبيد ، ودخل في طاعته ، وسأله أن يرسل اليه رجلا[2] من قبله ، فبعث ابن زياد برجل يعرف بالسراج ، وقال له ابن زياد : اذا أمكنتك الفرصة من ابراهيم فثب عليه ، فتلقاه ابراهيم وأنصفه وأكرمه ، فعامل عليه السراج من يقتله ، فبلغ العلم الى ابراهيم بن عبد الحميد فقبض على السراج ، وحلق رأسه ولحيته ، ونفاه[3] .

---

(١) انظر الحمادي ٣٨١ .
(٢) في نسخة الجامع الكبير : برجل .
(٣) انظر الحمادي ٣٧٩ — ٣٨٢ .

وقطع مواصلة ابن زياد ، وتتبع القرامطة بالقتل والسبي حتى أفناهم ولم يبق منهم الا طائفة قليلة بناحية مسور صائنين[1] أمرهم مقيمين ناموسهم برجل يقال له ابن الطفيل ، فقتله ابراهيم بن عبد الحميد ، فانتقلت الدعوة الى رجل يعرف بابن قحيم[2] ، وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه ابراهيم بن عبد الحميد ، فخاف ابن قحيم على نفسه ، فكان لا يستقر في موضع واحد خوفا من المنتاب ، وكان يكاتب المعز الى مصر بعد خروجه من القيروان ، فلما حضرته الوفاة ، استخلف رجلا من شبام ، يقال له الاسد ، فأقام دعوته حياته ، فلما حضرته الوفاة استخلف عند مونه سليمان بن عبد الله الزواخي[3] ، وهو رجل من حمير ـ والزواخي قرية من أعمال حراز ، ينسب اليها المذكور ، والزواخي أيضا قرية من أعمال حدد ، والزواخي أيضا قرية من أعمال حيس بتهامة .

فكان سليمان داعيا في أيام الحاكم والظاهر ، وأول أيام المستنصر ، وكان كثير المال والجاه ، فاستمال الرعاع والطغام الى مذهبه ، وكلما هم به المسلمون دافعهم بالجميل ، ويقول أنا رجل مسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، فيمسكون عنه ، وكان فيه كرم نفس ، وأفضال على الناس ، فلما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي[4] ، الذي سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ...



---

(١) في نسخة الجامع الكبير : كاتمين .

(٢) عند الحمادي ٣٨٢ ابن رحيم .

(٣) ضبطها ياقوت في معجم البلدان بالخاء المعجمة وكذلك فعل البكري في معجم ما استعجم ، بينما ضبطها الاكوع في صفة الجزيرة ١٠٣ ـ ١٠٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٥ « بالحاء المهملة » .

(٤) انظر الحمادي ٣٨٢ ـ ٣٨٥ .

المصادر والمراجع

الاباضي (أبو عمار عبد الكافي)

الموجز • الجزائر ١٩٧٨

ابن الأثير (علي)

الكامل في التاريخ • القاهرة ١٣٤٨ هـ

الاربلي (عبد الرحمن بن سنبط)

خلاصة الذهب المسبوك • بغداد (مكتبة المثنى)

الاربلي (علي بن عيسى)

كشف الغمة في معرفة الأئمة • بيروت ١٩٨١

أرنولد (توماس)

الخلافة ــ دمشق (دار اليقظة)

الدعوة الى الاسلام • القاهرة ١٩٥٧

تراث الاسلام • بيروت (دار الطليعة)

الأزدي (أبو زكريا)

تاريخ الموصل • القاهرة ١٩٦٧

الأزرقي (أبو الوليد محمد)

أخبار مكة • بيروت (مكتبة خياط)

ابن اسحق (محمد)

السير والمغازي • بيروت ١٩٧٨

الأسدي (الكميت بن زيد)
شرح القصائد الهاشميات ، بيروت ١٩٧٢

اسماعيـــل (محمود)
الحركات السرية في الاسلام ، فاس ١٩٧٧

الأشعري (علـــي)
مقالات الاسلاميين ، القاهرة ١٩٥٠

الاصطخري (أبو اسحق ابراهيم)
المسالك والممالك ، ليدن ١٩٢٧

الأصفهاني (حمـــزة)
تاريخ سني ملوك الأرض ، بيروت ١٩٦١

الأصفهاني (أبو الفرج)
الأغاني ، القاهرة (دار الكتب)
مقاتل الطالبيين ، القاهرة ١٩٤٩

الأصفهاني (محمد بن محمد ــ العماد الكاتب)
خريدة القصر وجريدة العصر ، دمشق ١٩٥٥

الأصفهاني (أبو نعيم أحمـــد)
دلائل النبوة ، حيدر أباد ١٩٥٠
حلية الأولياء ، القاهرة ١٩٣٢ ــ ١٩٣٨

ابن الأعثم الكوفي (أحمد)
كتاب الفتوح ، بيروت ١٩٨٨

الأفغاني (سعيد)
أسواق العرب ، دمشق ١٩٣٧
عائشة والسياسة ، بيروت ١٩٧١

اليـاد (ميرسيا)
تاريخ المعتقدات والافكار الدينية • دمشق ١٩٨٧
رمزية الطقس والاسطورة • دمشق ١٩٨٧

أمـير (علـي)
مختصر تاريخ العرب • القاهرة ١٩٣٨

الآملي (حيدر بن علي)
الكشكول فيما جري على آل الرسول • قم ـ منشورات الرضي

أمـين (أحمـد)
ظهر الاسلام ـ فجر الاسلام ـ ضحى الاسلام • بيروت (بدون تاريخ)

أمـين (أحمد وزكي نجيب محمود)
قصة الفلسفة اليونانية • القاهرة

أمـين (حسـين)
تاريخ العراق في العصر السلجوقي • بغداد ١٩٦٥

الأمـين (محسن)
أعيـان الشيعـة • بيروت ١٩٨٣

ابن أنس (الامام مالك)
الموطـأ • بيروت ١٩٧١

الأنطاكـي (يحيى بن سعيد)
تاريخ يحيى بن سعيد • بيروت ١٩٠٩

ابن أيبك الدواداري (عبد الله)
الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية • القاهرة ١٩٦١

ايماني (مهدي الفقيـه)
الامام المهدي عند أهل السنة • أصبهان ١٤٠٢ هـ

البارونى (سليمان الطرابلسي)
مختصر تاريخ الاباضية • تونس ١٩٣٨

الباشا (حسن)
الألقاب الاسلامية • القاهرة ١٩٥٧

الباقلاني (أبو بكر بن الطيب)
الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به • بيروت ١٩٨٠

بحر العلوم (محمد المهدي)
رجال السيد بحر العلم • طهران ١٣٦٣ هـ

البحراني (هاشم)
المحجة فيما نزل في القائم الحجة • بيروت ١٩٨٣

البخاري (محمد بن اسماعيل)
صحيح البخاري • بيروت (دار الفكر)
التاريخ الكبير • حيدر أباد الدكن

بــدج (ولس)
الديانة الفرعونية • دمشق ١٩٨٧

بدوي (عبــد الرحمن)
مذاهب الاسلاميين • بيروت
خريف الفكر اليوناني • القاهرة
ربيع الفكر اليوناني • القاهرة
أفلوطين عنــد العرب • بيروت
دور العرب في تكوين الفكر الاوربي • الكويت
التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية • القاهرة ١٩٤٦

برستد (جيمس هنري)
انتصار الحضارة • القاهرة

بروكلمان (كارل)
تاريخ الأدب العربي • القاهرة
تاريخ الشعوب الاسلامية • بيروت ١٩٤٨

بشور (وديـــع)
الميثولوجيـــا السورية • دمشق ١٩٨١

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)
الرحلة ــ تحفة الانظار في غرائب الاسفار • القاهرة ١٩٥٨

البغدادي (الخطيب ــ أحمد)
تاريخ بغداد • بيروت (دار الكتاب العربي)

البغدادي (اسماعيـــل)
هديـــة العارفين • بيروت (دار الفكر)

البغدادي (أبو منصور عبد القاهر)
الفرق بين الفرق • القاهرة ١٩٤٨

البلخي (أبو القاسم)
فضل الاعتزال • تونس ١٩٧٤

ابن بكار (الزبير)
جمهرة نسب قريش • القاهرة (دار العروبة)
الاخبار الموفقيات • بغداد ١٩٧٢

البكري (أبو عبيـــد)
جغرافية الاندلس وأوربة • بيروت ١٩٦٨
كتاب المغرب • الجزائر ١٩١١
معجم ما استعجم • القاهرة ١٩٦٥

البلاذري (أحمـــد بن يحيى)
فتوح البلدان • القاهرة ١٩٣٢
أنساب الاشراف (نسختان خطيتان لدي)
القدس ١٩٣٨ ـــ ١٩٧٠ ـــ القاهرة ١٩٥٩ ـــ بيروت ١٩٧٣
البلخي (أبو زيد أحمد)
البدء والتاريخ • باريس ١٩١٦
البلوى (أبو محمد عبد الله)
سيرة أحمد بن طولون • دمشق ١٣٥٨ هـ
بوكاي (موريس)
دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة • القاهرة
البيذق (أبو بكر الصنهاجي)
أخبار المهدي بن تومرت وكتاب الانساب • الرباط (المطبعة الملكية)
البيروني (أبو الريحان محمد)
الآثار الباقية من القرون الخالية • لايبزغ ١٩٢٣
الجماهر في معرفة الجواهر • دمشق عالم الكتب
تحقيق ما للهند من مقولة • بغداد (مكتبة المثنى)
بيضون (ابراهيم)
سليمان بن صرد الخزاعي • بيروت ١٩٧٤
البيهقي (ظهير الدين)
تاريخ الحكماء • دمشق ـــ مجمع اللغة العربية
تامر (عارف)
ثلاث رسائل اسماعيلية • بيروت ١٩٨٣
أربع رسائل اسماعيلية • بيروت ١٩٧٨

التجاني (عبـد الله)

رحلـة التجاني • تونس ١٩٥٨

ابن تغري بردي (أبو المحاسن)

النجوم الزاهرة • القاهرة ١٩٤٢

التوحيدي (أبو حيان)

روايـة السقيفة في المقابسات • القاهرة ١٩٢٩

الثعالبي (عبـد الملك)

لطائف المعارف • بيروت ١٩٨٠

كتاب الوزراء • بغداد ١٩٧٢

يتيمـة الدهر • القاهرة ١٩٥٦

الجاحظ (أبو عثمان عمرو)

البيان والتبيين • القاهرة ١٣١١

التاج في أخلاق الملوك • القاهرة ١٣٥٧

الحيوان • القاهرة ١٣٥٧

العثمانيـة • القاهرة ١٩٥٥

مجموعة من رسائل الجاحظ • القاهرة ١٣٦٥

رسائل الجاحظ • القاهرة ١٩٧٩

الرد على النصارى • القاهرة ١٩٨٤

الجارم (محمد)

أديان العرب في الجاهلية • القاهرة ١٩٢٣

جب (هاملتون)

دراسات في حضارة الاسلام • بيروت ١٩٦٤

ابن جبير (محمد بن أحمد)

الرحلـة • بيروت ١٩٥٩

الجرهمي (عبيد بن شريـــه)
أخبـــار عبيـــد • حيدر أباد ١٣٤٧

الجعفي (المفضل بن عمر)
الهفت الشريف • بيروت ١٩٦٤

الجندي (علي ورفاقــه)
سجع الحمام في حكم الامام • القاهرة ١٩٦٧

الجهشياري (ابن عبدوس)
الوزراء والكتاب • القاهرة ١٩٣٨
نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب • بيروت

الجواليقي (أبو منصور موهوب)
المعرب • القاهرة ١٣٦١

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن)
عمر بن الخطاب • القاهرة
مناقب عمر بن عبد العزيز • لايبزغ ١٨٨٩
المنتظم • حيدر أباد ١٣٥٩

جوزي (بندلـــي)
من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام • بيروت (دار الروائع)

الجوزية (ابن القيم)
اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية • القاهرة مطبعة الامام

حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون • بيروت (دار الفكر)

الحامدي (ابراهيم بن الحسين)
كنز الولـــد • بيروت ١٩٧١

الحائري (علي اليزدي)
الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب • بيروت ١٩٧١

ابن حبيب (محمـــد)
كتاب المحبر • حيدر أباد ١٩٤٢
المنمق في أخبار قريش • بيروت ١٩٨٥
المؤتلف والمختلف • الرياض ١٩٨٠

حتى (فيليب)
تاريخ العرب • بيروت
تاريخ سورية ولبنان • بيروت

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)
الاصابة في تمييز الصحابـــة • القاهرة ١٩٣٩

ابن حجر الهيتمي (أحمـــد)
الصواعق المحرقة في الرد على أصل البدع والزندقة • القاهرة ١٩٦٥

ابن أبي الحديد
شرح نهج البلاغـــة • بيروت ١٩٦٧

الحراني (أبو محمد الحسن بن علي)
تحف العقول عن آل الرسول • بيروت ١٩٦٩

ابن حزم الاندلسي (محمد بن علي)
جمهرة أنساب العرب • القاهرة ١٩٦٢
المحلـــى • القاهرة
الفصل في الملل والنحل • القاهرة ١٣١٧
نقط العروس ــ مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الاول) ١٩٥١

حسن (ابراهيم حسن)
تاريخ الاسلام السياسي • القاهرة ١٩٥٩
النظم الاسلامية • القاهرة ١٩٦٢
المعز لدين الله • القاهرة ١٩٦٤

حسن (سعد محمد)
المهدية في الاسلام • القاهرة ١٩٥٣

حسن (علي ابراهيم)
تاريخ جوهر الصقلبي • القاهرة

الحسني (عبد الرزاق)
الصابئون • بغداد ١٩٨٣
اليزيديون • صيدا ١٩٦٨

حسين (طـه)باشرافـه
تعريف القدماء بأبي العلاء • القاهرة ١٩٦٥

الحسيني (أبو الحسن علي)
زبدة التواريخ • لاهور ١٩٣٣

الحسني (هاشم معروف)
سيرة الائمة الاثني عشر • بيروت ١٩٨١

الحلي (الحسن بن يوسف)
الالفين في امامة أمير المؤمنين • النجف ١٩٥٣

الحمادي (محمد بن مالك)
كشف أسرار الباطنية • القاهرة ١٩٣٩

الحميري (عبد المنعم السبتي)
الروض المعطار • بيروت ١٩٧٢

الحموي (محمد)
التاريخ المنصوري • موسكو ١٩٦٠

الحموي (ياقوت الرومي)
معجم البلدان • بيروت ١٩٦٨
معجم الأدباء • القاهرة ١٩٢٧

حميد الله (محمد)
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي • بيروت

ابن حنبل (الامام أحمد)
الرد على الزنادقة والجهمية • حماه ١٩٦٧

الحوت (محمد سليم)
الميثولوجيا عند العرب • بيروت ١٩٨٣

ابن حوقل (أبو القاسم محمد)
صورة الارض • بيروت (دار الحياة)

حيدر (أسعد)
الامام الصادق والمذاهب الاربعة • بيروت ١٩٨٣

خالد (غسان)
أفلوطين رائد الوحدانية • بيروت ١٩٨٣

خان (محمد عبد المعيد)
الاساطير والخرافات عند العرب • بيروت ١٩٨١

الخربوطلي (علي حسني)
المختار الثقفي • القاهرة ١٩٦٢

خرطبيل (سامي)
اسطورة الحلاج • بيروت ١٩٧٩

الخزرجي (علي بن الحسن)
العسجد المسبوك (مصورة عن مخطوطة الجامع الكبير في صنعاء مع قطعة من نسخة الحرم المكي) .

ابن خزيمة (محمد بن اسحق)
كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل . القاهرة ١٤٠٠

خسرو (ناصر)
سفر نامه . بيروت ١٩٧٢
جامع الحكمتين . القاهرة ١٩٧٧

الخشاب (يحيى)
كتاب تنسر . القاهرة ١٩٥٤

الخضري (محمد)
محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية . القاهرة ١٩٦٦

ابن خلدون (عبد الرحمن)
العبر وديوان المبتدأ والخبر . بيروت ١٩٥٨

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس)
وفيات الاعيان . القاهرة ١٩٥٠

الخليفة (عبد الله بن خالد)
البحرين عبر التاريخ . بيروت ١٩٦٩

خليل (خليل)
مضمون الاسطورة في الفكر العربي . بيروت ١٩٧٣

خليل (عماد الدين)
معالم الانقلاب الاسلامي في حياة عمر بن عبد العزيز . بيروت الدار العلمية

الخوارزمي (أبو عبد الله محمد)

مفاتيح العلوم • القاهرة

ابن خياط (خليفة)

تاريخ خليفة بن خياط • دمشق ١٩٦٨

طبقات خليفة بن خياط • دمشق ١٩٦٧

الدارمي (عثمان بن سعيد)

الرد على الجهمية • ليدن ١٩٦٠

داود (جرجس داود)

أديان العرب قبل الاسلام • بيروت ١٩٨١

أبو داود (سليمان)

السنن • بيروت (دار الفكر)

داود (عبد الأحد)

محمد في الكتاب المقدس • قطر ١٩٨٥

الدباغ (عبد الرحمن بن محمد وابن ناجي)

معالم الايمان في معرفة أهل القيروان • تونس ١٣٢٥

دراوور (الليدي)

الصابئة المندائيون • بغداد ١٩٦٩

أساطير وحكايات شعبية صابئية • بغداد

ابن أبي الدم (ابراهيم)

تاريخ ابن أبي الدم ـ نسخة مصورة عن مخطوطة البودليان

الدوري (عبد العزيز)
العصر العباسي الاول • بغداد
دراسات في العصور العباسية المتأخرة • بغداد
مقدمة في تاريخ صدر الاسلام • بيروت
الجذور التاريخية للشعوبية • بيروت ١٩٦٢
مقدمـــة في التاريخ الاقتصادي العربي • بيروت ١٩٦٨

دي غويـــه (مايكل)
القرامطـــة • بيروت ١٩٧٨

الديلمي (محمد بن الحسن)
بيان مذهب الباطنية وبطلانه • استانبول ١٩٣٨

ديليتس (فردريك)
بابل والكتاب المقدس • دمشق ١٩٨٧

الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود)
الأخبار الطوال • القاهرة ١٩٦٠

الرازي (أحمـــد)
تاريخ مدينة صنعاء • دمشق ١٩٧٤

الرازي (أحمد بن حمدان)
كتاب الزينة • القاهرة ١٩٥٧

الرازي (محمد بن أبي بكر)
الأمثال والحكم • دمشق ١٩٨٧

رايلي (كافـــين)
الغرب والعالم • الكويت سلسلة عالم المعرفة (٩٠ ، ٩٧) ١٩٨٤

ابن رسته (أحمد بن عمر)
الأعلاق النفيسة . ليدن ١٨٩١

رضا (محمد رشيد)
السنة والشيعة . القاهرة

الرضي (الشريف محمد بن الحسين)
المجازات النبوية . دمشق ١٩٨٧

الرقيق القيرواني (ابراهيم)
تاريخ افريقية والمغرب . تونس ١٩٦٨

درولف (فلهلم)
صلة القرآن باليهودية والمسيحية . بيروت ١٩٧٤

ابن الزبير (القاضي الرشيد)
الذخائر والتحف . الكويت ١٩٥٩

ابن أبي زرع (أو ابن عبد الحليم)
الأنيس المطرب بروض القرطاس . الرباط ـ المطبعة الملكية

الزركلي (خير الدين)
الأعلام . بيروت ١٩٦٩

زكار (سهيل)
تاريخ العرب والاسلام . بيروت ١٩٧٤
مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية . دمشق ١٩٧٢
تاريخ أخبار القرامطة . بيروت ١٩٧١
التأريخ عند العرب . دمشق ١٩٧٤
ماني والمانوية . دمشق ١٩٨٥
يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للاسلام في العصور الوسطى .
بيروت ١٩٨٨
يهود الخزر . بيروت ١٩٨٧

الزهيري (عبد الفتاح)
تاريخ الصابئة المندائيين • بغداد ١٩٨٣

زيــد (علي محمــد)
معتزلة اليمن (دولة الهادي وفكره) • بيروت ١٩٨١

ابن أبي زينب (محمد بن ابراهيم)
كتاب الغيبة • بيروت ١٩٨٣

سارتون (جورج)
تاريــخ العلم • القاهرة

سبانو (أحمــد غسان)
هرمس الحكيم • دمشق ١٩٨٢

السبيتي (عبــد الله)
عمار بن ياسر • بيروت ١٩٨٤
سلمان الفارسي • بيروت ١٩٨٤

السجستاني (أبو يعقوب)
الافتخار • بيروت ١٩٨٠
كتاب اثبات النبوءات • بيروت ١٩٨٢

ابن سيرين (حامــد)
مصادر العقيدة الدرزية • لبنان ــ ديار عقل ١٩٨٥

السيوطي (جلال الدين)
تاريخ الخلفاء • القاهرة ١٩٦٤
حسن المحاضرة • القاهرة ١٨٨١

ابن شاذان (الفضل)
الايضاح • بيروت ١٩٨٢

ابن أبي شبة (عمر)
تاريخ المدبنة • المدينة ١٢٩٣ هـ

شلبي (أحمـد)
مقارنة الأديان • القاهرة ١٩٦٤

شرف (محمد جـلال)
نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام • بيروت ١٩٨٢

الشيبي (مصطفى)
الصلة بين التصوف والتشيع • القاهرة (دار المعارف)

شمس الدين (محمد مهدي)
أنصار الحسين • بيروت ١٩٧٥

الشهرستاني (محمـد)
الملل والنحل • القاهرة ١٩٤٨

الصابيء (هلال بن المحسن)
تحفة الأمراء • القاهرة ١٩٥٨

صالح (أحمد عباس)
اليمين واليسار في الاسلام • بيروت ١٩٧٠

صبحي (أحمـد محمود)
في علم الكلام (المعتزلة والاشاعرة) • الاسكندرية ١٩٨٢
نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية • القاهرة (دار المعارف)

الصولي (أبو بكر محمد)
الأوراق • القاهرة ١٩٣٥

الصيرفي (علي بن منجب)
الاشارة الى من نال الوزارة • القاهرة ١٩٢٣

ابن طاووس (أحمد بن موسى)
بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية • عمان ١٩٨٥

ابن طاووس (علي بن موسى)
الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر • بيروت ١٩٧٨

ابن طباطبا (ابن الطقطقي محمد بن علي)
الفخري في الآداب السلطانية • بيروت ١٩٦٦

الطباطبائي (محمد حسين)
الشيعة في الاسلام • بيروت (دار المعارف)

الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي)
الاحتجاج • بيروت ١٩٨٣

الطبري (محب الدين أحمد بن عبد الله)
ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى • بيروت ١٩٨١

الطبري (علي بن ربن)
الدين والدولـــة • بيروت ١٩٧٩

الطبري (أبو الفضل علي)
مشكاة الأنوار في غرر الأخبار • النجف ١٩٦٥

الطبري (محمد بن جرير)
تاريخ الرسل والملوك • القاهرة (دار المعارف)
تفسير الطبري • بيروت (دار الفكر)

الطبري (محمد بن جرير بن رستم)
دلائل الامامـــة • النجف ١٩٦٣

الطهراني (اغابزرك)
طبقات أعلام الشيعة • بيروت ١٩٧٥
الذريعة الى تصانيف الشيعة • بيروت ١٩٨٣

الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن)
الفهرست • بيروت ١٩٨٣
رجال الطوسي • النجف ١٩٦١
أمالي الطوسي • بيروت ١٩٨١

الطوفي (نجم الدين البغدادي)
الانتصارات الاسلامية • القاهرة ١٩٨٣

ابن طولون (محمد)
الأئمة الاثنى عشر • بيروت ١٩٥٨

ابن عباد (الصاحب اسماعيل)
نصرة مذاهب الزيدية • بغداد ١٩٧٧

عباس (احسان)
عهد أردشير • بيروت (دار صادر)

العباسي العلوي (علي بن محمد)
سيرة الهادي الى الحق • بيروت ١٩٧٢

ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن)
مراصد الاطلاع • القاهرة ١٩٥٥

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن)
فتوح مصر وأخبارها • ليدن ١٩٢٠

عبد الحميد (سعد زغلول)
تاريخ المغرب العربي • القاهرة ١٩٥٦

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد)
العقد الفريد • القاهرة ١٩٥٣

عبد الوهاب (حسن حسني)
خلاصة تاريخ تونس ١٣٧٣

ابن العبري (أبو الفرج غريغوريوس)
تاريخ مختصر الدول • بيروت ١٩٥٨

ابن العديم (كمال الدين عمر)
بغية الطلب في تاريخ حلب • دمشق قيد الطباعة محققا من قبلي
زبدة الحلب من تاريخ حلب • دمشق ١٩٥٨

ابن عذارى (أبو العباس أحمد)
البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب • بيروت ـ الرباط

ابن العربي (أبو بكر)
العواصم من القواصم • الجزائر ١٩٧٢

العروضي (النظامي)
جهار مقاله • القاهرة ١٩٤٩

العزيز (حسين قاسم)
البابكية • بيروت ١٩٦٦

العزيزي (أبو علي منصور)
سيرة الاستاذ جؤذر • القاهرة ١٩٥٤

ابن عساكر (علي بن الحسن)
تاريخ دمشق (المجلدة الأولى) • دمشق ١٩٥١
تبيين كذب المفتري • دمشق ١٣٩٩

العسكري (جعفر بن محمد)
المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والامامية • بيروت ١٩٧٧

العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله)
الأوائل • دمشق ١٩٧٥

عطوان (حسين)

الفرق الاسلامية في بلاد الشام في العصر الاموي • بيروت ١٩٨٦

الجغرافية التاريخية لبلاد الشام • بيروت ١٩٨٧

العظيمي (محمد بن علي)

تاريخ العظيمي (نشر بعنوان تاريخ حلب) • دمشق ١٩٨٥

العلوي (يحيى بن حمزة)

الافحام لأفئدة الباطنية الطغام • الاسكندرية (منشأة المعارف)

علي (جواد)

المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام • بغداد ١٩٥٠

العلي (صالح)

التنظيمات الاجتماعية في البصرة • بيروت (دار الطليعة)

تنظيمات الرسول الادارية • بغداد ١٩٦٩

ابن علي (القاسم بن محمد)

كتاب الأساس لعقائد الأكياس • بيروت ١٩٨٠

عليان (محمد عبد الفتاح)

قرامطة العراق • القاهرة ١٩٧٠

ابن العماد (عبد الحي)

شذرات الذهب • القاهرة ١٩٣٢

عمر (فاروق)

طبيعة الدعوة العباسية • بيروت ١٩٧٠

العباسيون الاوائل • بيروت ـ دمشق

ابن العميد (جرجس)

تاريخ المسلمين • ليدن ١٦٢٥

عنان (عبد الله)
الحاكم بأمر الله • القاهرة ١٩٥٩

عياض (أبو الفضل بن موسى)
المدارك • بيروت ــ الرباط

العيني (البدر محمد)
عقد الجمان ــ مخطوطة بيازيد رقم ٢٣١٧

غالب (مصطفى)
تاريخ الدعوة الاسماعيلية • دمشق (دار اليقظة)
أربع كتب حقانية • بيروت ١٩٨٣
الامامة وقائم القيامة • بيروت ١٩٨١
سنان راشد الدين • بيروت ١٩٦٧

الغزالي (أبو حامد)
فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة • القاهرة ١٩٦١
فضائح الباطنية • القاهرة ١٩٦٤
قواصم الباطنية • استانبول ١٩٥٤
التبر المسبوك • القاهرة ١٩٦٨
احياء علوم الدين • بيروت (دار الفكر)
مشكاة الأنوار • القاهرة
تهافت الفلاسفة • القاهرة

ابن فاتك (المبشر)
مختار الحكم ومحاسن الكلم • بيروت ١٩٨٠

الفارقي (ابن الأزرق)
تاريخ الفارقي • القاهرة ١٩٥٩

فازلييف
العرب والروم • القاهرة ــ الألف كتاب

أبو الفــداء (اسماعيل بن محمد)
تقويم البلدان • باريس ١٧٤٠
المختصر في أخبار البشر • استانبول ١٨٦٩

الفردوسي (أبو القاسم)
الشاهنامــه • القاهرة ١٩٣٢

فلهوزن (يوليوس)
الدولة العربية • القاهرة ١٩٥٨
الخوارج والشيعة • القاهرة ١٩٥٣

فلوتن (فــان)
السيادة العربية والشيعة • القاهرة ١٩٦٥ ــ بيروت ١٩٧٩

القاسمي (ظافر)
نظام الحكم في الشريعة والتاريخ • بيروت ١٩٧٤

القاضي (وداد)
الكيسانية في التاريخ والأدب • بيروت ١٩٧٤

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله)
المعارف • القاهرة ١٣٠٠
عيون الأخبار • القاهرة ١٩٦٣
الامامة والسياسة (ينسب له) • القاهرة ١٩٦٣

القرشي (الداعي ادريس)
عيون الأخبار وفنون الآثار • بيروت ١٩٧٣

القرشي (يحيى بن آدم)
كتاب الخراج • القاهرة ١٣٤٧ هـ

القرمطي (الداعي عبدان)
كتاب شجرة اليقين • بيروت ١٩٨٢
القزويني (زكريا بن محمد)
آثار البلاد وأخبار العباد • بيروت ١٩٦٠
القزويني (أبو جعفر عمر)
مختصر شعب الايمان • القاهرة ـ مطبعة الامام
ابن القلانسي (حمزة)
تاريخ دمشق • دمشق ١٩٨٥
القلقشندي (أحمد بن علي)
صبح الأعشى • القاهرة ١٣٣٨
مآثر الانافة • الكويت ١٩٦٤
القمي (سعد)
المقالات والفرق • طهران ١٩٦٣
القمي (محمد بن علي بن بابويه)
الخصال • قم ١٤٠٣
من لا يحضره الفقيه • قم ١٤٠٤ هـ
عيون أخبار الرضا • بيروت ١٩٨٤
كمال الدين وتمام النعمة • قم ١٤٠٥
معاني الاخبار • قم ١٣٤١
القيرواني (أبو العرب محمد)
طبقات علماء افريقية وتونس • تونس ١٩٦٨
المحن • بيروت (دار الغرب)
آل كاشف الغطاء (محمد الحسين)
أصل الشيعة وأصولها • بيروت

كاهن (كلود)
تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ، بيروت ١٩٧٢

ابن كثير (اسماعيل)
البداية والنهاية ، القاهرة ١٩٣٢

الكرماني (أحمد حميد الدين)
راحة العقل ، بيروت ١٩٦٧
مجموعة رسائل الكرماني ، بيروت ١٩٨٣
الاقوال الذهبية ، بيروت ١٩٧٧
المصابيح في اثبات الامامة ، بيروت ١٩٦٩

الكشي (محمد بن عمرو)
رجال الكشي ، كربلاء

الكليني (محمد بن يعقوب)
الأصول من الكافي ، بيروت ١٤٠١ هـ

لويس (برنارد)
أصول الاسماعيلية ، بغداد ١٩٤٧
الدعوة الاسماعيلية الجديدة ، بيروت ١٩٧٢

ماجد (عبد المنعم)
الحاكم بأمر الله ، القاهرة ١٩٥٩
السجلات المستنصرية ، القاهرة ١٩٥٤

ابن ماكولا (أبو نصر علي)
الاكمال ، حيدر أباد ١٩٦٢

المالكي (أبو بكر عبد الله)
رياض النفوس ، القاهرة ١٩٥١

الماوردي (أبو الحسن علي)
الأحكام السلطانية • القاهرة ١٩٦٠

المبرد (أبو العباس)
الكامل في الأدب • القاهرة ١٩٢٧

المتنبي (أبو الطيب أحمد)
الديوان • القاهرة ١٩٤٤

المجلسي (محمد باقــر)
بحــار الأنوار • بيروت ١٩٨٣
مرآة العقول • طهران ١٤٠٣ هـ

مجهول (دي غويــه)
العيون والحدائق • ليدن ١٨٦٩ ــ دمشق ١٩٧٤

مجهول
أخبار الدولة العباسية • بيروت ١٩٧١

مجهول (من القرن الحادي عشر)
تاريخ الخلفاء • موسكو ١٩٦٦

ابن محمد (القاضي النعمان)
اختلاف أصول المذاهب • بيروت ١٩٧٣
الأرجوزة المختارة • مونتريال ١٩٧٠
دعائم الاسلام مع التأويل • القاهرة ــ دار المعارف
رسالة افتتاح الدعوة • بيروت ١٩٧٠
الرسالة المذهبة ــ نسخ خطية في مكتبتي
المجالس والمسايرات • تونس ١٩٧٨
الاقتصاد • دمشق ١٩٥٧

ابن محمد الوليد (علي)

تاج العقائد ومعدن الفوائد • بيروت ١٩٦٧

الذخيرة في الحقيقة • بيروت ١٩٧١

المراكشي (عبد الواحـــد)

المعجب في تلخيص أخبار المغرب • القاهرة ١٩٦١

ابن المرتضى (أحمد بن يحيى)

المنية والامل في شرح الملل والنحل • بيروت ١٩٧٩

مرحبا (محمد عبد الرحمن)

من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة العربية • بيروت

ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد)

مقدمـــة المسند الصحيح الحسن • دمشق ١٩٨٠

ابن مسافر (عـــدي)

اعتقاد أهل السنة والجماعة • بغداد ١٩٧٥

المسبحي (محمد بن عبيد الله)

أخبار مصر (قطعة منه) • القاهرة ١٩٨٠

المسعودي (أبو الحسن علي)

مروج الذهب ومعادن الجوهر • القاهرة

التنبيه والاشراف • القاهرة ١٩٣٨

مسكويـــه (أحمد بن محمد)

تجارب الامم وذيلـــه • القاهرة ١٩١٤

مصطفى (شاكر)

دولـــة بني العباس • الكويت ١٩٧٤

مظهر (سليمان)
قصة الديانات • بيروت ١٩٨٤

المعاضيدي (خاشع)
دولـة بني عقيل بالموصل • بغداد ١٩٦٨

معروف (نايف)
الخوارج في العصر الاموي • بيروت ١٩٧٧

المعري (أبو العلاء أحمد)
رسالـة الغفران • بيروت (دار صادر)

ابن المعمار (أبو عبد الله محمد)
كتاب الفتوة • بغداد ١٩٦٠

المقدسي (محمد بن أحمد)
أحسن التقاسيم • ليدن ١٩٠٦

المقدسي (يوسف بن يحيى)
عقد الدرر في أخبار المنتظر • القاهرة ١٩٧٩

المقريزي (أحمد بن علي)
اتعاظ الحنفا (نسخة مصورة لدي)
المقفى (نسخة مصورة لدي)
الخطط • القاهرة ١٩٠٨

ابن المقفع (ساويرس)
تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية • القاهرة ١٩٥٩

مكارم (سامي نسيب)
أضواء على مسلك التوحيد • بيروت ١٩٦٦

الملطي (محمد بن أحمد)

التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع • بغداد ١٩٦٨

ابن منبه (وهب)

التيجان في ملوك حمير • حيدر أباد ١٣٤٧ هـ

الميداني (أحمد بن محمد)

مجمع الأمثال • القاهرة ١٩٥٩

ابن منصور (جعفر)

الكشف • بيروت ١٩٨٤

سرائر وأسرار النطقاء • بيروت ١٩٨٤

المنقري (نصر بن مزاحم)

وقعة صفين • القاهرة ١٣٦٥

مورنكات (أنطون)

تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم • بيروت ١٩٨٥

المؤيد في الدين (هبة الله بن موسى)

سيرة المؤيد في الدين • القاهرة ١٩٤٩

المجالس المؤيدية • القاهرة ١٩٧٦

ديوان المؤيد في الدين • القاهرة ١٩٤٩

ميديكو (هـ • ا • ديل)

التوراة الكنعانية • دمشق ١٩٨٨

ابن ميسر (محمد بن علي)

أخبار مصر • القاهرة ١٩١٩

ناجي (عبد الجبار)

الامارة المزيدية • البصرة ١٩٧٠

الناشىء الأكبـــر
مسائل الامامـــة • بيروت ١٩٧١

الناشى (غضبان رومي عكله)
الصابئـــة • بغداد ١٩٨٣

النجفي (محمد حسن)
جواهر الكلام • بيروت ١٩٨١

النديم (أبو الفرج محمد)
الفهرس • طهران ١٩٧١

ابن النعمان (الشيخ المفيد محمد بن محمد)
أوائل المقالات في المذاهب والمختارات • بيروت ١٩٨٣
الارشاد • بيروت ١٩٧٩

نعناعـــة (رمزي)
الاسرائيليات • بيروت ١٩٧٠

النوبختي (الحسن بن موسى)
كتاب فرق الشيعة • استانبول ١٩٣١

النويري (شهاب الدين أحمد)
نهاية الأرب في فنون الأدب • القاهرة ١٩٢٣ (مصورة مخطوطة لدي)

النيسابوري (أحمد بن ابراهيم)
كتاب اثبات الامامـــة • بيروت ١٩٨٤

نيلسن (ديتلف ورفاقـــه)
التاريخ العربي القديم • القاهرة ١٩٥٨

ابن هانيء الأندلسي (محمـــد)
الديوان • بيروت ١٩٥٢

ابن هشام (عبد الملك)
السيرة النبوية • القاهرة ١٩٥٥

الهمداني (القاضي عبد الجبار بن أحمد)
تثبيت دلائل النبوة • بيروت ١٩٦٦ (نسخة مخطوطة لدي)
فرق وطبقات المعتزلة • الاسكندرية ١٩٧٢
المغني في أبواب التوحيد والعدل • القاهرة ـ
المؤسسة العامة للتأليف والنشر

هوك (س• هـ)
ديانة بابل وآشور • دمشق ١٩٨٧

ابن واصل الحموي (محمد بن سالم)
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب • القاهرة ١٩٥٣

الواقدي (محمد بن محمد)
كتاب المغازي • اكسفورد ١٩٦٧

ابن الوليد (علي)
كتاب الذخيرة في الحقيقة • بيروت ١٩٧١

ياسين (أنور ورفاقه)
بين العقل والنبي • باريس ١٩٨٤

ابن يحيى (أبو مخنف لوط)
مقتل الحسين • بيروت ١٩٨٣

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)
تاريخ اليعقوبي • بيروت ١٩٦٠

أبو يوسف القاضي (يعقوب)
كتاب الخراج • القاهرة ١٣٨٢

اليوسي (أبو الحسن علي)
المحاضرات • الرباط ١٩٧٦
رسائل أبي علي اليوسي • الدار البيضاء ١٩٨١

بعض المصادر غير العربية

1 - Anonymous Geographer
Hudud Al-Alam, English Translation
London 1937

2 - Atiya (Aziz)
The crusade,Historiography and Bibliography
Oxford 1962

3 - Belyaev (E.A.)
Arabs, Islam and the Arab Caliphate
Jerusalem 1969

4 - Bar Hebreaue (Abu'l-Faraj son of Aron)
Hisory of the wold. English translation by Ernest A. wallis Budge
Oxford 1932

5 - Bosworth (clifford Edmend)
A — The Ghaznavid .
Edinburgh 1963
B — The Islamic Dynasties
Edinburgh 1967

6 - Cahen (Claude)
A - Mouvements populaise et Atuonomisme urbains dans L'Asie Muslmane du Moyen Age I,Arabica vol. v.
Paris 1958
B - pre Ottoman Turkey (Eng. trans.)
London 1969

7 - Cohn (Norman)
The pursuit of the Millenium
London 1970

8 - The cambridge History of Iran vol. v.
Cambridge 1968

9 - Cambridge History of Islam
Cambridge 1970

10- Cambridge Medieval History, vol. IV, Ed. Joan M. Hussey
Cambridge 1966 - 67

11- Dunlop (D.M.)
The History of the Jewish Khazars.
New York 1967

12- Elisseef (Nikitce) Nur-Ad-Din
Damas 1967

13- Encyclopedia of Islam, New Eden
London 1960

14- Gabrieli (Francesco)
A - Muhammad and the Conquests of Islam
London 1968
B - Ashort History of the Arab
London 1965

15- Gibb (H.A.R.)
Mohemmedanism.
Oxford 1969

16- El-Hajji (Abdul-Ralhman)
Andalusian Diplomatic Relations with western Europe, During the umayyad period
Beirut 1960

17- KABIR (Mafizullah)
The Buwayhid Dynasty of Baghdad
Calcuta 1964

18- Lambton (A.K.S.)
Land-lord and peasant in persia
Oxford 1969

19- Lewis (Bernard)
A - The Arab in History
London 1968
B - Race an color in Islam
London 1971

20- Mcweill (w) and scdlar (J)
The clas ical Medi-terranean world
London 1969

21- Nibam Al-Mulk
The Book of Government
English translation by
Herbert Drabe
London 1960

22- Omar (F.)
The Abbasid caliphate
Baghdad 1969

23- Ostrayosky (D.)
History of the Byzantine state, Engl. trans. J. Hussey
Oxford 1968

24- Partington (J.R)
A History of Greek Fire and Gunpouder
Cambridge, 1960

25- Pearson (J.D)
Index Islamicus
Cambridge 1961, 1962, 1967.

26- Psellus (Michael)
Fourteen Bybantine Rulers (Eng. trans. Penguin Ed. London 1966)

27- Rice (Tamara Tabot)
The Saljuks
London 1968

28- Rosenthal (E.I.J.)
Political Thought in Medieval Islam
Cambridge 1962

29- Rosenthal (F.)
A History of the Muslim Histography
Leiden 1968

30- Segal (J.B.)
Edessa, the blessed city
Oxford 1970

31- Shaban (M.A.)
The Abbasid Revolution
Cambridge 1970

32- SEVIM (Ali)
Suriye selcuklulari
Ankara 1965

33- Le Strange (Guy)
1 - The Land af the Eastern Calipthae
London 1966
2 - Palestine Under the Muslim.
Beirut 1965

34- Vasiliev (A.)
History of the Byzantine Empire.
Wisconsin 1964

35- Watt (M.)
1 - Muhammad Prophet and Statesman
Oxford 1961

36- ZAKKAR (suhayl)
The Emirate of Aleppo, 1004 - 1094
Beirut 1971

37- Zaehneav (R.C.)
The Dawn and twilight of Zoroastrianism
London 1961

((الآيات القرآنية الكريمة))

((الشعــر))

الفهرس العـــام

– ح –

ــ خ ــ

ــ د ــ

ــ ذ ــ

ــ س ــ

— ض —

— ط —

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ــ غ ــ

ــ ف ــ

— ن —

ـ هـ ـ

— و —

— ي —



المحتوى

* * *

((تطبيعات))

ص	الخطـأ	الصـواب	السطر
٢٢	لبستخلفهم	ليستخلفنهم	٤ ـ أسفل
٢٢	المؤمين	المؤمنـين	٣ ـ أسفل
٢٩	صقر	سقر	٣ ـ أعلى
٤٨	أن الصباح	أن حسن الصباح	١٠ ـ أعلى
٥١	وترشح له من ليس	وترشح له من هو له أهل ومن ليس	١ ـ أعلى
٨٥	وحضاربه	وحضاريـه	١٤ ـ أعلى
٩٣	للفاطمية	الفاطمية	١٥ ـ أعلى
١١٣	القبامه	القيامـه	٩ ـ أعلى
١٣	محصور	محصول	١٠ ـ أعلى
١٣٧	حمارويه	خمارويه	٣ ـ أعلى
١٣٩	لعباسية	العباسية	٣ ـ أسفل
١٣٩	الرجبة	الرحبة	٢ ـ أسفل
١٤٢	ولايه	ولايـة	٩ ـ أعلى
١٧٢	أبا	أبـا	٢ ـ الحاشية
٢١٢	مأوقع	فأوقع	١٤ ـ أعلى
٢٤٣	وقيل	وقبل	٦ ـ أعلى
٢٥٥	خوان	خولان	٢ ـ أعلى
٤٣٤	بجمع	تجمع	١٠ ـ أسفل
٤٤١	عل ٤ ـ ي	علي	١٢ ـ أعلى
٤٤٣	فرذوله	مرذوله	١ ـ أعلى
٤٥٢	الصائبين	الصابئين	٤ ـ أعلى
٤٧٣	الحادسم	الخادم	٦ ـ أسفل

هذا الكتاب

- يبحث في نشأة القرامطة ويقدم نظريات جديدة حول موطنهم الأول وأصل تسميتهم .
- هو أول كتاب يطرح قضية قرامطة اليمن ويوضح أثر حركاتهم على بقية جماعات القرامطة وبلدان وشعوب العالم الاسلامي .
- فيه يرى القارىء نتائج ثورات القرامطة بشكل جلي وأهداف حركاتهم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .....
- لم يسبق أن حوى كتاب آخر ماحواه هذا الكتاب من مواد تاريخية تنشر للمرة الأولى بشكل علمي ويرقى بعضها إلى أيام القرامطة .